دراسات في الأدب الإسلامي

سامي مكي العاني

ساعدت جامعة بغداد على نشره
مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اعتاد معظم دارسي ومؤرخي الادب العربي ان يلحقوا الأدب الاسـلامي بالأدب الأموي ، أو أن يجعلوه تتمةً للأدب الجاهلي أو خصّه بوريقات معدودة فقط ، بدعوى ان ملامحه لم تتضح بعدُ ، ومميزاته لمّا تتبلور .

ومن هنا حُرِم القارىء من الاطـلاع على جوانب أدب تلك الفترة العزيزة من تاريخ امتنا المجيدة .

ومما عمّق هذا الاتجـاه واكدّه ، ما أشاعه بعض الباحثين من العرب والمستشرقين عن ضآلة أثر الاسلام في الادب العربي إبّان تلك الفترة .

وهذا وهمٌ ينفيه ماوصل الينا من شعر ونثر ، كان صدىً لتعاليم الاسلام وأحداثه .

ولذلك رأيت أن أسهم في الرد على هذا الوهم بتقديم هذه الدراسات والخواطر فيما ساد تلك الحقبة من اتجاهات ادبية . وهي وان بدت متنوعة في مادتها الاّ انها تقوم على منهج موحد هو دراسة التأثيرات الاسلامية في الادب العربي ضمن فترة زمنية محددة بعصر الرسول (ص) وخلفائه الراشدين ، وثمة موضوع واحد قد يخرج عن هذا التحديد

الزمني وهو - اعجاز القرآن - رأيت أنه ألصقُ بأدب هذه الفترة من اي فترة اخرى .

وأود أن أشير الى انني حاولت جهـدي في هذه الدراسات أن أتطرق الى موضوعات طريفة بعيدة عما ألفنا قراءته في تاريخ الادب، واني اذ أقدّم هذه الدراسات أعلمُ عِلمَ اليقين انها جهد متواضع يعوزه الكمال الذي لم يُخلَق للبشر ، ولكني ارجو ان اكون قد وُفقتُ الى التعبير عما بدا لي من خلال ما توفر لدينا من نصوص تلك الفترة .

وفي الختام أسجل وافر شكري وعظيم تقديري لاستاذنا الدكتور محمود غناوي الزهيري الذي تفضل فأفادني بتوجيهاته السديدة وارشاداته القيمة حتى ظهرت دراساتي على هذه الصورة .

ومن الله العون ، وبه التوفيق .

الصراع الادبي بين مكة والمدينة في عصر النبوة

جاء الاسلام فانقسم العرب ازاءه الى فريقين ، فريق تفتحت قلوبهم للاسلام ، وعقولهم للاستنارة بهديه ، فاسلموا نفوسهم وما يملكون لله ، وفريق صدوا عن سبيله ، واصروا على الكفر به ، فجردوا نفوسهم وما يملكون لمحاربته .

وطبيعي ان يساهم الشعر في هذا الصراع ، وان يواكبه في جميع مراحله ، فوقف فريق من الشعراء الى جانب قريش ، والفريق الآخر الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يُشهر السلاح الشعري خلال الفترة المكية ، لان المسلمين كانوا آنذاك افراداً قلائل ، وليسوا معسكراً يهدد قريشاً .

وعندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وتأسست للاسلام دولة ، وقامت له حكومة ، شعرت قريش بما يهدد مركزها من خطر . فلم تُبق وسيلة تحارب بها الرسول الا اتخذتها ، ولا سلاحاً الا شهرته ، وبدأت شاعريتها تستيقظ وتقوى بعد ان كانت قليلة الشعر في جاهليتها ، خاملة الذكر فيه . قال ابن سلام : والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة[1] ، ولم يحاربوا[2] فان عداوتها للاسلام حلت من عقد السنة ابنائها ، ومحاربتها له انطقتهم بالشعر ،

---

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، تقع بين القوم ، فتثير شرورهم .

(٢) ابن سلام طبقات الشعراء ص ٢١٧ ،

فبرز منهم شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الاسلام كابي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله (ص) واخوه في الرضاعة ، بقى في صفوف المشركين ، يدافع عنهم ، ويحرضهم على الاسلام والمسلمين ، ويؤذي رسول الله (ص) ويهجوه ، والى ذلك اشار حسان ابن ثابت في قصيدته المشهورة :

هجوتَ محمداً فاجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

حتى تم فتح مكة فلقى ابو سفيان وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة رسول الله (ص) بنيبق العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته ام سلمة فيهما فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال لاحاجة لي بهما، اما ابن عمي فهتك عرضي، واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال ، فلما خرج اليهما الخبر بذلك ، ومع ابي سفيان ابن له صغير ، قال : والله ليأذنن لي أو لآخذن بيدي بنيّ هذا ، ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشاً وجوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) رقّ لهما ،ثم اذن لهما ، فدخلا عليه فاسلما[1] .

ومن شعره قبل اسلامه ما قاله في الرد على حسان يوم بدر :[2]

أحسان انا يابن آكلة الفغا ... وجدّك نغتال الخروق كذلك[3]

خرجنا وماتنجو اليعافير بيننا ... ولو وألت منا بشدّ مدارك[4]

(١) ابن هشام ٢/٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/٢١٢ .

(٣) الفغا التمر ، يريدانهم اهل نخيل وتمر ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق ، وهي الفلاة الواسعة .

(٤) اليعافير : جمع يعفور، وهو ولد الظبية ، يريدانهم لكثرتهم لاتنجو معهم الظباء ووألت: اعتصمت ولجأت، ومنه الموئل وهو الملجأ، والشد: الجري والمدارك: المتتابع .

اذا ما انبعثنا من مناخ حسبته　　مُدمّن من اهل الموسم المتعارك[١]
اقمت على الرس النزوع تريدنا　　وتتركنا في النخل عند المتدارك[٢]
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا　　فما وطئت الصقنه بالدكادك[٣]
اقمنا ثلاثاً بين سلع وفارع　　بجرد الجياد والمطي الرواتك[٤]
حسبتم جلاد القوم عند قبابهم　　كمأخذكم بالعين ارطال آنُك[٥]
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها　　على نحو قول المعصم المتماسك[٦]
سعدتم بها وغيركم كان اهلها　　فوارس من ابناء فهر بن مالك[٧]
فانك لا في هجرة ان ذكرتها　　ولا حرمات الدين انت بناسك

ومنهم عبدالله بن الزبعري بن قيس السهمي القرشي ، كان من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى اصحابه بلسانه ونفسه . وكان اشعر قريش ، وابلغها ، كان قد هرب الى نجران حين تم فتح مكة ، فرماه حسان وهو بنجران ببيت واحدما زاده عليه:

لا تعدمن رجلًا أحلّك بغضه　　نجران في عيش أحذّ لئيم[٨]

---

(١) المدمن : الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدمن . اي اثار الدواب والابل وارواثها وبعارها . واهل الموسم : جماعة الحجاج ، وكل مكان كانت تجتمع فيه العرب فهو موسم والمتعارك : الذي يزدحم فيه الناس .

(٢) الرس النزوع : البئر الذي تنزع ماؤها بالايدي ، والمدارك : المواضع القريبة

(٣) الدكادك . جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

(٤) سلع وفارع : جبلان ، والرواتك : المسرعة .

(٥) العين (هنا) : المال الحاضر . وهي الدور ايضاً ، كلاهما يصلح ها هنا

(٦) المعصم : المستمسك بالشيء .

(٧) الناسك : المتبع لمعالم دينه وشرائعه ، ويروى : (ناسكي) منسوباً وخففت الياء للقافية .

(٨) أحذ : القليل المنقطع ، ورويت أجد : ومعناها المنقطع . ويجوز ان يكون معناه : في عيش لئيم .

فلما بلغ ذلك عبدالله بن الزبعري خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم واعتذر الى رسول الله (ص) فقبل عذره وقال حين اسلم :[1]

يارسول المليك ان لساني ... راتق ما فتّقت اذ أنا بُور[2]
اذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومَنْ مال ميله مثبور[3]
آمن اللحمُ والعظام لربي ... ثم قلبي الشهيد انت النذير
انني عنك زاجرٌ ثمَّ حيّاً ... من لؤي وكلهم مغرور

ومن شعره في محاربة المسلمين لاميته التي يقول فيها في غزوة أحد :[4]

كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع ... غير ملتاث لدى وقع الاسل[5]
فسل المهراس ماساكنه ... بين اقحافٍ وهام كالحجل[6]
ليت اشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الاسل

الى ان يقول :

فقتلنا الضعف من اشرافهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا الوم النفس الا اننا ... لو كررنا لفعلنا المُفتعل

---

(١) ابن هشام ٢/٤١٧ .

(٢) راتق : ساد . بور : هالك .

(٣) اباري : اجاري واعارض . والسنن : بالتحريك : وسط الطريق ومثبور : هالك .

(٤) ابن هشام ٢/١٣٦ .

(٥) النجدة : القوة والشجاعة ، الملتاث : الضعيف . الاسل : الرماح .

(٦) المهراس : ماء بجبل احد ، والاقحاف : جمع قحف، وهو العظم فوق الدماغ ، والهام : الرؤوس والمراد به هنا جمع هامة ، كانت العرب تعتقد انها روح الميت تنقلب بعد قتله طيراً يحوم فوق القبر حتى يؤخذ بثأر القتيل . والحجل : طائر .

بسيوف الهند تعلو هامهم   علـلاً تعلوهم بعد نهل[1]

ومنهم ضرار بن الخطاب الفهري من شعراء قريش المعدودين وفرسانها الشجعان ، قاتل المسلمين في الوقائع اشد القتال ، وكان يقول : زوجت عشرة من اصحاب النبي (ص) بالحور العين ثمَّ في الفتح ، وكان يقول لأبي بكر نحن خير لقريش منكم أدخلناهم الجنة وانتم ادخلتموهم النار . ومن شعره في محاربة المسلمين :[2]

كأنهم اذا صالوا وصلنا   بباب الخندقين مصافحونا
اناسٌ لا نرى فيهم رشيدا   وقد قالوا السنا راشدينا
فاحجرناهم شهراً كريتا   وكنا فوقهم كالقاهرينا[3]

والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومي أخو أبي جهل ، حارب المسلمين بسيفه ولسانه حتى اذا كان الفتح استأمنت له أم هاني، بنت أبي طالب النبيَّ (ص) فأمنه يوم الفتح وصفح عنه، وكانت اذ أمنته قد اراد عليٌّ قتله وحاول ان يغلبها عليه فدخل النبي (ص) منزلها ذلك الوقت فقالت يارسول الله ألا ترى الى ابن أمي يريد قتل رجل أجرته فقال رسول الله (ص) : قد اجرنا من أجرت وآمنا من آمنت، فآمنه . ومن شعره قصيدة توعد فيها محمداً (ص) بعد قتل أخيه أبي جهل منها[4] :

(١) النهل : بفتح النون والهاء ــ الشرب الاول . والعلل : الشرب الثاني ، وضرب ذلك مثلا لمعاودتهم القتال ورجوعهم اليه .

(٢) ابن هشام ٢/٢٥٥ .

(٣) احجرنام : حصرنام . وقوله : شهراً كريتا يعني كاملا تاماً .

(٤) ابن هشام ٢/١٠

فيـال لؤي ذبوا عن حريمكم وآلهة لا تتركوها لذي الفخر[1]
توارثهـا اباؤكم وورثتم اواسيّها والبيت ذا السقف والستر[2]
فما لحليم قد أراد هلاككم فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدّوا لمن عاديتم وتوازروا وكونوا جميعاً في التأسي وفي الصبر[3]
لعلكم ان تثأروا بأخيكم ولا شيء ان لم تثأروا بذوي عمرو[4]

ومنهم هبيرة بن ابي وهب المخزومي، وابو عزة الجمحي وعمرو بن العاص، وابو سفيان بن حرب. وقد رويت لهؤلاء اشعار في المعارك الكلامية التي كانت تدور بين مكة والمدينة.

ودخل هذه المعركة الى جانب قريش بعض الشعراء الذين لم يكونوا من مكة ولا يثرب، ومن هؤلاء امية بن ابي الصلت، وهو ثقفي، كان يتوقع ظهور رسول بين العرب، وكان يتمنى ان ينزل عليه الوحي. ولما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم حقد عليه وعلى المسلمين وراح يحرض قريشاً على حربه ورثى المشركين بقصائد تفيض بالحقد والانفعال ضد المسلمين من ذلك قوله[5] :

الا بكيت على الكرا م بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام على فرو ع الايك في الغصن الجوانح

---

(١) ذبوا : ادفعوا.
(٢) الاواسي : جمع آسية، وهي ما اسس عليه البناء.
(٣) توازروا : تعاونوا.
(٤) تثأروا بأخيكم : تأخذوا بثاره.
وقال ابن هشام بعد ايراده هذه القصيدة : ابدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن اسحاق، وهما (الفخر) في آخر البيت. و (فما لحليم) في اول البيت، لانه نال فيهما من النبي صلى الله عليه وسلم.
(٥) ابن هشام ٣٠/٢

مـاذا بـبـدر فالعقنـقل من مرازبة جحاجح[1]
شمط وشبـان بهـا ليـل مغاوير وحاوح[2]

وقد نهى رسول الله (ص) عن روايتها لما فيها من حقد وانفعال

وعباس بـن مرداس السلمي من سُليم بـن منصور، وكان فارساً شجاعاً وقف في صف المشركين حيث مدح بني النضير حين اجلاهم الرسول، وتأسف لذلك واظهر المه في قصيدة مطلعها :[3]

ولو ان اهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملهىً وملعبا

وناقض خوّات بن جبير حين هجا اليهود بقصيدة مطلعها :[4]

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نِعم كانت من الدهر تُرتبا[5]

وقد اسلم قبيل الفتح، وساهم في الفتح .

وقد آزر قريشاً كعب بن زهير بسبب اسلام أخيه ودخـل الى جانبها في المعركة الشعرية التي اشتد اوارها بين المسلمين وبين قريش ومن قصيدته التي هاجم فيهـا الاسلام، وأحـل رسول الله دمـه بسببها :[6]

شربتَ مع المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منهـا وعلّكا
وخالفت اسباب الهدى واتبعته على اي شيء انت منزل ذلكا
على خلق لم تلف اماً ولا اباً عليه ولم تدرك عليه اخاً لكا

(١) العقنقل : الكثيب من الرمل المنعقد . والمرازبة : الرؤساء . والجحاجح : السادة .
(٢) وحاوح : جمع وحواح وهو الحديد النفس . البهاليل : السادة .
(٣) ابن هشام ٢٠١/٢ .
(٤) المصدر السابق ٢٠٢/٢ .
(٥) ترتب : ثابت .
(٦) الاستيعاب ٢٨١/٣ .

وقد روت كتب التاريخ والسيرة الكثير من اشعارهم التى كانوا يهجون بها الرسول والدين ، وينالون منه ومن اتباعه ودعوته اشد النيل واقساه . وآزر يهود يثرب قريشاً في حربها ضد المسلمين ، ووقف شعراء اليهود الى جانب شعراء قريش يحرضون العرب ويؤلبونهم على رسول الله ، كما فعل سلام بن ابي الحقيق ، ومنهم من شبب بنساء المسلمين ، وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما فعل كعب بن الاشرف ، فقتلا في ذلك ، وفي هذا يقول حسان:[1]

لله در عصابة لاقيتهم ... ياابن الحقيق وانت ياابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم ... مَرَحاً كأسد في عرين مُغرف[2]
حتى اتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفاً ببيض ذفف[2]
مستنصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل امر مجحف

وبكى جبل بن جوّال ـ وهو يهودي ايضاً ـ بني النضير وقريظة فقال :

الا يا سعد سعد بني معاذ ... لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك ان سعد بني معاذ ... غداة تحملوا لهو الصبور

فانبرى له حسان بن ثابت بنقيضة يسفه فيها ما قال ، ويعيب عليهم نصرهم لقريش المشركة وهم اصحاب كتاب فقال :[3]

تفاقد معشر نصروا قريشاً ... وليس لهم ببلدتهم نصير

---

(١) ديوان حسان ص ٢٧٢ .

(٢) يسرون : من السرى وهو السير ليلا . البيض السيوف مرحاً : نشاطاً . وقوله : عرين مغرف : اي في عريف في اجة من البردى والحلفاء والقصب او تقول الغريف النهر يريد في اجة ماء . (٣) ذفف سريعة القتل .

(٣) ديوان حسان ص ١٩٤

همُ اوتوا الكتاب فضيعوه   وهم عُمي من التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد اتيتم   بتصديق الذي قال النذير
وهان على سراة بني لؤي   حـريق بالبويرة مستطير[١]

وقد كان للنساء دور كبير في هذه المعارك الشعرية فشاركن فيها بالبكاء على القتلى ، وبالتحريض على الانتقام ، وبالتشفي حين يقتل رجال الاعداء . ظهر منهن الى جانب قريش هند بنت عتبة بن ربيعة التي بكت اباها يوم بدر فقالت :[٢]

اعينيّ جودا بدمعٍ سربْ   على خير خندفٍ لم ينقلب
تداعى لـه رهطـه غـدوة   بنو هاشـم وبنو المطلب
يذيقونـه حـد اسيافهم   يعلونـه بعدما قـد عطب

وقالت شامتة بقتل حمزة (رض) :[٣]

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سُعر[٤]
ما كان عن عتبة لي من صبر   ولا اخي وعمه وبكري[٥]
شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري   شفيتَ وحشيّ غليل صدري[٦]

ومنهن قتيلة بنت الحارث التي بكت اخاها النضر وعاتبت رسول الله (ص) لانه لم يمنّ عليه ويطلقه[٧] .

ومن الشواعر المسلمات ميمونة بنت عبدالله التي ردت على كعب

---

(١) البويرة : موضع بني قريظة .
(٢) ابن هشام ٣٨/٢
(٣) المصدر السابق ٩٠/٢
(٤) سعر : بضمتين الالتهاب .
(٥) بكري : ابني البكر .
(٦) وحشي : قاتل حمزة (رض) .
(٧) ابن هشام ٤٢/٢ .

ابن الاشرف تحريضه على الرسول وبكاءه قتلى قريش ببدر[1].

وصفية بنت عبدالمطلب التي بكت اخاها حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه بأبيات تفيض لوعة وحزناً ، ونعت فيه شمائل الاسلام[2] وهند بنت أثاثة التي رثت عبيدة بن الحارث بن المطلب حين استشهد من مصابه ببدر[3] وناقضت هند بنت عتبة حين اعلنت تشفيها بقتل مسلمي أحد.[4]

وكان لشعر المشركين واليهود اثره في نفس الرسول، وفي نفوس المسلمين ، وفي تعويق الدعوة ، والتنفير منها ، لما كان له من ذيوع وانتشار بين جميع القبائل العربية ، ولم تكن القبائل خارج المدينة لتسمع عن الاسلام او تعرف عنه شيئاً الا بواسطة ما يصل اليها من الشعر - الذي كان بمثابة صحف هذه الايام - هذا اذا استثنينا بعض من كان يبعث بهم الرسول عليه الصلاة والسلام من دعاة الاسلام ، وحتى هؤلاء فان شعر القرشيين كان يفسد عليهم عملهم ودعوتهم لانه صادر عن مكة، وهي مركز العرب الديني والتجاري ، والثقافي ، وعن قوم النبي ، والمفروض انهم اعرف به وبدعوته من القبائل ، لذلك قرر الاسلام ان يفلّ من هذا السلاح الذي اراد المشركون ان يتخذوا منه سلاحاً ماضياً يشهرونه في وجه الدعوة الاسلامية ويهدمون به كل ما يحاول ان يبنيه الرسول، ليفوت على المشركين غرضهم الذي كانوا يرمون اليه. ويوجهه الى غير ما استعمله

(١) المصدر السابق ٥٢/٢
(٢) المصدر نفسه ١٦٧/٢
(٣) المصدر نفسه ٤١/٢
(٤) المصدر نفسه ٩٠/٢

المشركون، فحمل القرآن على الشعراء حملة واسعة، ووصفهم بنعوت قاسية ووصمهم بما لا يرضاه كل عربي لنفسه، من انهم يقولون ما لا يفعلون، ولكنه استثنى منهم الشعراء المؤمنين: والشعراء يتبعهم الغاوون الم ترَ انهم في كل وادٍ يهيمون، وانهم يقولون ما لا يفعلون، الا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظُلموا ...)[1] وجاء الحديث النبوي يؤكد موقف القرآن، ففرق بين شعراء الكفر وشعراء الايمان بهذا النص :- لان يمتلىء جوف احدكم قيحاً ودماً خير له من ان يمتلىء شعراً[2] ولكن السيدة عائشة رفضت هذه الرواية، وارتاعت لها عندما سمعتها وقالت: (لم يحفظ ابو هريرة الحديث، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لان يمتلىء جوف احدكم قيحاً ودماً خير له من ان يمتلىء شعراً هُجيت به)[3]

ومن هذا الاستدراك يتضح جلياً موقف الرسول عليه السلام من الشعر، فقد نهى عن لون معين منه، وعن موضوعات خاصة، لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة، ومن الطبيعي ان ينصرف عن شعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يؤذي النفوس، ويبعث الضغائن بين المسلمين، وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق والفضائل النفسية ويعين على الرذائل، فكل هذه الالوان من الشعر تخالف المبادىء التي قرر الاسلام ان تكون اسس مجتمعه الجديد.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٥ ـ ٢٢٩.
(٢) صحيح البخاري ٤٥/٧.
(٣) الزركشي: الاجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٦٧

اما فيما عدا ذلك فان الرسول أقر قول الشعر، وطلب من الشعراء ان يردوا على قريش وينصروه بالسنتهم كما نصروه باسلحتهم .

ولما لم يكن بين المهاجرين من يستطيع ان يتصدى لهذه المهمة توجه الى الانصار بقوله : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ فاجابه الى ذلك حسان و كعب وعبدالله بن رواحة ، فانشرح رسول الله لذلك ، وطلب ان يردوا عنه شعراء قريش ، فقد روى انه (ص) لما قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء. فقال لعبدالله بن رواحة ، ردّ عني . فذهب في قديمهم وأولهم فلم يصنع في الهجاء شيئاً ، فأمر كعب بن مالك فذكر الحرب كقوله :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا   قدما ونلحقها اذا لم تلحق

فلم يصنع في الهجاء شيئاً ، فدعا حسان بن ثابت فقال : اهجهم وائت ابا بكر يخبرك - اي بمعائب القوم - و كان ابو بكر علاّمة قريش[1]

وقد أثنى صلى الله عليه وسلم على شعراء الاسلام وقدر دورهم في محاربة الكفر فقال: هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل[2]. وقال لحسان لشعرك اجزل عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً ، ولشعر كعب بن مالك اشد على قريش من رشق السهام[3].

وأدرك عليه السلام اثر الشعر في نفس العربي ، فحث شعراءه على هجاء الكافرين ، ليشفي صدور المسلمين ، ولئلا يبقى ذلك في

---

(١) ابن سلام ص ١٨٠ .
(٢) العمدة ١/٣٨ .
(٣) ابو حاتم الرازي : الزينة ١/١٠٢ .

قلوبهم . فلما انهزم المشركون يوم الاحزاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم اذى ، ويهجونكم ، فمن يحمي اعراض المسلمين ؟ فقام عبدالله بن رواحة فقال : انا . فقال : انك لحسَن الشعر ، ثم قام كعب ابن مالك فقال : انا . فقال : وانك لحسَن الشعر[1] .

وهكذا وقف شعراء الاسلام يذبون عن دينهم سهام اشعار المشركين وأذاهم ، وطالما توجهوا بأشعارهم من يثرب الى المشركين في مكة ، ولذلك تكررت لفظة (أبلغ) و (مَنْ مبلغ) في مطالع قصائدهم ، لبعد المشركين عنهم ، وربما تكرر ذلك لطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على شعراء تلك الفترة .

فحين هاجر بنو جحش بن رئاب الى المدينة ، عدا أبو سفيان بن حرب على دارهم في مكة فباعها ، فقال عبدالله بن جحش في ذلك :[2]

أبلغ أبا سفيان عن ... أمرٍ عواقبُه ندامه
دار ابن عمك بعتَها ... تقضي بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب ... الناس مجتهد القسامه
اذهب بها ، اذهب بها ... طُوقتها طوق الحمامه

وقال حسان بن ثابت مخاطباً أبا سفيان بن الحارث شاعر قريش :[3]

الا ابلغ ابا سفيان عني ... فانت مجوَّف نخب هواء[4]

(١) الاغاني ٢٣٢/١٦ .
(٢) ابن هشام ١/٥٠٠ .
(٣) الديوان ص ٧ .
(٤) مجوف : جبان لا قلب له ومثله النخب .

وفي أحد طلب كعب بن مالك ابلاغ قريش بقوله[1]

الا ابلغ قريشاً على نأيها اتفخر منا بما لم تلي؟

وقال ايضاً في الغزوة نفسها :[2]

ابلغ قريشاً وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوي الالباب مقبول

وتوجه بهذه الصيغة حين اراد مخاطبة ابيّ بن خلف من كبار مشركي قريش فقال :[3]

ابلغ ابيا انه فال رأيه وحان غداة الشعب والحين واقع

ولم يقتصر شعراء المسلمين على هذه المناوشات، بل ولجوا بشعرهم كل ميدان وجدوا فيه دفاعاً عن عقيدتهم، ونشراً لدينهم فمدحوا من اسلم او وقف الى جانب الاسلام[4] ، وفخروا بالاسلام وبالرسول وبالانتصارات الاسلامية[5] ورثوا قتلى المسلمين ، وبينوا ثوابهم وحسن مآبهم[6]

وكان الرسول (ص) يقدر قيمة الشعر في غير الميدان ايضاً ، ويعرف مهمته في الحياة العربية ، وانه ديوان العرب، وسجل مفاخرها، فحاول ان يوجه هذه الاداة التي يحسن العرب استعمالها ، ولا يستطيعون

---

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٠٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .
(٣) « « ص ٢١٧ .
(٤) انظر ابن هشام ١/٣٨٠ .
(٥) انظر ابن هشام مثلا ١/٥١١ و ٦٦٤ .
(٦) انظر المصدر السابق ٢/١٧٦ و ١٨٩ .

الاستغناء عنها ، الى حيث يخدم الفكرة ، وينصر الدين ، ويبعث الفضائل الكامنة في نفوس العرب فقال : ان هذا الشعر سجع من كلام العرب ، به يعطى السائل وبه يكظم الغيظ ، وبه يؤتى القوم في ناديهم[1] .

ولقد ذهب الى ابعد من تأكيده مهمة الشعر في الحياة حين اكد قيمته الفنية، فقد جاء اعرابي اليه فتكلم بكلام بيّن فقال (ص) ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة .[2]

(١) السبكي : طبقات الشافعية ١/١٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ٨/٤٢ .

٢

القرآن والشعر

من يتتبع لفظة الشعر والشعراء في القرآن الكريم يجد انها وردت في ستة مواضع . في خمس منها يحكي القرآن ما حاول كفار قريش ان يلصقوه برسول الله (ص) من اتهامات باطلة وصفات طائشة .

فبعد ان استمعوا الى آياته ، احسوا بروعته ، وبما له من تأثير في العقول ، وسيطرة على النفوس .

وراحوا يتخبطون في وصفه ، فلم يثبتوا على صفة معينة ينعتون بها من نزل عليه القرآن .

وحاولوا ان يعللوا اثره المزلزل في النفوس ، ولكنهم عجزوا . فبدأوا يتنقلون من ادعاء الى ادعاء ، ومن تعليل الى آخر . حائرين غير مستقرين (بل قالوا اضغاثُ احلام ، بل افتراه بل هو شاعر ...)[1]

وردّ القرآن على هذه الافتراات التي حاول المشركون ان يفسروا الوحي بها . فنفى ما ادّعوه من وصف النبي بانه شاعر ، ووصف القرآن الذي نزل عليه بانه شعر .

(وما علّمناه الشعرَ ، وما ينبغي لهُ ، إن هوَ إلا ذكرٌ وقرآن مبين[2])

---

(١) الانبياء آية ٥ .

(٢) يس آية ٦٩ .

وما كان يخفى على كبراء قريش ان الامر ليس كذلك ، وان ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم قول غير معهود في لغتهم ، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر ، انما كان هذا طرفاً من حرب الدعاية التي شنوها على الدين الجديد وصاحبه في اوساط الجماهير ، معتمدين فيها على جمال النسق القرآني المؤثر الذي قد يجعل الجماهير تخلط بينه وبين الشعر اذا وجهت هذا التوجيه[1] .

وهكذا جاءت لفظة الشعر هنا في معرض نفي ادعاء المشركين ونفي لياقته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاختلاف منهجه عن منهج النبوة .

ووردت هذه اللفظة في موضع آخر من القرآن على لسان المشركين ايضاً ، حين تقوّلوا على رسول الله فنعتوه - بلا بينة - بالشعر والجنون: (ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون)[2]

ووصفوه بالشعر مرةً أخرى ايضاً : (أم يقولون شاعرٌ نتربصُ به ريْب المنون[3] .)

ويأتي رد القرآن حاسماً على هذه التخرصات وتلك التقولات ، فينفي عن القرآن شبهة الشعر التي اثاروها : (وما هو بقول شاعرٍ قليلًا ما تؤمنون[4] .)

ان هذه الايات الخمسة التي اوردناها انما جاءت لتصور موقف المشركين ازاء القرآن وتأثيره في النفوس ، ثم للرد على تفسيراتهم

---

(١) في ظلال القرآن ٢٣/٣٤ .
(٢) الصافات آية ٣٦ .
(٣) الطور آية ٥٢ .
(٤) الحاقة آية ٦٩ .

ولتأكيد ان القرآن وحي من الله تنزّل به الروح الامين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فجميعها اذن مسوقة لتنزيه الرسول (ص) عن ان يكون من الشعراء ، ولابطال زعم المشركين ان القرآن من قبيل الشعر كما اوضح جميع المفسرين. ان القرآن لم يتحدث في هذه الآيات الخمسة عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم ان يتعاطاه او يحرم ذلك عليه. وانما اورد لفظة الشعر والشاعر للتعريف بنفسه ، وللتفريق بينه وبين الشعر فحسب.

اما الموضع الذي تناول فيه القرآن كلمة الشعر من حيث هو فن يمكن ان يستخدم في مواطن الخير أو الشر فقد جاء ذلك في قوله تعالى: (والشعراء يتَّبعهم الغاوونَ ألمْ ترَ أنهم في كل وادٍ يَهيمُون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلاَّ الذينَ آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلم الذين ظَلموا ايَّ منقلَبٍ ينقلبون)[1].

ان القرآن لم يحارب الشعر لذاته في هذه الاحكام وانما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر والشعراء ، منهج الاهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الاحلام المهوّمة التي تشغل اصحابها عن تحقيقها[2].

لذلك جاء وصف الشعراء في القسم الاول من هذه الاحكام بانهم يجاريهم ويسلك مسلكهم ، ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن سنن الحق ، الحائرون فيما يأتون ويذرون ، ولا يستمرون على وتيرة

---

(١) الشعراء آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) انظر في ظلال القرآن ١٩/١٢٠.

واحدة في الافعال والاقوال ، وانهم في كل لغو يخوضوق (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) وفي كل فن من القول ينظمون . قال الحسن البصري : قد والله رأينا اوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتيمة فلان ومرة في مديحة فلان .

وقال قتادة : الشاعر يمدح قوماً بباطل ، ويذم قوماً بباطل . (وانهم يقولون ما لا يفعلون) فهم يتبجحون باقوال وافعال لم تصدر عنهم فيتكثرون بما ليس لهم .

ولهذا اختلف العلماء فيما اذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حداً ، هل يقام عليه الحد بهذا الاعتراف ام لا ؟ لانهم يقولون ما لا يفعلون .

وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي على ميسان من ارض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

من مبلغ الحسناء ان حليلها
بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقينُ قرية
وصنّاجة تجثو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني
ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدم[1]

(١) الجوسق : القصر . فارسي معرب .

فلما بلغ ذلك عمر قال : اي و الله اني ليسوؤني ذلك .

ومن لقيه فليخبره اني قد عزلته . و كتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب ، وقابل التوب . شديد العقاب . ذي الطول . لا اله الا هو اليه المصير .

اما بعد :

قد بلغني قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه   تنادمنا بالجوسق المتهدم

وايم الله ، انه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر . فقال : والله ياامير المؤمنين ما شربتها قط . وما ذاك الشعر الا شيىء طفح على لساني . فقال عمر : اظن ذلك . ولكن والله لا تعمل لي عملاً ابداً وقد قلت ما قلت . فلم يذكر انه حده على الشراب ، مع تصريحه بذلك في شعره ، لان الشعراء يقولون ما لا يفعلون[1] .

وقيل ان هذه الآية نزلت في شعراء المشركين عبدالله بن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب ومسافع بن عبدمناف وابي عزة الجمحي وامية بن ابي الصلت . قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب ، يستمعون اشعارهم واهاجيهم ، ولذلك فهم الغاوون الذين يتبعونهم[2] .

وبعد ان ينتهي القرآن من تقرير هذه الصفات للشعراء المشركين

---

(١) ابن سعد ٤ ق ١٠٣/١ « أوربية »
(٢) الكشاف ٤٤٠/٢

ومن والاهم يعود ليستثني الشعراء المؤمنين الصالحين فبعد ان نزلت : والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون . توجه حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة و كعب بن مالك الى الرسول (ص) وهم يبكون . قالوا : قد علم الله حين انزل هذه الآية انا شعراء فتلا النبي : الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . قال : انتم . وذكروا الله كثيراً . قال : انتم . وانتصروا من بعد ما ظُلموا . قال : انتم[1] .

ويمكن ان ينسحب حكم هؤلاء الثلاثة على كل من كان على الصفة التي وصف الله بها هؤلاء .

واوضح الزمخشري المرادين بهذه الصفات فقال : هم المؤمنون الصالحون الذين يكثرون ذكر الله ، وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر ، واذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه ، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ، ومدح الرسول (ص) والصحابة وصلحاء الامة ، وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة ،وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم[2] وليس لمصلحتهم الذاتية واهوائهم الشخصية ولا انتصاراً لقبائلهم او جنسهم وانما هو انتصار للحق وللقيم التي ينبغي ان يسخروا لها قابلياتهم ويجندوا اقلامهم فالمؤمن يجاهد بسيفه ولسانه .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٢/٣

(٢) الكشاف ٤٤١/٢

وبعد هذا العرض يمكن ان نستنتج ان القرآن قد ميّز بين فريقين من الشعراء .

فريق استغل فنه فيما ينافي هدى الدين وآدابه فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن . وفريق اتجه بشعره الى العمل الخيّر الجميل والى نصرة الحق أنّى وجد ، فهو الفريق الذي اخرجه من ذلك الوصف العام ، وايده بكل ما اوتي من طاقة مادية ومعنوية .

فالقضية اذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والاغراض وليست في الشعر ذاته لانه سلاح ذو حدين .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

انما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه .[1]

---

(١) العمدة ٢٧/١ .

إِعجازُ القُرآن

العجز لغةً الضعف، تقول عجز عن الامر اذا قصّر عنه، واعجزني فلان اذا عجزت عن طلبه وادراكه، فهو ضد القدرة.

ومصدر الفعل اعجز الاعجاز، ومنه اخذت المعجزة، وهي اسم فاعل لحقته تاء التأنيث للمبالغة[1].

وقد اكتسبت هذه اللفظة معنىً اصطلاحياً بعد الاسلام، فهي في لسان الشرع امر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة[2].

ومعجزة كل نبي ما اعجز به الخصم عند التحدي، وهي عند ابن خلدون: افعال يعجز البشر عن مثلها، فسميت بذلك معجزة، وليست من جنس مقدور العباد، وانما تقع في غير محل قدرتهم[3]. وقد أسهب الباقلاني في شرح هذا المصطلح في اعجازه[4].

معجزات الانبياء

ومن المعروف انه مامن نبي يبعث في قوم إلا ومعه آية أو اكثر تدل على نبوته وتبرهن على صدق ما اتى به من عند الله، وطبيعي

(١) انظر اللسان والتاج مادة (عجز).
(٢) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ١١٦/٢.
(٣) المقدمة ص ٩.
(٤) انظر اعجاز القرآن ص ٤٣٦.

الا تكون هذه الآية مما في طوق احد من البشر ، ليكون ذلك شاهد صدق على ما يقول ويدعي من صلة بالسماء .

وشاء الله ان تكون معجزة كل نبي من جنس مايبرع فيه قومه ، لكي تؤثر في نفوسهم ، وتستولي على عقولهم ، فيسرعوا بالتصديق ، ويبادروا الى الايمان وهو ما يسعى اليه كل نبي مرسل .

فكانت معجزات موسى من جنس السحر الذي برع فيه قومه ، فحمل اليهم عصاه التي انقلبت حية تسعى ، وضرب بها البحر فانفلق عن طريق يبساً ، واعاد الضربة الى الحجر فانفجر منه الماء ، وسالت العيون ، ومعجزته في يده التي كان يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء .

وكانت معجزات عيسى (ع) في الطب الذي برع فيه قومه ، فاحيا الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وحين بُعث محمد صلى الله عليه وسلم في امة عُرفت بالفصاحة وتقديس الكلمة ، وكان ابناؤها يتنافسون على الفصاحة والبلاغة والذلاقة ، ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم ، كانت معجزته عليه السلام من حيث ما برعوا فيه من بيان وفصاحة فتحداهم بالقرآن ، وهو الغاية في الفصاحة والبلاغة ، وقد نبه الى هذا من تحدث من العلماء عن الاعجاز .

فقال الجاحظ :

ولما كان اعجب الامور عند قوم فرعون السحر ، ولم يكن اصحابه قط في زمان اشد استحكاماً منهم في زمانه ، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوهينه بكشف ضعفه واظهاره ، ونقض اصله ، لردع الاغبياء من القوم ... لانه لو اتاهم بكل شيء ، ولم

يأتيهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة ، لكانت نفوسهم الى ذلك متطلعة ، ولا عتلّ به اصحاب الاشغال ، ولشغلوا بـه بال الضعيف .. كذلك زمن عيسى عليه السلام كان الاغلب على اهله ، وعلى خاصة علمائه الطب ، وكانت عوامهم تعظمهم على خـواصهم ، فارسله الله عز وجل باحياء الموتى ، اذ كانت غايتهم علاج المرضى .. وبابراء الاكمه ، اذ كانت غايتهم علاج الرمد ... وكذلك دهر محمـد صلى الله عليه وسلم . كان أغلب الامـور عليهم واحسنها عندهم ، وأجلها في صدورهم حسن البيان ، ونظم ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به ، فحين استحكمت لغتهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثر شعراؤهم ، وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا يشكون انهم يقدرون على اكثر منه ، فلم يزل يقرّعهم بعجزهم ، وينقّصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لاقويائهم وخواصهم ، وكان ذلك من اعجب ما آتاه الله نبياً قط[1]

وتحدث الباقلاني عن توافق المعجزات مع دواعي الاحوال التي يكون عليها مَنْ تظهر فيهم المعجزة فقال :

والقرآن كتاب دل على صدق متحمله .. وبرهان يشهد له برهان الانبياء المتقدمين .. اذ كان من جنس القول الذي زعموا انهم ادركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ، فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ اقصى الممكن في العلاج والوصول الى اعلى مراتب الطب ، فجاءهم بما بهرهم ، من احياء الموتى ، وابراء

---

(١) من رسالة (حجج النبوة) للجاحظ ص ١٤٤ وما بعدها .

الا كمه والابرص ، وكما اتى موسى بالعصا التي تلقفت ما دققوا فيه من سحرهم واتت على ما اجمعوا عليه من امرهم، وكما سخّر لسليمان الريح والطير والجن حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة وبدائع اللطف.[1]

وقال القاضي عبدالجبار بهذا الصدد: وعلى هذا الوجه رتب تعالى المعجزات ، فجعل المعجز الذي اظهره على موسى، مما الاغلب وضوحه لاهل زمانه وانكشافه لهم ، فقد كانوا يتعاطون السحر ، فلما ورد عليهم ما ورد من انقلاب العصا حية آمنوا ... وكذلك فعل تعالى فيما اظهره على عيسى ، مما بهر عقول الاطباء في زمنه ... وعلى هذا اجرى تعالى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في ان خصّه بالقرآن ، الذي هو مُشاكل لصناعتهم وطريقتهم ، غير خارج عن الامر الذي يشتد به اهتمامهم ، ويقوى له افتخارهم ، وتظهر فضائلهم ومحاسنهم.. ووجه الحكمة في ذلك ظاهر ، لانه لو اظهر على كل واحد منهم في زمانه ما لا يخرج عن طريقتهم قويت البصائر ، وانكشف وجه التعذر ، فيكثر التصديق ، وتقل الشبه.[2]

وفي القرآن الكريم ما يؤكد ان الله تعالى حين ابتعث الرسول صلى الله عليه وسلم جعل معجزته القرآن ، وبنى امر نبوته على ذلك قال تعالى :

وان أحدٌ من المشركين استجارك فأجرْه حتى يسمعَ كلامَ الله[3]

(١) اعجاز القرآن ص ٤٥٨ .

(٢) القاضي عبدالجبار الاسدابادي : المغني في ابواب التوحيد ٢٠٥/١٦ .

(٣) التوبة : آية ٦

فلولا ان سماعه اياه حجة عليه لم يقف امره على سماعـه ، ولا يكون حجة الا وهـو معجزة ، وحين طالب المشـركون رسول الله (ص) بالمعجزات كان رده تعالى عليهم (أوَلم يكفهم انا انزلنا عليك الكتابَ يتلى عليهم)[1] وهذه الآية صريحة في ان القـرآن معجزة الرسول العظمى . وكذلك فقد كان الكشف عن وجـوه اعجاز القـرآن والتعرف على دلائلـه من الامـور التي تفرّغ لها علماء الاسلام ، وانصرفت اليها همم الباحثين ، فافردوا لها كتباً عـديدة ، وخصص آخرون فصولاً طويلة لمعالجتها في مؤلفاتهم .

وقد ظهرت اهمية البحث في اعجاز القرآن في بداية القرن الثالث الذي ظهر فيه علم الكلام وانتشرت مذاهبه . وامتزجت فيه ثقافة الامة العربية بغيرها من الامم،وتطاول فيه بعض المارقين على كتاب الله ، وقالوا بتناقضه وشيوع اللحن فيه ، وبفساد نظمه ، وقد لخص ابن قتيبة هذه المطاعن التى قال بها اعداء الاسلام بقوله :

وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتّبعوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) بافهـام كليلة ، وابصار عليلة ، ونظر مدخول فحرّفوا الكلم عن مواضعه وعدلوه عن سبله ، ثم قضوا عليه بالتناقض ، والاستحالة في اللحن ، وفساد النظم والاختلاف ، وأدلوا في ذلـك بعلل ، ربمـا امالت الضعيف الغمر ، والحَدَث الغر ، واعترضت بالشبه في القـلوب ، وقدحت بالشكوك في الصدور .[2]

---

(١) العنكبوت : آية ٥٠

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٧ وانظر المغني : فصل في الجواب عن مطاعن المخالفين في القرآن ١٦/٣٣٥ .

ونهض علماء الاسلام ومفكروه منافحين عن كتاب الله وعن اعجازه ، وفي مقدمة هؤلاء علماء الاعتزال الذين توسعوا في الحديث عن موضوع الاعجاز ومنهم رئيسهم ابو اسحق ابراهيم النظام[1] - ٢٢٠ - وابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - ٢٥٥ - الذي الف في ذلك كتابه (نظم القرآن) الذي يقول فيه الخياط : لا يعرف المتكلمون احداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ ، ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه ، وانه حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على نبوته غير كتاب الجاحظ[2] وله في الاعجاز اراء متناثرة بين ثنايا البيان والتبيين وفي الحيوان وله رسالة بعنوان (حجج النبوة) تحدث فيها عن الاعجاز[3] ولم يقتصر بحث الاعجاز على المعتزلة فقط ، فقد تعاوره العلماء المسلمون بالبحث ، والفوا فيه كتباً كثيرة . في القرن الرابع كتب عبدالله بن يزيد ؟ الواسطي - ٣٠٦ - كتاباً سماه : (اعجاز القرآن) ولم يصل الينا وقد شرحه الجرجاني شرحاً كبيراً سماه (المعتضد) وشرحاً آخر اصغر منه[4]

وكتب علي بن عيسى الرّماني - ٣٨٦ - رسالة في الاعجاز سماها - النكت في اعجاز القرآن - وكتب ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي - ٣٧٨ - رسالة بعنوان - بيان اعجاز القرآن .

ووصل بحث الاعجاز الى ذروته في القرن الخامس حيث كتب

---

(١) انظر الرافعي : اعجاز القرآن ص ١٤٤ .

(٢) ابن الخياط : الانتصار ص ١٥٤ .

(٣) نشرها السندوبي ضمن مجموعة « رسائل الجاحظ » .

(٤) الرافعي ص ١٥٣ .

ابو محمد بن الطيب الباقلاني -٤٠٣- امام المتكلمين ومقدم الاصوليين كتابه - اعجاز القرآن - الذي اجمع المتأخرون من بعده على انه باب في الاعجاز على حدة[١] . وقد طبع مرات عديدة .

وكتب محمد بن يحيى بن سراقه - ٤١٠ - كتاباً في الاعجاز لم يصل ، الينا ذكره حاجي خليفة وثمة كتاب ، في اعجاز القرآن للامام محمد بن الهيصم .[٢] والف في ذلك الشريف المرتضى - ٤٣٦ - ولم يصل الينا كتابه[٣] . وكتب عبدالقاهر الجرجاني - ٤٧١ - الرسالة الشافية في اعجاز القرآن[٤] ، وتكلم في الاعجاز ابن حزم الاندلسي في كتابه الفصل في الملل والنحل ، وابن سنان الخفاجي - ٤٦٦ - في كتابه - سر الفصاحة - ولم يخل قرن من القرون التالية لهذا القرن ممن ألف في الاعجاز او بحث فيه .

تفرد القرآن بالاعجاز :

وقد انفرد القرآن بالاعجاز من بين الكتب المقدسة الاخرى كالتوراة والانجيل والصحف . فليس منها ما هو معجز في النظم والتأليف ، وان كان معجزاً فيما يتضمن من الاخبار عن الغيوب ، وانما لم يكن معجزاً لان الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن . ولأنا قد علمنا انه لم يقع التحدي اليه كما وقع التحدي الى القرآن ، ولمعنى آخر : وهو ان ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع

---

(١) الرافعي : تاريخ اداب اللغة العربية ٢/١٠٣ .

(٢) الباخرزي : دمية القصر ورقة ٣٦٤ .

(٣) مقالة عبدالعليم الهندي في المجلة الاسلامية العدد ١ و ٢ سنة ٣٢ The Islamic Culture

(٤) نشرها خلف الله وسلام ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني .

به التفاضل الذي ينتهي الى حد الاعجاز[1] .

تأثير القرآن :

عاش المسلمون الاولون مع القرآن بافكارهم ومشاعرهم، وكانت تلاوته تشيع فيهم جواً روحياً غامراً.تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله[2]

وكان رسول الله (ص) يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[3] وكان يحب ان تستمتع كل حواسه بنشوة القرآن الروحية، فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ص) اقرأ عليّ .فقلت : اعليك أقرأ ، وعليك أنزل ؟ قال : فاني احب ان اسمعه من غيري ، قال ابن مسعود : فافتتحت سورة النساء ، فلما بلغت قوله تعالى : فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً[4] . قال فرأيت عينيه تذرفان ، فقال : حسبك .

وكان ابو بكر (رض) لا يملك دموعه اذا قرأ القرآن ، وصفت السيدة عائشة اباها فقالت : كان رجلاً رقيقاً اذا قرأ القرآن استبكى[5] .

وهكذا كان بقية الصحابة ، يؤثر فيهم القرآن ، وتهزهم آياته (واذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم ايمانا)[6] .

---

(١) الباقلاني ص ٤٤ .
(٢) الزمر : آية ٢٣ .
(٣) القرطبي : التذكار في افضل الاذكار ص ١١١ .
(٤) النساء : آية ٤١ .
(٥) ابن هشام ١٣/٢ .
(٦) الانفال : آية ٢ .

اما موقف العرب المشركين من هذا القرآن فهو الانبهار والحيرة ، فقد وجدوا له في انفسهم تأثيراً لا يقاوَم ، لم يجدوه فيما سواه من الوان الكلام ، ولم يستطع فصحاؤهم انكار روعته في النفوس ، وسلطانه على القلوب فحين جاء الوليد بن المغيرة قريشاً قال : ان الناس يجتمعون غداً بالموسم ، وقد فشا امر هذا الرجل في الناس فهم سائلوكم عنه فماذا تردون عليهم ؟ فقالوا : مجنون يخنق[1] فقال : يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم ! قالوا ، نقول : هو شاعر ، قال : هم العرب وقد رووا الشعر وفيهم الشعراء ، وقوله ليس يشبه الشعر ، فيكذبونكم ! قالوا نقول هو كاهن ، قال : انهم لقوا الكهان فاذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة فيكذبونكم ! ثم انصرف الى منزله فقالوا : صبأ الوليد - يعنون اسلم - ولئن صبأ لا يبقى احد الاصبأ ، فقال لهم ابن اخيه ابو جهل بن هشام ابن المغيرة : انا اكفيكموه ، فأتاه محزوناً فقال : مالك يا ابن اخي ؟ قال : هذه قريش تجمع لك صدقة يتصدقون بها عليك تستعين بها على كبرك وحاجتك ، قال : أولستُ اكثر قريش مالاً ؟! قال : بلى ولكنهم يزعمون انك صبأت لتصقب من فضل طعام محمد واصحابه ، قال : والله ما يشبعون من الطعام فكيف يكون لهم فضول ؟! ثم أتى قريشاً فقال: أتزعمون اني صبأت ولعمري ماصبأت ، انكم قلتم محمد مجنون ، وقد ولد بين اظهركم لم يغب عنكم ليلة ولا يوماً ، فهل رأيتموه يخنق قط ؟ فكيف يكون مجنوناً ولم يخنق قط ؟! وقلتم : شاعر ، وأنتم شعراء فهل احد منكم يقول ما يقول ؟ وقلتم : كاهن .

---

(١) يخنق : حين يتكلم كأنه مخنوق بحبل .

فهل حدثكم محمد في شيء يكون في غد إلاّ ان يقول : ان شاء الله ! قالوا : فكيف نقول يا أبا المغيرة ؟ قال : اقول هو ساحر . فقالوا : وأي شيء السحر؟ قال : شيء يكون ببابل، من حذقه فرق بين الرجل واجرائه ، والرجل وأخيه ، أليس مما تعلمون ، ان محمداً فرق بين فلان وفلانة زوجته ، وبين فلان وابنه ، وبين فلان واخيه ، وبين فلان ومواليه ، فلا ينفعهم ولا يلتفت اليهم ولا يأتيهم ؟ قالوا : بلى فاجتمع رأيهم على ان يقولوا انه ساحر ، وان يردوا الناس عنه بهذا القول ، وانصرف فمر باصحاب النبي (ص) منطلقاً الى رحله ، وهم جلوس في المسجد فقالوا : هل لك يا أبا المغيرة الى خير ؟ فرجع اليهم فقال : ما ذلك الخير ؟ فقالوا : التوحيد ، قال ما يقول صاحبكم إلاّ سحراً وما هو إلاّ قول البشر يرويه عن غيره ، وعبس في وجوههم وبسر ، ثم ادبر الى اهله مكذّباً واستكبر حديثهم الذي قالوا له وعن الايمان، فانزل الله تعالى : انه فكّر وقدّر فقُتل كيف قدّر [1] والى تلك الحادثة تشير الآيات : ذرني ومَن خلقتُ وحيداً ، وجعلتُ له مالاً ممدوداً ، وبنينَ شهوداً ، ومهّدتُ له تمهيداً ثم يطمعُ أن أزيدا ، كلا انه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً : انه فكّر وقدّر ، فقُتل كيف قدّر ثم قُتل كيف قدّر ، ثم نظر ، ثم عبسَ وبسر ، ثم ادبر واستكبر فقال : إن هذا إلاّ سحرٌ يؤثر ، إن هذا إلاّ قول البشر ، سأصليه سقر . [2] وروي انه حين قال له أبو جهل : فقل فيه (اي القرآن) قولاً يبلغ قومك انك كاره له ، قال : وماذا اقول ؟! فوالله مافيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ، ولا باشعار الجن ،

(١) الجرجاني : الرسالة الشافية ص ١١١ .
(٢) المدثر : الآيات ١١ ـ ٢٣ .

والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله ان لقوله الذي يقول حلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه ، مغدق اسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته[1] .

وروي ان عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً حليماً ـ قال يوماً : ألا اقوم الى محمد فأكلمه فاعرض عليه اموراً لعله يقبل منها بعضها ، فنعطيه ايها شاء ؟ وذلك حين اسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا اصحاب النبي (ص) يكثرون ، قالوا : بلى يا أبا الوليد !. فقام اليه ـ وهو صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده ـ فقال : يا ابن اخي ، انك منا حيث علمت من السِّطة في العشيرة والمكان في النسب ، وانك اتيت قومك بامر عظيم ، فرقت بين جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ، وكفرت مَنْ مضى من ابائهم ، فاسمع مني اعرض عليك اموراً ينظر فيها لعلك ان تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله (ص) : قل . قال : ان كنت انما تريد المال بما جئت به من هذا القول ، جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت تريد شرفاً سودناك حتى لانقطع أمراً دونك ... حتى اذا فرغ ، قال له رسول الله (ص) : وقد فرغت ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني ، قال : قل ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيلٌ من الرحمن الرحيم ، كتابٌ فُصِّلت آياتُهُ قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون[2] ثم مضى فيها يقرؤها ، فلما سمعها عتبة انصت له ، والقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها ، يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله

---

(١) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ٢/١١٧ .

(٢) فصلت : آية ١ـ٢ .

(ص) الى السجدة منها فسجد ، ثم قال له : قد سمعت ماسمعت ، فانت وذاك ، فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض . لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس قالوا : ماوراءك ؟ قال : ورائي اني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ، وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة ، يا معشر قريش اطيعوني ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهره على العرب به فملكه ملككم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك بلسانه ! قال هذا رأيٌ فاصنعوا ما بدا لكم [1] .

والحوادث في ذلك كثيرة تدلل على تأثير القرآن في القوم ، واستئثاره بلبهم الى حد جعلهم يسترقون الاستماع اليه ارضاء لفتنة قلوبهم ببيانه ، ففي السيرة ان ابا سفيان بن حرب وابا جهل والاخنس بن شريق .. خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله (ص) وهو يصلي من الليل في بيته فاخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا اول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود فتعاهدوا على ذلك ثم

---

(١) الرسالة الشافية : ص ١٢٣ .

تفرقوا[1] . وحين تأكد لهم سلطان هذا القرآن على النفوس ،وتأثيره في العقول ، تناهوا عن سماعه (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهـذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)[2] .

وقد سجل القرآن حيرة هؤلاء وتخبطهم في الاقوال فقال تعالى: (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين)[3] (بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر)[4] وقالوا : (ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين)[5] . (وقالوا :يا ايها الذي نُزّل عليه الذكر . انك لمجنون)[6] .

وواضح قصد هذه الحملة الظالمة ، فهم يريـدون انكار الرسالة ، وتجريد محمد (ص) من الصلة بالسماء ، ولما عجزوا عن تحقيق غايتهم ، قالوا ليس في هذا القرآن ما يعجز عنه احد منا ، ولو شئنا لقلنا مثله، (واذا تُتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ان هذا الا اساطير الاولين)[7] .

ولم يجد القرآن بعد هذه الافتراءات والاكاذيب الا طريق التحدي لاظهار كذبهم ، واثبات عجزهم ، وذكر المفسرون ان اسباب نزول ايات التحدي انما كانت رداً على تلك الحملات والاكاذيب .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٣١٥/١ .
(٢) فصلت : آية ٢٦ .
(٣) سبأ . آية ٤٣ .
(٤) الانبياء : آية ٥ .
(٥) القصص : آية ٣٦ .
(٦) الحجر : آية ٦ .
(٧) الانفال : آية ٣١ .

فتحداهم في آيات كثيرة ان يأتوا بمثله (فليأتوا بحديثٍ مثله ان كانوا صادقين)[1] ولما عجزوا عن ذلك تحداهم ان يأتوا ببعض منه (ام يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)[2] وحين عجزوا عن ذلك ايضاً تحداهم ان يأتوا بسورة واحدة من مثله (وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله ...)[3] .

وحين بان عجزهم مع هذا التدرج في التحدي ، وعرف كل فصيح منهم انه لا قدرة لبشر على مثله اثبت الله عجز الخلق جميعاً عن الاتيان بمثله ، وانه انما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم[4] فقال : (قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً)[5] .

وقد اتفق اكثر المفسرين وعلماء البلاغة على ان التحدي انما وقع تدريجياً بالاصعب فالاسهل ، تحداهم اولاً ان يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، ثم تحداهم ان يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ثم تحداهم بسورة مثله فعجزوا ،[6] وحين ثبت عليهم ذلك سد عليهم منافذ القول ، بتأكيده عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

ولم يستطع العرب تكذيب هذا التحدي، ولو استطاعوا لفعلوا

---

(١) الطور : آية ٣٤ .
(٢) هود : آية ١٣ .
(٣) البقرة : آية ٢٣ .
(٤) الباقلاني : ص ٢٣ .
(٥) الاسراء : آية ٨٨ .
(٦) انظر مثلا الرازي : التفسير الكبير واليمني : الطراز ٢٧٠/٣ والسيوطي الاتقان ١١٧/٢ والرافعي : اعجاز القرآن ص ٨٨ .

فقد توفرت لديهم جميع اسباب الفصاحة والبيان ، مع الرغبة في تكذيب محمد (ص) والتخلص مما جاء به ، ولو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا ، وتوصلوا الى تخليص انفسهم واهليهم واموالهم من حكمه بامر قريب ، هو عادتهم في لسانهم ، ومالوف من خطابهم ، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال، واكثار المراء والجدال ،وعن الجلاء عن الاوطان ، وعن تسليم الاهل والذرية للسبي ، فلما لم تحصل هناك معارضة منهم ، عُلم انهم عاجزون عنها [1] .

ولم يكن هذا التحدي خاصاً بعصر أو مصر ، وانما هو عام يشمل الازمان ، ويعم الاكوان ، فالقرآن معجزة عامة ، عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ، ولزوم الحجة بها في اول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد [2] .

وثمة ظاهرة وهي ان كثيراً من ذوي اللسان العربي لا يحسون بمعجزة القرآن ، وعلة ذلك ان من كان من اهل اللسان العربي - الا انه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى الى معرفة اساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره - فهو كالاعجمي ، في انه لا يمكنه ان يعرف اعجاز القرآن ... فاما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها ، فهو يعرف القدر الذي ينتهي اليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ، ويتجاوز حدود القدرة ، فليس يخفى عليه اعجاز القرآن ... وهذا كما يميز اهل كل صناعة صنعتهم [3] .

---

(١) الباقلاني : ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٧١ .

(٣) الباقلاني ص ١٧١ .

قدر المعجز :

وقد اختُلف في قدر المعجز من القرآن ، فقيل ان اقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت او طويلة ، او ما كان بقدرها ومنهم من شرط الآيات الكثيرة . ومنهم من لم يشترط كون الاية بقدر السورة وذهب البعض الى ان كل سورة برأسها فهي معجزة[1]

وجوه الاعجاز :

اختلف العلماء في وجه اعجاز القرآن ، وذهبوا في ذلك كل مذهب من القول ، واشهر هذه الاقوال :

١ ـ الصرفة :

وتعني ان الله صرف العرب عن معارضة القرآن والاتيان بمثله قبل التحدي ، مع قدرتهم على ذلك .

واختُلف في وجه الصرفة ايضاً .

فهي عند النظّام ـ الذي اشتهر بالقول بها اكثر من غيره ـ تعني صرف الدواعي عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به ـ القرآن ـ جبراً وتعجيزاً . حتى لو خلاّهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة مثله بلاغة وفصاحة ونظما .[2] ويحكي الاشعري عنه انه قال : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز ان يقدر عليه العباد ، لولا ان الله منعهم بمنع وعجز احدثهما فيهم[3] .

---

(١) انظر الاراء في ذلك كتاب الباقلاني : ص ٣٨٧ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٩ .

(٣) مقالات الاسلاميين ص ٢٢٥ .

ولابن حزم الذي تأثر بالنظّام في مسائل كثيرة ما يشبه هذا القول يقول: ولكن الاعجاز في ذلك انما هو ان الله عز وجل حال بين العباد وبين ان يأتوا بمثله، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة.[1]

وللجاحظ رأي يتفق مع رأي استاذه النظام كثيراً قال: رفع الله من اوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه، ولذلك لم نجد احداً طمع فيه[2] ويوضح الجاحظ كيف يصرف الله اوهام الناس عن المعارضة بقوله: ان الله يقدر على ان يشغل اوهام الناس كيف شاء، فيذكّر بما يشاء، وينسي مايشاء، وهو لا يخلّي الدنيا وتدبير اهلها ومجاري امورها وعاداتها[3].

ويفسر الرماني الصرفة بقوله: وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض اهل العلم في ان القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا احد وجوه الاعجاز[4] وهي عند الشريف المرتضى: ان الله صرفهم، بان سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة، فهذا الصرف خارق للعادة، فصار كسائر المعجزات[5] وهي عند ابن سنان الخفاجي نحو ذلك ايضاً، فرأيه ان وجه اعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سُلبوا

---

(١) ابن حزم الاندلسي: الفصل في الملل والنحل ١/٨٦.

(٢) الحيوان ٤/٣١.

(٣) المصدر السابق ٤/٣٠

(٤) النكت في اعجاز القرآن ص ١٠١.

(٥) الرافعي: اعجاز القرآن ص ١٦٢.

العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك[1].
وقد تعرضت فكرة (الصرفة) الى مناقشات كثيرة، وحاول العلماء الرد عليها، وبرهنوا على بطلانها من عدة وجوه:

اولاً: انه لو كانت المعارضة ممكنة ـ وانما منع منها الصرفة ـ لم يكن الكلام معجزاً، وانما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه[2] ولأمكن من جاء بعد اولئك العرب من الفصحاء ان يأتوا بمثله، وهذا ما لم يحصل.

ثانياً: ان قول الله تعالى: (قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله، ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً) يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى.[3]

ثالثاً: انهم لو كانوا صُرفوا على ما ادّعاه القائلون بذلك لم يكن مَنْ قبلهم من اهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم، وعجيب الرصف، لانهم لم يتحدّوا اليه، ولم تلزمهم حجته، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله، علم ان ما ادّعاه القائلون بالصرفة ظاهر البطلان[4].

رابعاً: لو كانت الصرفة هي سبب الاعجاز، لكان مهما حُط من رتبة البلاغة فيه، ومُنع من مقدار الفصاحة في نظمه، ابلغ في

---

(١) سر الفصاحة ص ١١٠
(٢) الباقلاني ص ٤٢
(٣) المصدر السابق ص ٤٣
(٤) الباقلاني: ص ٤٢.

الاعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ، ومنعوا من معارضته... فكان يستغني عن انزاله على النظم البديع ، واخراجه في المعرض الفصيح العجيب[1] .

خامساً : لو كان عجز العرب عن معارضة القرآن متأتياً عن الصرفة لما بهرتهم بلاغته ، وتعجبوا من فصاحته ، كما مر في كلام الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة ، ولتعجبوا من صرف الله لهم عن معارضته ، ومن ذهاب قدرتهم على ذلك .

سادساً : ان القول بالصرفة يقتضي خروجهم عن العقل ، لانه لا يخلو لو انصرفت دواعيهم من ان يكونوا كذلك ، مع علمهم بانهم يقدرون على مثله ، او مع فقد هذا العلم ، ولا يجوز مع كمال عقولهم ان يعرفوا ذلك مع كونهم قادرين عليه[2] .

واخيراً فان القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب (إن هو الا سحرٌ يؤثر) وهذا زعم رده الله على اهله واكذبهم فيه ، وجعل القول به ضرباً من العمى . (افسحرٌ هذا ام انتم لاتبصرون)[3] .

٢ ـ الاخبار بالغيب :

وذهب بعض العلماء الى ان وجه الاعجاز ما تضمنه القرآن من الاخبار بالغيب ، ويورد هؤلاء ايات كثيرة اخبرت بغيب قد وقع منها (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودينِ الحقٌ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[4] ففعل ذلك ووفّى ما وعد نبيّه (ص)

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) المغني ١٦/٣٢٥ .

(٣) الرافعي : اعجاز القرآن ص ١٦٤ .

(٤) الصف : آية ٩ .

واظهر دينه على الاديان. ومنها (لقد صدقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق، لتدخلُنَّ المسجد الحرام، ان شاء الله آمنين، محلِّقين رؤسكم، ومقصِّرين، لاتخافون....)[1]. فدخلوا كما اخبر. ومنها: (الم. غُلبت الروم في ادنى الارض، وهم من بعد غلبهم سيَغْلبون في بضع سنين)[2] وقد غلب الروم كما اخبر في بضع سنين، وثمة ايات عديدة يوردها اصحاب هذا القول تعضيداً لما ذهبوا اليه، يقول الباقلاني: وجميع الايات التي يتضمنها القرآن من الاخبار عن الغيوب يكثر جداً وانما اردنا ان ننبه بالبعض على الكل[3].

وممن قال بالاخبار بالغيب الرّماني فقد عدّه وجهاً مقبولاً في الاعجاز مع غيره من الوجوه قال: واما الاخبار الصادقة عن الامور المستقبله فانه لما كان لا يجوز ان تقع على الاتفاق دلّ على انها من عند علاّم الغيوب[4].

وقال بهذا الرأي الباقلاني ايضاً وعدّه احد ثلاثة اوجه في الاعجاز قال في معرض تعديده لاوجه الاعجاز: والاخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه[5] ويرى الزمخشري: ان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة[6]. ويؤيد هذا الوجه في اثناء تفسيره فيقول عند تعرضه لتفسير الآية (الذين جعلوا القرآن عضين)

---

(١) الفتح: آية ٢٧.
(٢) الروم: آية ٣٠١.
(٣) اعجاز القرآن ص ٥٠.
(٤) النكت فى اعجاز القرآن ص ١٠٢.
(٥) اعجاز القرآن ص ١٠٢.
(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/٤٢٤.

وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان[1] واكد هذا الرأي في جميع آيات الاخبار بالغيب[2].

ولم يسلم هذا الرأي من النقد والتعريض بل الرفض ، فالاخبار بالغيب ليس بالامر العام الموجود في كل القرآن ، وقد جعل الله في صفة كل سورة ان تكون معجزة بنفسها ، لايقدر احد من الخلق ان يأتي بمثلها ، وليس الاخبار بالغيوب واقعاً في كل سورة[3].

٣ ـ الحديث عن الماضي بالانباء الصادقة :

فقد كان معلوماً من حال النبي (ص) انه كان امياً لا يكتب ، ولا يحسن ان يقرأ ، وكذلك كان معروفاً من حاله انه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين واقاصيصهم وانبائهم وسيرهم ، ثم اتى بجمل ماوقع وحدث من عظيات الامور ومهمات السِيَر من حين خلق الله آدم عليه السلام .. مما لا سبيل اليه الا عن تعلم ، واذ كان معروفاً انه لم يكن ملابساً لاهل الاثار وحملة الاخبار ، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ فيجوز ان يقع اليه كتاب فيأخذ منه ، علم انه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي[4] ، ولذلك قال تعالى: (وما كنتَ تتلو من قبلِه من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون)[5] وقال: (تلك من انباء الغيب ،

---

(١) المصدر السابق ٥٢٠/١ .

(٢) انظر الكشاف ٤٢/١ و ٦٧ و ٢٦٢ و ١٨٤/٢ و ٣٨٧ مثلا .

(٣) الخطابي ص ٢١ . وانظر المغنى ٢٢٠ .

(٤) الباقلاني ص ٥٠ والمغنى ٢٢٠/١٦ وانظر القاضي عياض : الشفاء التعريف بحقوق المصطفى ٢١٧/١ .

(٥) العنكبوت : آية ٤٨ .

نوحيها اليكَ ما كنتَ تعلَمها انت ولا قومُك من قبلِ هذا ...)[1]

ورُدّ هذا الوجه كما رُد الوجه السابق ، ذلك ان معظم القرآن ليس قصصاً او اخباراً .

٤ـ خلوه من التناقض :

فالقرآن معجز بزوال الاختلاف عنه ، والتناقض على مايقتضيه قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[2] فان زوال الاختلاف والتناقض عن القرآن لو كان فعل غير الله تعالى بعيد ، لان العادة لم تجر مثل ذلك في كلام العباد[3] . قال بهذا الوجه بعض مشايخ المعتزلة كما قال به القاضي عبدالجبار عندما أورد هذا الوجه . وذكر هذا الوجه صاحب الطراز ولكنه نقضه بقوله: وهذا فاسدلا وجه ... فالاجماع منعقد على ان التحدي واقع بكل واحدة من سور القرآن ، وقد يوجد في كثير من الخطب والشعر والرسائل مايكون في مقدار سورة خالياً من التناقض ... ولانه لو كان الامر كما قالوه في وجه الاعجاز لم يكن تعجبهم من اصل فصاحته ، وحسن نظمه ، ولوجب ان يكون تعجبهم من اجل سلامته عما قالوه .. ولان السلامة عن المناقضة ليس خارقاً للعادات[4] ، ونقل الرازي هذا الوجه ثم نقضه بقوله : ان صح هذا الوجه فيلزم حينئذ أن نعد كل ما يخلو

---

(١) هود : آية ٤٩ .

(٢) النساء : آية ٨٢ .

(٣) المغني ٣٢٧/١٦

(٤) العلوي اليمني : الطراز ٣٩٣/٣ .

من التناقض من كلام الناس معجزاً[1] وقال بهذا الوجه الرافعي ايضاً[2] .

٥ـ النظم والاسلوب والبلاغة :

وهو الوجه الذي ارتضاه اكثر العلماء ، فقالوا : ان القرآن بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة الى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه[3] وللباقلاني فضل كبير في توضيح هذا الوجه وتفصيله .

ويعد الجاحظ من اسبق ـ ان لم يكن اسبق ـ مَنْ ذهب الى ان القرآن معجز بنظمه ، قال : وفي كتابنا المُنزّل الذي يدلنا على انه صدقٌ نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء فيه[4] وقال بهذا الرأي بعد الجاحظ الواسطي ٣٠٦ هـ ـ وقد الف في ذلك كتاباً اثبت فيه ان القرآن معجز بالنظم ، وهو اول من جوّد الكلام في هذا المذهب[5] وممن ناصر هذا المذهب بعده الرماني ٣٨٤ هـ الذي عرّف البلاغة بانها ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ ، فاعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للعرب خاصة ، واعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم[6] . والخطابي ٣٨٨ هـ الذي يقول : فتفهم الآن واعلم ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بافصح الالفاظ ،

---

(١) نهاية الايجاز ص ٦
(٢) اعجاز القرآن ص ١٦٦
(٣) الباقلاني ص ٥١
(٤) الحيوان ٣٢/٤
(٥) الرافعي ص ١٦٦
(٦) النكت في اعجاز القرآن ص ٦٩

في احسن نظوم التأليف ، مضمناً اصح المعاني[1] وايد هذا المذهب القاضي عبدالجبار فجعل اعجاز القرآن في جزالة لفظه وحسن معناه على وجه لم تبلغه بلاغة العرب فخصه الله تعالى بطريقة خارجة عن نظمهم ونثرهم ، وبقدر من الرتبة في الفصاحة خارج عن عادتهم[2] ، وتابع الجرجاني هؤلاء ، وقرر ان وجه الاعجاز القرآني في النظم والتأليف[3] وجاء الزمخشري بعده مؤيداً لهذا المذهب فقال : النظم.. هو ام اعجاز القرآن ، والقانون الذي وقع عليه التحدي ، ومراعاته اهم ما يجب على المفسر[4] وقد الف الزمخشري تفسيره ليقيم ادلة الاعجاز وشواهده من القرآن نفسه ، واكثر من تكلم في الاعجاز من المحدثين ايدوا المذهب البياني في اعجاز القرآن . من هؤلاء الشيخ محمد عبده في (رسالة التوحيد) ، والرافعي في اعجاز القرآن وامين الخولي في (بحث البلاغة العربية واثر الفلسفة فيها) وفي (التفسير) وسيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) والكتابان الاخيران من انفس الدراسات القرآنية في العصر الحديث .

معارضة القرآن :

خُيل الى بعض الجهّال من الملاحدة ان بامكانهم معارضة القرآن والاتيان بما يشبه كلام الله ، وفي ظنهم ان ذلك سيجمع حولهم الانصار والاتباع ، (وزيّن لهم الشيطان سوء أعمالهم) فادعوا النبوة ، وشايعهم طائفة ممن لا إيمان لهم من اقوامهم حمية وعصبية ،

---

(١) بيان اعجاز القرآن ص ٢٤ .
(٢) المغنى ٢٢٤/١٦ .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٠٠ .
(٤) الكشاف ٢٤/٢ .

ومن اولئك مسيلمة بن حبيب الكذّاب ، تنبأ في بني حنيفة باليمامة ، على عهد رسول الله (ص) ، و كتب اليه في السنة العاشرة للهجرة ، اما بعد : فاني قد شوركت في الارض معك وانما لنا نصف الارض ، ولقريش نصفها ، لكن قريشاً قوم يعتدون .[1] وزعم هذا المتنبىء ان له قرآناً ينزل عليه من السماء يتنزل به ملك يدعى رحمن . ومن هذا القرآن المزعوم . ضفدع بنت ضفدعين ، نقّي ما تنقين ، أعلاك في الماء ، وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين .[2]

ومن كان له ادنى قسط من العقل يدرك ما في هذا الكلام من سخف وتهافت ، فهو دال على جهل مورده ، وضعف عقله ورأيه .. ركيك السجع وسخيفه ، وعلى انه لو كان معجزاً لتعلقت العرب وأهل الردّة به .. وان مسيلمة نفسه لم يدّعِ هذا الكلام معجزاً ، ولا تحدى العرب بمثله فعجزوا عنه ، بل كان في نفسه ونفس كل سامع له اخف واسخف واذل من ان يتعلق به ، ولذلك لا نجد له نبأ ، ولا احداً من العرب تعلق به[3] .

وهذا الكلام خالٍ من كل فائدة ، لا لفظه صحيح ، ولا معناه مستقيم ، ولا فيه شيء من الشرائط الثلاث التي هي اركان البلاغة وانما تكلف هذا الكلام الغث لاجل مافيه من السجع ، والساجع عادته ان يجعل المعاني تابعة لسجعه ، ولا يبالي بما يتكلم به اذا استوت اساجيعه واطّردت .. ولخلو هذا الكلام من كل نوع من الفوائد

---

(١) الحيوان ٦/٢٠٥ .

(٢) الباقلاني : اعجاز القرآن ص ٢٣٩ .

(٣) الباقلاني : التمهيد ص ٢٨ .

قال ابو بكر رضي الله عنه حين طرق سمعه : اشهد ان هذا الكلام لم يخرج من بال .[1]

ولهـذا المتنبي، كلام آخر لا يقل سخفاً عما أوردناه ، قيل بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص الى البحرين ، فتوفي رسول الله (ص) وعمرو هناك . قال عمرو : فاقبلت حتى مررت على مسيلمة فاعطاني الامان ثم قال : ان محمداً أرسل في جسيم الامور وارسلتُ في المحقرات، فقلت : اعرض عليّ ماتقول . فقال : ياضفدع نقي فانك نعم ماتنقين ، لا وارداً تنفرين ، ولا ماء تكدرين ، ياوبر، ياوبر[2] ، يدان وصدر ، وسائرك حضر نفر . ثم أتى اناس يختصمون اليه في نخل قطعها بعضهم لبعض فتسجى بقطيفة ثم كشف رأسه فقال : والليل الادهم ، والذئب الاسحم ، ما جاء بنو ابي مسلم من محرم ، ثم تسجّى الثانية فقال : والليل الدامس، والذئب الهامس، ماحرمته رطبا الاّ كحرمته يابس . قدموا فلا ارى عليكم فيما صنعتم شيئا ، فقال عمرو : امـا والله انك تعلم وإنّا لنعلم انك من الكاذبين ، فتوعدني . وقد صدق عمرو فانه لا يخالج احداً شك في ضلالة مَن هذا سبيله ، وسقوط من هذا برهانه ودليله ، واي بلاغـة في هذا الكلام ؟! واي معنى تحته ، واي حكمة فيه ؟... ولكن البائس أعلم بنفسه حين يقول: ارسلتُ في المحقرات ، ولا يراد احقر مما جاء به واقل[3] . ويعلق الجاحظ على كلماته في الضفدع بقوله : ولا ادري ماهيّج مسيلمة على ذكرها ؟! ولمَ ساء رأيه فيهـا حتى جعل بزعمه

---

(١) الخطابي ص ٥١ . (٢) الوبر : دويبة كالسنور .

(٣) المصدر السابق ص ٥٢ .

فيما نزل عليه من قرآنه[1]

ومن هؤلاء المتنبئين الذين ادّعوا كلاماً انزل عليهم من الله طليحة بن خويلد الاسدي ، تنبأ على عهد رسول الله (ص) وعظم امره بعد وفاته عليه السلام، وكان يزعم ان ذا النون يأتيه بالوحي، وقيل بل يزعمه جبريل ، ولم يدّعِ ان له قرآناً وانما كانت له كلمات يزعم انها انزلت عليه[2] منها قوله :[3] ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح ادباركم شيئاً ، فاذكروا الله قياماً ، فان الرغوة فوق الصريح .[4]

وفي أثناء حربه مع خالد بن الوليد سأله عيينة بن حصن وكان من اتباعه ، هل جاء ذو النون بشيء ؟ قال : نعم قد جاءني ، وقال لي : ان لك يوماً ستلقاه ليس لك أوله ولكن لك آخره ، ورحىً كرحاه ، وحديثاً لا تنساه[5] وليس هذا الكلام بأقل سخفاً وحماقة من كلام مسيلمة .

أما سجاح بنت الحارث فقد تنبأت في اخوالها بني تغلب بعد وفاة رسول الله (ص) ، ولم تدّعِ قرآناً ، وانما كانت تزعم انه يوحَى اليها بما تأمر ، وتسجع في ذلك سجعاً كقولها حين توجهت الى مسيلمة : عليكم باليمامة، ودفّوا دفيف الحمامة، فانها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعد ملامة[6] . وليس هذا بأقل ركة واضطرابا من سابقيها ، وما

---

(١) الحيوان ٥/٥٣٠
(٢) الرافعي ص ١٩٩
(٣) ياقوت : معجم البلدان ٣/٥٧٧ (اوربية)
(٤) الرغوة : ما فوق اللبن ، والكلمة مثل جاء في العبارة حشواً .
(٥) معجم البلدان ١/٦٠١
(٦) الرافعي ص ٢٠١ .

كانت نبوّتها إلاّ زفافاً على مسيلمة كما يقول الرافعي .

واتُّهم الشاعر أبو الطيب المتنبي بانه ادعى النبوة وعارض القرآن واتُّهم كذلك ابن المقفع ثم أبو العلاء المعري ، وقد نفى الرافعي هذه التهمة عن هؤلاء الثلاثة ، وبرأهم مما نسب اليهم ، وأكد انهم ابصر بأنفسهم وبطبقة الكلام الذي يعارضونه[1] .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٠٢-٢١٢

الفَخْـــرُ

الفخر الاسلامي على نوعين ، فـردي ذاتي يتحدث فيه الشاعر عن فضائله ، ويبين ما يمتاز به من كريم الخصال ومحمود الصفات ، وجماعي ، يوضح فيه محاسن قومه ويجلّي مآثرهم ، ويشيد بهم ، أو يتحدث عن جماعة المسلمين الذين آمنوا بالدين الجديد .

ويستغرق هذا الفن من الشعر الاسلامي اكثره ، وقد تطور على أيدي الشعراء الاسلاميين تطـوراً كبيراً ، يمكن ان نلمسه اذا استقصينا المآثر التي فخر بها هؤلاء الشعراء ، فلم يعُد يفخر احدهم باعلاء كلمة القبيلة أو رفع شأنها ، أو كسب المغنم ، وسبي الاعداء ، بل بهداية الله و الاعتزاز بإتباع الرسول (ص) وبالخلاص من عذاب النار ، ويبدو ذلك واضحاً في شعر قيس بن نشبة السلمي حيث قال:[1]

تابعتُ دين محمـد ورضيتـه	كل الرضـا لامانتي ولديني
ذاك امرؤ نازعته قول العدا	وعقدت فيـه يمينه بيميني
قد كنت آمله وانظر دهره	فالله قـدّر انـه يهـديني
اعني ابن آمنة الامين ومن به	ارجو السلامة من عذاب الهُون

وفخروا بنيل الشهادة في سبيل الله وتأييد الملائكة لهم في القتال وانتصار جند الله كما هو واضح في قول كعب بن مالك الأنصاري:[2]

---

(١) الاصابة ٣/٢٥٠ .

(٢) الديوان ص ٢٥٥ .

ويوم بدر لقينا كم لنا مَددٌ فيه مع النصر ميكالٌ وجبريل
ان تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

وقد فخروا بالدين الجديد والايمان بالله العلي القدير فقال عبد عمرو ابن عبد جبل الكلبي :[1]

اجبت رسول الله اذ جاء بالهدى
فاصبحت بعد الجهد لله أوحرا[2]
وودعت كذاب اللقاح وقد أرى
بها سدكا عمري وللهو اصورا[3]
وآمنت بالله العلي مكانه
واصبحت للاديان ماعشت منكرا

ويفخر شاعر آخر اسمه العوام بن جهيل بهداية الله قومه بعدما تهوّد الحائزون منهم وتنصّروا واتبع آخرون منهم الاوثان فقال:[4]

من مبلغ عنا شامي قومنا ومن حل بالاجواف سراً وجهرا
بأنا هدانا الله للحق بعدما تهوّد منا حائرٌ وتنصّرا
وانّا سرينا من يغوث وقربه يعوق وتابعناك ياخير الورى

وكانت مبايعة رسول الله (ص) من افضل ما فخر به الشعراء. فهذا بحر بن ضبع يفخر بمبايعة جده ومصافحته رسول الله (ص) :[5]

---

(١) الاصابة ٢/٤٢١
(٢) أوحر : أغضب .
(٣) سدكا : مولعاً . اصور : مائل
(٤) الاصابة ٣/٤١
(٥) اسد الغابة ١/١٦٦

وَجَدِّي الذي عاطى الرسول يمينه وخبّت اليه من بعيد رواحله

ونخر العباس بن عصيم ببيعة أبيه وعمه وبوفود قومه على رسول الله (ص) فقال :[1]

عصيم ابي زار النبي محمدا وعمي سواء قل هذا التفاخر
حملنا رسول الله ثم اتا ابي بخير يسمو له كل ناظر
ولما دعا داعٍ لدين محمد وفدنا فمنا كان ايمن زائر

ومن المعاني التي فخر بها الشعراء المسلمون ذودهم المشركين عن عن الكفر وباعانة الله المسلمين ، قال كعب بن مالك :[2]

يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمن رَاءٍ وسامع
اذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصرٌ من الله واسع

وفخر حسان بقتال المسلمين المشركين حتى يؤمنوا فقال:[3]

ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا
على دينه بالمرهفات الصوارم

وجاء فخر عروش بن المفترس الاسدي مؤكداً هذا المعنى فقال:[4]

نحن الذين اعتصبنا الناس كلهم حتى اهتدى طائع منهم ومعشور[5]
حتى اقاموا قناة الدين واعتدلوا فالسيف عبد وقلب القوم مشهور

---

(١) الاصابة ٢/٤٧٦
(٢) الديوان ص ٢٣٠
(٣) ابن هشام ٢/٥٦٦
(٤) الاصابة ٣/١٠٦
(٥) معشور : أحمق

ولم تمنع هذه المعاني الجديدة ان يفخر الشعراء ببعض المـآثر التي كان يفخر بها الجاهليون، فان الاسلام اقرّ كثيراً مما تعارفت العرب على الاعتزاز به كالحلم الذي لا يخالطه الجهل، واطعـام الناس حين يعمهم القحط، والجود بكل ما تحويـه الايدي كما قال ابو صـرمة الانصاري :[1]

لنا صرم يزول الحق فيها   واخلاق يسود بها الفقير
ونصح للعشيرة حيث كانوا   اذا ملئت من الغش الصدور
وحلم لا يسوغ الجهل فيه   واطعام اذا قحط العبير
بذات يد على ما كان فيها   نجود به قليل او كثير

ومن هذه المعاني القوة والكرم كما قال كعب بن مالك في خيبر :[2]

ونحن وردنا خـيبراً وفروضهـا
بكل فتىً عاري الاشاجع مذود[3]
جواد لدى الغايات لا واهن القوى
جريء على الاعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة
ضروب بنصل المشـرفيّ المهند[4]

---

(١) الاستيعاب ٤/١٠٧ .

(٢) الديوان ص ١٩٦ .

(٣) الفروض : المواضع التي يشرب منها من الانهار . الاشاجع : جمع الأشجع وهو العصب الممدود فوق السلامى من بين الرسغ الى اصول الاصابع فوق ظهر الكف. عاري الاشاجع : من اشاجعه عارية من اللحم غير غليظة لممارسته الحروب . مذود : شديد البأس في القتال .

(٤) المشرفي : السيف نسبة الى مشارف . المهند : السيف المنسوب الى الهند .

وفخروا بالوفاء وهو من ابرز الخصائص التي عرف بها العربي في الجاهلية فقال عقبة بن النعمان العتكي في حروب الردة :[1]

وَفينا وفِينا يفيض الوفاء ... وفينـا مفرخ افراخــه
كـذاك الوفاء يزين الرجال ... كما زيّن الصدق شمراخــه[2]
وَفينا لعمرو وقلنـا له ... وقد نفخ الراي نفاخــه

وفخروا بالسيادة فقال حسان :[3]

بني دارم لا تفخروا ان فخركم
يعود وبالاً عند ذكر المكارم[4]
هبلتم علينـا تفخـرون وانتم
لنا خـول ما بين ظئرٍ وخادم[5]

ومن تأكيده معنى السيادة قوله في مطلع هذه القصيدة :

هل المجد الا السؤدد العود والندى
وجاه الملوك واحتمال العظائم

ونحسُّ في فخر مسهر بن النعمان بن عمرو القرشي ضرباً من المبالغة التي عُرف بها الجاهليون حيث قال :[6]

لكل اناس سـلّم يرتقى بـه ... وليس الينا في السلالم مطلع

---

(١) الاصابة ٣/١٠٨

(٢) شمراخه : العثكال الذي عليه البسر .

(٣) ابن هشام ٢/٥٦٦

(٤) وبالا : الثقل .

(٥) هبلتم : فقدتم وثكلتم . الظئر : التي ترضع ولد غيرها . وقد تأخذ على ذلك اجراً ، وأصله الناقة تعطف على ولد غيرها .

(٦) الاصابة ٣/٤٧١

وينفر منا كل وحش وينتمي — الى وحشنا وحش البلاد فيرتع

وتسود هذه النغمة الجاهلية فخرَ حسان فقد فخر بأيام قومه الجاهلية وبماضيه الذي سبق الاسلام حيث يقول :[1]

ابن خالي خطيب جابية الجـو
لان عند النعمان حين يقوم[2]
وأبي في سميحة القائل الفاصل
يوم التقت عليه الخصـوم[3]
وانا الصقر عند باب ابن سلمى
يوم نعمان في الكبول مقيم[4]
وأبـي وواقـد أطلقـا لي
ثم رحنا وقفلهـم محطـوم[5]

ويكرّر هذه المعاني والصور في أحد ايضاً فيقول :[6]

ان تسألي الاقـوام عني فانني
الى محتد تنمي اليـه المحـاتد
انا الزائر الصقر ابن سلمى وعنده
ابيّ ونعمـان وعمرو وواقـد

(١) ابن هشام ١٤٩/٢

(٢) خالي : يريد به مسلمة بن مخلد . الجابية : الحوض الصغير . الجـولان : موضع بالشام .

(٣) سميحة : بئر بالمدينة كان عندها إحتكام الأوس والخزرج في حروبهم الى ثابت بن المنذر والد حسان .

(٤) الـكبول : القيود — (٥) محطوم : مكسور

(٦) الديوان ص ١١٤

فاورثنا مجداً ومن يجن مثلها
بحيث اجتناها ينقلب وهو حامد
جدي خطيب الناس يوم سميحة
وعمي ابن هند مطعم الطير خالد[1]

ولم ينس الشعراء اقوامهم ، فبرّوا بهم ، وذكروا مآثرهم ، غير ان فخرهم بهم لم يكن على اساس قبلي ، وانما باعتبارهم انصار الاسلام وحملة دعوته الاوائل الذين اختارهم الله من بين البرية ليقودوا الناس من الظلمات الى النور . قال كعب بن مالك الانصاري :[2]

الله أكرمنا بنصر نبيّنا ... وبنا أقام دعائم الاسلام
وبنا أعزَّ نبيَّه ووليّه ... وأعزنا بالنصر والإقدام
في كل معترك تطير نفوسنا ... تلك الجماجم عن فراخ الهام[3]
نحن الخيار من البرية كلها ... ونظامها وزمام كل زمام[4]

ومن ذلك فخر قيس بن سعد بن عبادة بقومه الانصار حيث يقول :[5]

هذا اللواء الذي كنا نُخصُّ به ... مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضرّ من كانت الانصار عيبته ... ان لا يكون له من غيرهم أحد[6]

---

(١) انظر قصيدة النابغة الجعدي في ديوانه ص ٦٠ . فقد زخرت بهذه المعاني أيضاً .
(٢) الديوان ص ٢٦٨
(٣) فراخ : ولد الطائر . ويريد بها هنا الدماغ .
(٤) زمام : مقود .
(٥) اسد الغابة ٤/٢١٦
(٦) عيبة : وعاء من أدم يكون فيها المتاع والثياب .

وفخر بجير بن عمران الخزاعي بقومه ايضاً معدداً مزاياهم فقال: [1]

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا
ركام السحاب الهيدب المتراكب [2]
وهجرتنا في أرضنا عندنا بها
كتاب لنا من خير مملٍ وكاتب
ومن اجلنا حلَّت بمكة حرمة
لندرك ثأراً بالسيوف القواضب

وجاءت قصيدة النعمان بن العجلان سجلاً كاملاً لمفاخر الانصار حيث قال: [3]

فقل لقريش نحن أصحاب مكة
ويوم حنين والفوارس في بدر
واصحاب أُحد والنضير وخيبر
ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بأرض الشام اذ قتل جعفر
وزيد وعبدالله في علق يجري
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله
نطاعن فيه بالمثقفة السمر
ونضرب في يوم العجاجة ارؤساً
ببيض كأمثال البروق على الكفر

(١) ابن هشام ٢/٤٢٨
(٢) المتراكب: الذي يركب بعضه بعضا. الهيدب: المتداني من الارض.
(٣) الاستيعاب ٣/٥٢١

نصرنا وآوينا النبيّ ولم نخف
صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم
واهلًا وسهلًا قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنـا وديـارنـا
كقسمة أيسار الجزور على الشطر
ونكفيكم الامر الذي تكرهونه
وكنا اناساً نذهب العسر باليسر

وفخر بشر بن عرفطة الجهني بقومه يوم الفتح فقال :[1]

ونحن غـداة الفتح عند محمـد
طلعنا أمامَ الناس الفاً مقـدما
ويوم حنين قـد شهدنا هياجـة
وقد كان يوماً ناقع الموت مظلما

ويتضح هذا الاتجاه باجلى صورة في فخر العباس بن مرداس يوم حنين فقد زخرفخره بالاعتزاز بقومه وبالاشادة بفضائل قبيلته حيث قال مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم :[2].

ياخاتم النُبا، انـك مرسـل بالحق كل هدى السبيل هداكا
ان الاله بنى عليـك محبـة في خلقه ومحمـداً سمّاكا
ثم الذين وفوا بمـا عاهدتهم جند بعثت عليهم الضحّاكا

(١) الاصابة ١/١٥٤
(٢) ابن هشام ٢/٤٦٠ .

الى ان يقول :

وبنو سليم معنقون امامه ضرباً وطعنا في العدو دراكا[1]
يمشون تحت لوائه وكأنهم اسْد العرين اردن ثمّ عراكا[2]
ما يرتجون من القريب قرابة الا لطاعة ربهم وهواكا
هذي مشاهدنا التي كانت لنا معروفةً وولينا مولاكا

ويكرر هذه المعاني في قصيدة اخرى وفي اليوم نفسه فيقول:[3]

فهناك اذ نُصر النبي بألفنا عقد النبي لنا لواء يلمع
فزنا برايته واورث عقده مجد الحياة وسؤدداً لا يُنزع
وغداة نحن مع النبي جناحه ببطاح مكة والقنا يتهزّع[4]
كانت اجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنّع[5]
نُصر النبي بنا وكنا معشراً في كل نائبة نضرّ وننفع

ومن مفاخره في هذا اليوم ايضاً قوله :[6]

فجئنا بالف من سُليم عليهم لبوس لهم من نسج داود رائع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا قراع الاعادي منهمُ والوقائع
امام رسول الله يخفق فوقنا لواء كخذروف السحابة لامع[7]

---

(١) معنقون : مسرعون . دراك : متتابع .
(٢) العراك : المدافعة في الحرب .
(٣) ابن هشام ٤٦٢/٢ .
(٤) يتهزع : يضطرب ويتحرك .
(٥) الحاسر : الذي لا درع عليه . والمقنع : الذي على رأسه مغفر .
(٦) ابن هشام ٤٦٣/٢ .
(٧) خذروف السحابة : طرفها . واراد به هنا سرعة تحرك هذا اللواء واضطرابه .

ويصل به الفخر بقومه الغاية حين يقول :[1]

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
ولّى الشباب وزار الشيب والزّعر[2]
واذكر بلاء سليم في مواطنها
وفي سُليم لأهل الفخر مفتخر
قوم نصروا الرحمن واتبعوا
دين الرسول وأمر الناس مشتجر[3]

وقد امتزج هذا الفخر بحماسة كان يستمدها الشعراء من فروسيتهم فتحدثوا عن شجاعتهم وبطولاتهم كما كان يفعل الشعراء الجاهليون . فجاء شعر خباب بن الارّت صورة صادقة لبطولات المسلمين في فتوح الشام حيث يقول :[4]

نحن قفلنا كل وافٍ سبيله
من الروم معروف النجاد منطّق
ونحن طلّقنا بالرماح نساءهم
وأبنا الى ازواجنا لم تُطلق
وكم من قتيل ارهقته سيوفنا
كفاحاً وكف قد أطيحت واسوق[5]

وتحدث كعب بن مالك عن بلائه وبلاء المسلمين في الحرب

(١) ابن هشام ٢/٤٦٦ .
(٢) الزعر : قلة الشعر .
(٣) مشتجر : مختلف .
(٤) الاصابة ٣/١١٠
(٥) اسوق : جمع ساق

وعن شجاعتهم في المعارك وتقتيلهم للعظماء حديث الابطال فقال :[1]

فساروا وسرنا فالتقينا كأننـا
اسود لقاء لا يُرّجى كليمها[2]

ضربناهمُ حتى هوى في مكرنا
لمنخر سوء من لؤي عظيمها[3]

فولّوا ودسنـاهم ببيض صوارم
سواءٌ علينا حلفها وصميمهـا[4]

وتحدث سعد بن ابي وقاص حديث الفرسان الشجعان فصور بلاءه بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :[5]

الاهل جا رسول الله اني حميت صحابتي بصدور نبل
اذود بهـا عـدوهم ذياداً بكل حزونة وبكل سهل
فمـا يعتدّ رامٍ من معد بسهم مع رسول الله قبلي

وفي اثناء هذا الفخر كان الشعراء يأتون على وصف عدة الحرب، وكانت هذه العدة محدودة تنحصر بالخيل والسيف والرمح والقوس والدرع والسهم والنبل .

فخيول المسلمين كالأسود شجاعة ، عارية القـوائم ، مكتنزة اللحم ، نشيطة كأنها كلاب الصيد الضارية ، تردي العـدو وتعود بأسلابه ، خفيفة في الحروب ، عابسة عند لقاء العدو ، ولا تقتصر

---

(١) الديوان ص ٢٦٦
(٢) الكليم : الجريح
(٣) المكر : موضع الحرب . المنخر : ثقب الانف
(٤) حلفها : من كان حليفاً فيهم وليس منهم . الصميم : الخالص من القوم
(٥) الاستيعاب ١٩/٢

فائدتها على الحروب بل تتعداها الى اوقات السلم ايضاً ، فتحمي المواشي ، وتصون الكلأ ، فهي للحفظ في السلم ، كما كانت للدفاع والاغارة وقت الحرب ، قال كعب بن مالك :[1]

ونزائعاً مثل السّراح نما بها
علف الشعير وجزّة المقضاب[2]

عريَ الشوى منها وأردف نحضها
جرد المتون وسائر الاراب[3]

قُوداً تُراح الى الصيّاح اذا غدت
فعل الضراء تُراح للكلاّب[4]

وتحوط سائمة الديار وتارةً
تُردي العدى وتؤوب بالاسلاب[5]

حوش الوحوش مطارة عند الوغى
عُبس اللقاء مبينة الانجاب[6]

والمسلمون لا يطعمون خيولهم دفعة واحدة ، وانما يغرونها غرّاً لئلا تثقل بطونها فتتعثر في الجري ، وقد حذّاها القوم من صخر

(١) الديوان ص ١٧٨ .

(٢) النزائع : جمع نزيع ، وهي الخيول العربية التي انتزعت من ارضها وحملت الى ارض اخرى . والسراح : الذئاب . جزة المقضاب : ما يجز لها من نبات فتطعمه .

(٣) الشوى : القوائم . النحض : اللحم . وجرد المتون : ملس الظهور . والآراب : الأعضاء ، واحدها ارب .

(٤) قود : جمع اقود وقوداء ، وهو الفرس الطويل العنق . تراح : تنشط ، والضراء : الكلاب الضارية للصيد . والكلاب : جمع كالب وهو الصائد صاحب الكلاب.

(٥) السائمة : الماشية المرسلة في المرعى . وتردي : تهلك . تؤوب : ترجع .

(٦) حوش الوحوش : تطرد الوحوش . المطاردة : المستخفة .

الصحراء ، لا تقيم في ارض الاّ لتنطلق الى اخرى ، ولا تهدأ الا لتنشط مرةً اخرى ، كما قال عبدالله بن رواحة :[1]

جلبنا الخيل من أجأوفرعٍ ... تُغَرّ من الحشيش لها العكوم[2]
حذوناها من الصوّان سِبتاً ... أزل كأن صفحته اديم[3]
اقامت ليلتين على معان ... فاعقب بعد فترتها جموم[4]
فرحنا والجياد مسوّمات ... تنفس في مناخرها السموم[5]
فعبّأنا اعنتها فجاءت ... عوابس والغبار لها بريم[6]

وهي تامة الخلقة ، ليست كخيول الناس حتى في سني القحط ، تنازع اعنتها اذا سمعت من يناديها ، وتصغي لمن يدعوها قال كعب بن مالك:[7]

نصبّحكم بكل اخي حروب ... وكل مطهّم سلس القياد[8]
وكل طمرّة خفق حشاها ... تدفّ دفيف صفراء الجراد[9]

---

(١) ابن هشام ٢/٢٧٥ .

(٢) اجأوفرع : جبلان لطيىء . تغر : تطعم شيئاً فشيئاً . العكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٣) حذوناها : جعلنا لها حذاء . الصوان : حجارة ملس . السبت : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة . ازل : املس . الاديم : الجلد .

(٤) الفترة : الضعف والسكون . الجموم : اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة .

(٥) مسومات : مرسلات . والسموم : الريح الحارة .

(٦) البريم : يريد ما علاها من الغبار فخالط لونه لونها .

(٧) الديوان ص ٢٢٦

(٨) مطهم : الفرس التام الخلق

(٩) الطمرة : الفرس الخفيفة . وتدف : تسرع . صفراء الجراد : التي القت بيضها فخف طيرانها .

وكل مقلّص الآراب نهـد   نميم الخلق من أُخر وهادي[1]
خيول لا تُضاع اذا أُضيعت   خيول الناس في السَّنة الجماد[2]
ينازعن الاعنـة مصغيات   اذا نادى الى الفزع المنادي[3]

وهي تثير الغبار في العدْو وتنازع اللجام عند الانطلاق، حاملة رماحاً مشرعة نحو الاعداء فوق اكتافها كما وصفها حسان:[4]

عُدمنا خيلنا ان لم تروهـا   تثير النقع موعدها كداء.[5]
ينازعـن الاعنة مصغيات   على اكتافهـا الاسل الظماء.[6]

اما القسي التي كان يستعملها المسلمون في حروبهم فهي مصنوعة من أحسن انواع الخشب، خشب النبع الذي كان ينبت في قمم الجبال وسهامهم مرشوشة بالسـم، لتصيب مقتلاً ممن تُصوب اليه كما قال كعب بن مالك:[7]

تهادى قسيُّ النبع فينا وفيهم   وما هو إلاّ اليثربي المقطّع[8]
ومنجوفـة حرمية صاعدية   يذرّ عليها السم ساعة تُصنع[9]
تصوَّب بابدان الرجال وتارة   تمر باعراض البصـار تقعقع[10]

---

(١) الآراب: جمع اربة وهي قطعة اللحم. النهد: الغليظ. الهادي: العنق.
(٢) السنة الجماد: سنة القحط والجدب
(٣) الاعنة: جمع عنان وهو اللجام
(٤) ابن هشام ٢/٤٢٢
(٥) النقع: الغبار. كداء: ثنية باعلى مكة
(٦) مصغيات: موائل منحرفات للطعن. الاسل: الرماح. الظماء: العطاش.
(٧) الديوان ص ٢٢٦
(٨) النبع: شجر تصنع منه القسي. اليثربي: الاوتار نسبة الى يثرب.
(٩) المنجوفة: السهام المثقفة. الحرمية: نسبة الى اهل الحرم. الصاعدية: نسبة الى صانع معروف وقيل الى صعدة قرية في اليمن
(١٠) تصوب: تقع. البصار: جمع بصرة وهي الحجارة اللينة. تقعقع: تصوت.

وللسيوف مكانتها في فخر المسلمين ، فهي بيض صارمة تكسر سلاح الاعداء وان كان من حديد ، وتنحر منهم كل طالب للحرب قال حسان :[1]

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي ... جُنن الحديد وهامة المرتاد[2]

يُورِدُ بحدها الاعداء كؤوس الموت ، فلا ينفل لها حد ، ولا ينحني شكل ، تلمع بايدي ابطال المسلمين كبرق الخريف :[3]

تعاور ايمانهم بينهم ... كؤوس المنايا بحد الظبينا[4]
شهدنا فكنا اولي بأسه ... وتحت العماية والمُعلمينا[5]
بخرس حسان الرواء ... وبصرية قد أجمن الجفونا[6]
فما ينفللن وما ينحنين ... وما ينتهين اذا ما نُهينا
كبرق الخريف بايدي الكماة ... يفجّعن بالطلّ هاماً سكونا[7]

وتحدث الشعراء عن الرماح التي كانوا يحملونها في حروبهم فنعتوها بالاستقامة، قال بجير بن زهير بن ابي سلمى في يوم الفتح :[8]

فرحنا والجياد تجول فيهم ... بارماح مقوّمة الثقاف
فابنا غانمين بما اشتهينا ... وآبوا نادمين على الخلاف

---

(١) ابن هشام ٢/٢٨٦

(٢) تجتلي : تقطع . والجنن : جمع جنة ، وهي السلاح . المرتاد : الطالب للحرب .

(٣) الديوان ص ٢٧٦

(٤) تعاور : تداول . والظبين : جمع ظبة وهي حد السيف

(٥) العماية السحابة

(٦) الخرس : التى لا صوت لها ، ويعنى بها السيوف. الرواء : الممتلئة من الدم
بصرية : منسوبة الى بصرى من ارض الشام

(٧) الطل : ماطل من دمهم ، ولم يؤخذ لهم بالثار . السكون : المقيمات، الثوابت

(٨) ابن هشام ٢/٤٢٦

وتحدثوا عن الدروع في مجال فخرهم فنسبوها الى نسج داود وتُبَّع قال العباس بن مرداس :[1]

كانت اجابتنا لداعي ربنا بالحق منا حاسر ومقنَّع
في كل سابغة تخيَّر سردها داود اذ نسجَ الحديد وتُبَّع[2]

وقد بلغت هذه الدروع من السعة حداً مس الارض ما فضل منها وهي تخشخش على ابدان المجاهدين كأنها غدير تصفقه الريح فيجيء ويذهب، وقد أحكمت بمسامير لامعة كأنها عيون الجنادب قال كعب بن مالك :[3]

في كل سابغة تخط فضولها كالنهيّ هبت ريحه المترقرق[4]
بيضاء محكمة كأن قتيرها حدق الجنادب ذات شك موثق[5]

ومعروف ان هؤلاء الشعراء حين كانوا يُضفون على اسلحتهم احسن الصفات وينعتونها بأكمل النعوت انما يفعلون ذلك للتدليل على فضل حاملها وبطولته وبذلك ينفذون الى الفخر .

---

(١) المصدر السابق ٤٦٢/٢

(٢) السابغة : الدرع الكاملة . وسردها : نسجها . وتبع : من ملوك اليمن

(٣) الديوان ص ٢٤٥

(٤) تخط : ينجر على الارض ما فضل منها . النهي : الغدير من الماء . المترقرق : الذي تصفقه الريح فيجيء ويذهب .

(٥) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : ذكور الجراد . الشك : إحكام السرد .

المديح

لم يكن المديح في شعر الفترة الاسلامية كثيراً فقد كان يعده المسلمون مظهراً من مظاهر الأبهه والتعاظم والكبرياء ، وكل هذه الصفات مما نهى عنه الدين ، بل أوصى بضدها . فالنبي (ص) لم يكن راغباً في أن يمتدحه الشعراء بما كان يُمتدح به الملوك . بل كان همّه أن ينصرف الشعراء الى تأكيد امور الدين الجديد ، والعمل على نشره بين الناس ، والتمكين له في الارض ، وحين تولى الخلفاء الراشدون الأمر بعده ، لم يتغير موقفهم ازاء المديح عن موقف الرسول (ص) فلم يُعرف عن أحد منهم انه كان يتخذ مجلسه ندوة للشعراء يتبارون في مدحه استزادة في عطائه - كما حصل فيما بعد - لذلك كان أغلب ما جاء من مديح الشعراء سياسياً فهو الى جانب العواطف الدينيه التي سيطرت عليه كانت له اهداف سياسية آمن بها الشعراء ، ويريدون لمبادئها الانتشار بين الناس . ومن هذه المبادىء التي حاول الشعر تأكيدها هداية الرسالة الاسلامية على نحو ما نرى في قول أسيد بن اناس في مدح رسول الله (ص) :[1]

وأنت الفتى تهدي معداً لدينها ... بل الله يهديها وقال لك اشهد

وأكد حسان هداية صاحب الرسالة (ص) فقال :[2]

---

(١) أسد الغابة ١/٨٩

(٢) الديوان ص ٨١

وافٍ وماضٍ شهابٌ يستضاءُ به بدرٌ أنار على كل الأماجيد[1]
مباركٌ كضياء البدر صورتهُ ما قال قضاءً غير مردود

ويؤكد كعب بن مالك هذا المعنى ايضاً فيقول :[2]

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضيء له فضل على الشُهب
بدا لنا فاتبعناه نصدّقه وكذبوه فكنّا أسعد العرب

ومن المبادىء التي كان يحاول الشعراء ارساءها في اذهان المسلمين صلة الرسالة التي جاء بها محمد (ص) بالسماء وانها من عند الله وفي ذلك يقول نمط الهمداني :[3]

حلفت برب الراقصات الى منىً صوادر بالركبان من هضب قردد[4]
بأنّ رسول الله مصدّق رسول أتى من ذي العرش مهتدي

وتناول كعب بن مالك هذا المعنى فاوضح في شعره ان الوحي كان يتنزل على رسول الله من عند الله تعالى فقال :[5]

وفينا رسول الله نتبع أمره اذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلّى عليه الروح من عند ربه يُنزَّل من جوّ السماء ويُرفع

واشار قيس بن طريف الى صلة رسالة محمد (ص) بالله وانه تعالى هو الذي انزل عليه كتاباً فيه شرعة الاسلام فقال :[6]

---

(١) الاماجيد : أي الاماجد وم الاشراف
(٢) الديوان ص ١٧٤
(٣) ابن هشام ٢/٥٩٩
(٤) الراقصات : الابل، والرقص ضرب من السير فيه حركة . وصوادر : رواجع والقردد : ما ارتفع من الارض .
(٥) الديوان ص ٢٢٤
(٦) الاصابة ٣/٢٤٢

رسول من الرحمن يتلو كتابه   وشرعته والحق لم يتلعثم

واكد أصيد بن سلمة السلمي هذه الصلة فذكر ان الله تعالى هو الذي اختار محمداً (ص) ليبلغ من في الارض رسالة السماء فقال :[1]

ان الذي سمك السماء بقدرة   حتى علا في ملكه فتوحّدا
بعث الذي، لا مثله فيما مضى   يدعو لرحمته النبي محمـدا

ومن تلك المبادىء الايمـان بقيادة الرسول (ص) الحكيمة والانقياد لها وتأكيد فضلها على الامة ، اذ جمعت الامة بعد تفرق ، واصلحته بعد خلل ، والى هذه المعـاني يشير كعب في مدحـه الرسول (ص) :[2]

لمّ الاله به شعثاً ورمّ به   امور امته والامر منتشر[3]

وصور الشعراء مُثلهم العليا من خلال مديحهم وتعديدهم صفات الممدوحين ، لانهم لم يصطنعوا المديح لمكسب اوجاه وانما كان من اجل فكرة آمنوا بها ، وعقيدة التزموا مبادئها ، فجاء مديحهم متأثراً الى حد بعيد بما جاء به الاسلام من مناقب تختلف عما كان يمدح به الشعراء الجـاهليون ، ومن هذه المناقب الجديدة العدل في السيرة والالتزام بالحق والى ذلك يشير كعب بن مالك في مدحـه رسول الله (ص) :[4]

الحق منطقه والعدل سيرته   فمن يجبه اليه ينجُ من تبب[5]

---

(١) اسد الغابة ١/١٠١
(٢) الديوان ص ٢٠٨
(٣) الشعث : بفتح العين او سكونها انتشار الامر وخلله . رم : اصلح
(٤) الديوان ص ١٧٤
(٥) التبب : الخسران والهلاك

ومدح حسان الرسول (ص) بذلك فقال:[1]

فمن كان او يكون كأحمد نظامٌ لحق أو نكال لملحد

واوضح النابغة الجعدي هذا الالتزام بالحق والمساواة بين الناس في سيرة عبدالله بن الزبير حين مدحه فقال:[2]

وسوّيت بين الناس في الحق فاستووا
فعاد صباحاً حالك الليل مظلم

ومن تلك المناقب التي مدحوا بها، الصدق في الدعوة وتبليغ الرسالة الحق، والى ذلك يشير رافع بن عمير في مدحه الرسول (ص):[3]

فالفيت النبيّ يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوب
فبشّرني بقول الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب

ومن المناقب الجديدة التي مدح بها الشعراء رسول الله (ص) ما كان وسيلة ناجحة الى التبشير بمبادىء رسالته، من ذلك قولهم بانه رحمة للعباد كما جاء في شعر قيس بن طريف:[4]

نبيٌ تلاقيه من الله رحمة فلا تسألوه أمر غيب مرجّم

ومنها أنّ إتّباعه هداية ورشد، والصد عنه كفر وضلال يقول كعب بن مالك:[5]

فمن يتبعه يُهد لكل رشد ومن يكفر به يُجز الكفور

---

(١) الديوان ص ١٠١
(٢) شعر النابغة الجعدي ص ٢٠٥
(٣) أسد الغابة ١٠٦/٢
(٤) الاصابة ٢٤٢/٣
(٥) الديوان ص ٢٠٣

فيه جماع الخير والنبوة ، وهو شفيع المؤمنين يوم القيامة كما وصفه عبدالله بن رواحة حيث قال :[1]

انى تفرّست فيك الخير أعرفه   والله يعلم أنْ ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته   يوم الحساب فقد أزرى به القدر

وتطرّق الشعراء في معرض مدحهم رسول الله (ص) الى معجزاته التي كانت من أدلة نبوته فذكروا قصة الرسول وأبي بكر مع أم معبد[2] وهما في طريق الهجرة :[3]

جزى الله رب الناس خير جزائه   رفيقين قالا خيمتي أم معبد[4]
هما نزلاها بالهدى واهتدى به   فقد فاز من أمسى رفيق محمد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها   فانكمُ ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلّبت   له بصريح ضرة الشاة مزبد[5]
فغادرها رهناً لديها لحالب   يرددها في مصدر ثم مورد[6]

ومدحه كعب بن مالك باثبات بعض معجزاته ايضاً فقال مقارناً اياها بما كان للانبياء عليهم السلام منها :[7]

---

(١) أسد الغابة ٣/١٥٧

(٢) قصتها مع الرسول (ص) مشهورة مروية من طرق عديدة في الصحاح والسنن .

(٣) ديوان حسان ص ٨٦

(٤) الرفيقان : هما الرسول (ص) وأبو بكر (رض) . قالا : نزلا وقت القيلولة وهي الظهيرة .

(٥) حائل : لم تحمل . الصريح : اللبن الخالص . مزبد : علاه الزبد .

(٦) مصدر ثم مورد : اي يحلبها مرة بعد اخرى .

(٧) الديوان ص ٢٧٠

فان يكُ موسى كلّم الله جهرةً

على جبل الطور المنيف المعظّم[1]

فقـد كلّمَ اللهُ النبيّ محمـداً

على الموضع الأعلى الرفيع المسوّم[2]

وان تكُ نمل البرّ بالوهم كلمت

سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمى

فهـذا نبيُّ الله أحمـد سلّمت

صغار الحصى في كفّه بالترنم[3]

وقد عدّ الشعراء الاقتداء برسول الله (ص) والسير على نهجه الشريف من المحامد التي يمدح بها الرجال لأن فيه الاسوة الحسنة لمن أراد الفوز ، فقد مدح حسان بن ثابت الزبير بن العوام بهذه الخصال حين قال :[4]

أقام على عهد النبي وهديه حواريُّه والقول بالفعل يُعدل

أقام على منهاجه وطريقـه يوالي ولي الحق والحق أعدل

وكان تطبيق أحكام القرآن والشريعة الغراء من أبرز المآثر التي يُمدح بها الحكام وبهذه المأثرة مدح عمرو بن عاصم التميمي عثمان بن عفان فقال :[5]

---

(١) يشير هنا الى قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما)الآية ١٦٤ من النساء .

(٢) المسوم : المعلم . ويشير هنا الى معراج الرسول (ص)

(٣) الترنم : ارجاع الصوت . وانظر تفصيل هذه المعجزة في دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/١٥٤

(٤) الديوان ص ٣٣٨

(٥) الطبري ٤/١٧٢

ان ابن عفان الذي جربتم　　فطم اللصوص بمحكم القرآن
مازال يعمل بالكتاب مهيمناً　　في كل عنق منهم وبنان

والى جانب هذه المآثر الاسلامية الجديدة مـدح الشعراء بمآثر جاهلية وبقيم كان يجلها جميع العرب ويحترمونها، وحين جاء الاسلام أقرّها ونماها ، ومن هذه المعاني ، الوفاء والكرم وهما خلتان عُرف العرب بالتمسك بهما ومدح من يلتزم بهما ، قال مالك بن عوف يمدح رسول الله (ص) بهاتين السجيتين :[1]

ما ان رأيت ولا سمعت بما ارى
في النـاس كلهـم بمـثل محمـد
اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدى
متى تشأ يخبرك عمّـا في غد

وعندما ورد نفر من الانصار من بني سلمه الى رسول الله (ص) قال لهم : من سيدكم يابني سلمة ؟ قالوا : الجد بن قيس على بخل فيه . فقال رسول الله (ص) : واي داء أدوى من البخل بل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح فقال شاعر الانصار في ذلك :

وقال رسول الله والحق قوله　　لمن قال منا من تسمون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي　　نبخّله فيها وان كان اسودا
فتى ما تخطّى خطوة لدنية　　ولا مد في يوم الى سوأة يدا
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده　　وحق لعمرو بالندى ان يسودا
اذا جاءه السؤّال اذهب ماله　　وقال خذوه انـه عائد غدا[2]

---

(١) اسد الغابة ٢٩٠/٤
(٢) المصدر نفسه ٩٣/٤

ومدح كعب بن مالك بني هاشم بهذه المأثرة ايضاً حين اثبت لهم الكرم في وقت القحط وإمحال الزمن فقال :[1]

بيض الوجوه ترى بطون اكفهم
تندى اذا اعتذر الزمان الممحل[2]

ومدح حسان رسول الله (ص) بالجود حين ذكر انما فضّل الله رسوله على العباد بالجود والتقوى فقال :[3]

اعني الرسول فان الله فضّله ... على البرية بالتقوى وبالجود

ومدحوا بالوفاء الذي عُرف به العرب فقال كعب بن مالك يمدح نقباء العقبة بالوفاء والمحافظة على العهد فقد جعل السم دون اخفار العهد عندهم فقال :[4]

وايضاً فلا يعطيكه ابن رواحة ... واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي ابن صامت ... بمندوحة عما تحاول يافع
ابو هيثم ايضاً وفيٌ بمثلها ... وفاء بما اعطى من العهد خانع

ومن هذه المناقب السيادة ، التي كان يحرص عليها العربي حرصه على حياته ، فقد مدح كعب بن زهير الانصار باثبات سيادتهم التي ورثوها كابراً عن كابر قال :[5]

ورثوا السيادة كابراً عن كابر ... ان الخيار همُ بنو الاخيار

---

(١) الديوان ص ٢٦٣
(٢) تندى : تبتل وهي كناية عن الكرم . الممحل : الشديد القحط
(٣) الديوان ص ٨٠
(٤) الديوان ص ٢١٩
(٥) الديوان ص ٣٢

ومدح كعب بن مالك آل هاشم بالسيادة ايضاً فقال :[١]

قومٌ لاصلهم السيادة كلها ... قُدماً وفرعهم النبي المرسَل

اما الشجاعة وهي من اكبر مفاخر العربي في الجاهلية فكانت من ابرز السجايا التي مدح بها شعراء الاسلام ، فرسول الله (ص) يمضي الى الهول حين يتراجع الابطال الصناديد كما يقول حسان :[٢]

ماضٍ الى الهول ركّاب لما قطعوا
اذا الكماة تحاموا في الصناديد

واذا اشتدت الحرب وحمي الوطيس كان رسول الله ليثها الخادر يدفع عن المسلمين كانهم اشباله كما يقول مالك بن عوف :[٣]

واذا الكتيبة عرّدت انيابها ... بالسمهريّ وضرْب كل مهند[٤]
فكأنه ليث على اشباله ... وسط الهباءة خادر في مرصد[٥]

ومدح الحجاج بن علاط السلمي علي بن ابي طالب بالشجاعة حين توجه الى صاحب لواء المشركين يوم احد طلحة بن ابي طلحة بطعنة نجلاء اردته صريعاً فقال :[٦]

---

(١) الديوان ص ٢٦٢

(٢) الديوان ص ٨٠

(٣) ابن هشام ٢/٤٩١

(٤) عردت انيابها : قويت واشتدت . السمهري : الرمح . المهند : السيف

(٥) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر : الاسد في عرينه وهو حينئذ اشد ما يكون بأساً لخوفه على اشباله يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ، يصفه باليقظة

(٦) ابن هشام ٢/١٥١

لله اي مذبب عن حرمة اعني ابن فاطمة المعم المخولا[١]
سبقت يداك له بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدّلا[٢]
وشددت شدة باسل فكشفتهم بالجرّ اذ يهوون اخول اخولا[٣]

وحين مدح كعب بن زهير المهاجرين تكلم عنهم بنهج جاهلي ترّسم فيه خطى سالفيه ، ولولا كلمة اسلموا لما احسسنا انه يمدح قريشاً بعد اسلامها قال :[٤]

في عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما اسلموا زولوا[٥]
زالوا فما زال انكاس ولا كُشُف
عند اللقاء ولا ميل معازيل[٦]
شمّ العرانين ابطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل[٧]
بيض سوابغ قد شكت لهم حلق
كأنه حلق الفقعاء مجدول[٨]

---

(١) المذبب : الدافع .المعم : الكريم الاعمام . المخول : الكريم الاخوال
(٢) المجدل : اللاصق بالارض
(٣) الباسل : الشجاع . الجر : اصل الجبل . واخول اخولا : اي واحداً بعد واحد .
(٤) الديوان ص ٢٣
(٥) زولوا : هاجروا واتركوا البلاد
(٦) انكاس : ضعفاء كشف : جمع اكشف وهو الذي ليس معه ترس .ميل: جمع أميل وهو الذي لا يحسن الفروسية . معازيل : جمع معزال وهو الذي لا سلاح معه .
(٧) شم العرانين : انوفهم عالية
(٨) الفقعاء : نبات ينبسط على الارض له حلق كحلق الدروع

لا يفرحون اذا نالت رماحهم

قوماً وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا

لا يقع الطعن الا في نحورهم

ومالهم عن حياض الموت تهليل[1]

واخيراً فلو رحنا نتتبع الاسماء التي خصها شعراء الفترة الاسلامية بالمدح لما وجدناها تزيد على عدد اصابع اليدين، لان الشعراء في تلك الفترة كما ذكرنا في اول الموضوع لم يتخذوا من المديح وسيلة للرزق او جمع الاموال، ولم يصطنعوه سلماً يرقى بهم الى ما يبغي غيرهم من عرض الدنيا وجاهها، فكان كل من مدحوه تتمثل فيه الفكرة التي آمنوا بها ووهبوا لها حياتهم وفنهم، فلا غرابة ان يكون اول ممدوحيهم صاحب تلك الفكرة ومبلّغ الرسالة، محمد صلى الله عليه وسلم، فكان مدحهم له صادراً عن حب صادق، وايمان عميق، وعقيدة راسخة.

---

(١) تهليل : تكذيب . يقال : هلل الرجل اذا جبن في حملته . وقيل : هلل الرجل اذا هرب .

الهجاء

لقد شُهر سلاح الشعر بجانب سلاح الحرب منذ بدأ الصراع بين الاسلام وخصومه، فتلاحم الفريقان باللسان كما تلاحما بالسنان ودفع كل فريق بشعرائه الى المعركة. ويصوّر حسان ذلك في شعره فيقول :[1]

لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي مَنْ هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وحين توفّر شعراء الكفر على هجاء الرسول والاسلام أدرك الرسول ما لهذا السلاح من أثر فى تعويق الدعوة وتنفير الناس من الدين الجديد، فحاول ايقاف تأثيره باخماد انفاس مَن تصدّى لهذه المهمة من المشركين فأهدر دم كثير من الهجّائين المشركين، فأمر بقتل عصماء بنت مروان التي كانت تقول شعراً تعيب فيه الاسلام وتحرّض على النبي (ص)، قتلها عمير بن عدي الخطمي.[2] وعندما هجا أبو عفك من بني عمرو بن عوف المسلمين قال رسول الله (ص) : مَن لي بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير فقتله.[3] وأمر بقتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يهجو الرسول وأصحابه، ويحرض عليهم كفار قريش، ويشبّب بنسائهم. إذ قال : اللهم اكفني ابن الاشرف

(١) الديوان ص ٦
(٢) انظر ابن هشام ٢/٦٣٧
(٣) ابن هشام ٢/٦٣٥

بما شئت ، في اعلانه الشر ، وقوله الاشعار . ثم قال : من لي بابن الاشرف فقد آذاني . فقال محمد بن مسلمة : أنا به يا رسول الله . وأنا أقتله ، قال : فافعل[١] ولما جاءته اليهود تشكو قتله . قال لهم : لو فرّ كما قد فرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه نال منا الأذى ، وهجانا بالشعر ، ولم يفعل ذلك أحد منكم إلاّ كان السيف.[٢]

واضافة الى هذا الاجراء الحازم ندب الرسول (ص) من توسّم فيه القدرة من أصحابه لهجاء المشركين . فحين انهزم المشركون يوم الاحزاب قال: ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ، ويهجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين ؟ فقام عبدالله بن رواحة فقال أنا فقال : انك لحسن الشعر . ثم قام كعب ابن مالك فقال : أنا ، فقال : وإنك لحسن الشعر[٣]

وعندما هجا كعب المشركين باحدى قصائده . قال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، لهي أشد عليهم من رشق النبل .[٤]

وقد أثمرت هذه العناية من لدن رسول الله (ص) فنما فن الهجاء وازدهر على أيدي الشعراء المسلمين .

ويكون الهجاء عادة ـ كالمديح والفخر ـ فردياً خاصاً بشخص معين أو جماعياً يشمل القبيلة والقوم والجماعة . وقد شمل الهجاء الاسلامي هذين النوعين وهو في كلا النوعين لم يكن تسرّعاً بالشعر

---

(١) امتاع الاسماع ١٠٨/١

(٢) المصدر السابق ١١٠/١

(٣) الاغاني ٣٠/١٥

(٤) زهر الاداب ٥/١

الى أعراض الناس أو قذفاً بألوان الشتائم والمساوىء ، بل هجاء لمن ضلّ عن طريق الحق وتنكّب سبيل الهداية .

اما معانيه فهي المعاني السلبية التي تقابل المثل والمناقب التي كان الشعراء يبنون عليها معـاني مدحهم ، وهـذا الاسلوب هو اهجى الاساليب فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى كما يقول قدامة بن جعفر .[1] وطبيعي أن تكون هذه المعاني مما يأنفه العـربي وتنكره بيئته . ولذلك جاء مصوراً للمثل الجاهلية قليل التأثر بالمثل الدينية الجديدة . ومن هذه المعاني الجاهلية نقض العهد . قال حسان يهجو هذيلاً بغدرهم في يوم الرجيع :[2]

هم غرّوا بذمتهـم خبيباً   فبئس العهد عهدهم الكذوب

وقال كعب بن مالك يعير بني جعفر في حادثة بئر معونة :[3]

تركتم جاركم لبني سليم   مخافة حربهم عجـزاً وهوناً[4]

---

(١) نقد الشعر ص ٥٥

(٢) الديوان ص ٥٧

(٣) الديوان ص ٢٧٨

(٤) جاركم : هم المسلمون الذين عقد لهم ابو براء جواراً بعد ان قدم على رسول الله (ص) فعرض عليه الرسول الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ، ولم يبعد من الاسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت معي رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك ، رجوت ان يستجيبوا لك ، فقال رسول الله (ص) : اني اخشى عليهم اهل نجد . فقال ابو براء : انا لهم جار فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في سبعين رجلا من اصحابه ، فنزلوا بئر معونة وهي ارض بني عامر وحرة بني سليم ، ثم بعثوا احدهم بكتاب رسول الله (ص الى عامر بن الطفيل ، فلما اتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فابوا ان يجيبوه وقالوا : لن نخفر ابا براء ، قد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم من قبائل سليم فاجابوه الى ذلك ، ثم رجعوا اليهم فقتلوهم عن آخرهم الا كعب بن زيد افلت من القتل .

هوناً : هواناً . وبنو سليم : هم الذين استصرخهم عامر بن الطفيل على المسلمين فاجابوه .

فلو حبلًا تناول من عقيل   لمـد بحبلهـا حبلًا متينـا[1]
او القُرَطـاء ما ان اسلموه   وقدما ما وَفـوا اذ لا تفونا[2]

ومن هذه المعاني انحطاط الشأن والقصور عن بلوغ المعـالي ، قال عمرو بن عبد ود بن الحارث يهجو عبدالله بن خالد بن اسيد :[3]

قصرت يا عبدالاله عن العلا   سيكفيك ما قصرت عنه سعيد

وقال حسان يعير هذيلًا بانحطاط الشأن :[4]

فـلا والله ما تدري هذيل   أمحض ماء زمزم ام مشوب
وما لهم ان اعتمروا وحجوا   من الحجرين والمسعى نصيب
ولكنَّ الرجيع لهم محل   بـه اللـؤم المبين والعيوب

وقال النابغـة الجعدي يهجو السعدي معيراً اياه بتأخره عن كل مفخرة وقصوره عن بلوغ العلياء والمجد :[5]

اذا ذكر السعدي فخراً فقل له   تأخر فلم يجعل لك الله مفخرا
فان تُرد العليا فلست باهلها   وان تبسط الكفين للمجد تقصرا
اذا ادلج السعدي ادلج سارقاً   فاصبـح مخطوماً بلؤم معذّرا[6]

ومن تلك المعاني الخيانة ولؤم الطبـع وانحطاط الخلق ، وبهذه المثالب هجا حسان الحارث بن هشام فقال :[7]

---

(١) الحبل : يعني به هنا العهد والذمة . وعقيل : قبيلة .
(٢) القرطاء : ابطن من بني عامر .
(٣) الاصابة ٣/١١٥
(٤) الديوان ص ٥٩
(٥) شعر النابغة الجعدي ص ٥٦
(٦) مخطوم : اصل الخطم ان يوسم البعير بخط
(٧) الديوان ص ٦٠

اجمعت انك انت الأم من مشى في لحش مومسة وزوك غراب[1]
وكذاك ورّثك الاوائل انهم ذهبوا وصرت بخزية وعذاب
فورثتَ والدك الخيانة والخنا واللؤم عند تقايس الاحساب

وبهذه المساوىء عيّر كعب بن مالك عبدالله بن الزبعرى فقال:[2]

سألت بك ابنَ الزبعرى فلم أنبأك في القـوم الا هجينا[3]
خبيثاً تطيف بك المنـديات مقيماً على اللؤم حيناً فحينا[4]

ومن هذه المعاني الجبن والضعف، ومن مظاهر ذلك الفرار قال حسان يعيّر عكرمة بن ابي جهل عندما القى رمحه يوم الخندق وهو منهزم:[5]

فـرّ والقى لنـا رمحـه لعلك عكرمَ لـم تفعـل
وولّيت تعدو كعدو الظليم ما ان تجـور عن المعـدل[6]
ولم تلق ظهـرك مستأنساً كأن قفـاك قفـا فرعل[7]

وقال كعب يعيّر قريشاً بالفرار في بدر ايضاً:[8]

وراحوا سراعاً موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريحُ مقلع[9]

---

(١) الزوك: مشي الغراب وهو الخطو المتقارب في تحرك جسد الانسان الماشي.
(٢) الديوان ص ٢٧٧
(٣) الهجين: المبين الهجنة، وهو الذي يكون ابوه عتيقاً وامه ليست كذلك.
(٤) المنديات: المخزيات التي يندى منها الجبين.
(٥) ابن هشام ٢/٢٢٦
(٦) الظليم: ذكر النعام
(٧) الفرعل: صغير الضباع
(٨) الديوان ص ٢٢٧
(٩) موجفين: مسرعين. والجهام: السحاب الذي افرغ ماءه.

وعيّر حسان الحارث بن هشام بالفرار يوم بدر ايضاً فقال :[1]

ان كنت كاذبة الذي حدثتني
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرّة ولجام[2]

وهجا قريشاً والحارث بهذا العار يوم بدر ايضاً فقال :[3]

وفرّ بها حكيم يوم جالت بنو النجار تخطر كالاسود[4]
وولّت عند ذاك جموع فهرٍ واسلمها الحويرث من بعيد[5]
لقد لاقيتم ذلاً وقتلاً جهيزاً نافذاً تحت الوريد[6]
وكل القوم قد ولّوا جميعا ولم يلووا على الحسب التليد[7]

ومن اهجى الاساليب التي سلكها الشعراء المسلمون سبيل التعيير بالوقائع والايام والالقاب والانساب، فعن محمد بن سيرين قال: فكان يهجوهم من الانصار حسان بن ثابت و كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ، فكان حسان و كعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والمآثر،

(١) الديوان ص ٢٢٩
(٢) الطمرة : الفرس الكثير الجري
(٣) الديوان ص ١٤١
(٤) حكيم : هو حكيم بن حزام انهزم يوم بدر . وتخطر : اي تهتز متبخترة معجبة .
(٥) الحويرث : يريد به الحارث بن هشام بن المغيرة الذي انهزم ببدر ايضاً .
(٦) جهيزاً : مسرعاً . وقوله باقياً تحت الوريد : اي تقلدوا الخزي والذل في اعناقهم .
(٧) التليد : القديم . يقول ان قريشاً قد انهزموا ولم يراعوا مجدهم وشرفهم ولم يكترثوا للعار الذي لحقهم من جراء ذلك .

ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان و كعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة .[1]

وهذه الصورة التي طُبع بها هجاء المسلمين للمشركين هي الصورة التي طُبع بها هجاء قريش للمسلمين ايضاً ، ولم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم شعراءه عن هذا النهج ، بل ثبت انه كان يأمرهم به ويحثهم عليه كما في قوله : قولوا لهم مثل ما يقولون لكم .[2] وذلك لان هذا النهج هو الذي كان يؤثر في المشركين ويخوّفهم ، أما التعيير بالشرك وعبادة الاوثان ، وهو النهج الذي سلكه ابن رواحة وبعض الشعراء الآخرين احياناً ، فلم يكن يجدي نفعاً في هذا المقام ، لان ذلك كان عقيدتهم التي يعتزون بها ، ودينهم الذي هم عليه .

وكان حسان أبرز الشعراء المسلمين تعريضاً بالانساب ونيلاً من الاحساب وذكراً للمثالب . وقد شجعه على الاستمرار في ذلك السبيل ما وجده لدى رسول الله من رضا وقبول بل ومساعدة على استكمال منهجه في الهجاء اذ كان ينصحه بقوله : يا حسان اذهب الى ابي بكر فليحدثك حديث القوم وايامهم و احسابهم ثم اهجهم وجبريل معك .[3] وحين شهر المشركون سلاح الشعر روي ان قائلاً قال لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اهجُ عنا القوم الذين قد هجونا فقال علي (رض) : ان أذن لي رسول الله (ص) فعلت .

فقال رجل : يا رسول الله : ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم

---

(١) الاغاني ١٣٧/٤ (٢) العقد الفريد ١٤٥/٦
(٣) المصدر السابق ٢٩٦/٥

الذين قد هجونا . قال : ليس هناك أو - ليس عنده ذلك - ثم قال للانصار : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت الانصاري : أنا لها - يارسول الله - واخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرني به مقول بين بُصرى وصنعاء . فقال رسول الله (ص) : كيف تهجوهم وانا منهم ؟ فقال حسان : اني اسلك كما تُسلّ الشعرة من العجين .[1]

وقد طبّق هذا المنهج في هجاء أبي سفيان بابعاده عن الشجرة التي شرفها رسول الله (ص) ، وعن الصلة برسول الله . وبأن كل ما يمكن ان يكون بينه وبين هذه الدوحة الكريمة من صلة كصلة الحشرة التي يسمونها (قُرد) وهي التي تلصق بالانسان فتلازمه وهي ليست منه قال :[2]

لقد علم الاقوام ان ابن هاشم
هو الغصن ذو الافنان لا الواحد الوغد
ومالكَ فيهم محتد يعرفونه
فدونك فالصق مثل ما لصق القرد

وهجا الوليد بن المغيرة بنفي نسبته من قريش ونسبه الى فرع القبيلة البعيد فقال :[3]

متى تُنسب قريش او تُحصّل ... فمالك في ارومتها نصاب[4]

---

(١) الاغاني ٤/٧
(٢) الديوان ص ١٠٩
(٣) الديوان ص ٦٢
(٤) الارومة : الاصل . والنصاب : الاصل والمرجع .

نفتك بنو هصيص عن ابيها　　لشجع حيث تُسترق العياب [١]
اذا عُد الاطايب من قريش　　تلاقت دون نسبتكم كلاب [٢]

وهجا بني عوف بنفي نسبهم من قريش ايضاً وزاد في هجائهم حين نسبهم الى تغلب ، ثم نفى نسبهم من العرب حين نسبهم الى الروم فقال : [٣]

سائل قريشاً واحلافها　　متى كان عوف لها ينسب
أفيما مضى نسبٌ ثابت　　فيُعلم ام دعوة تكذب
فان قريشاً ستنفيكم　　الى نسب غيره اثقب [٤]
الى جذم قين لئيم العرو　　ق عرقوب والده أصهب [٥]
الى تغلب انهم شر جيل　　فليس لكم غيرهم مذهب
وقد كان عهدي بها لم تنل　　سنياً ولا شرفاً تغلب

ومن تعيير الشعراء بالايام والوقائع قول حسان يهجو قريشاً مذكّراً اياها بما قدّموا من اسرى وقتلى يوم بدر : [٦]

لقد علمت قريش يوم بدر　　غداة الاسر والقتل الشديد
بانا حين تشتجر العوالي　　حماة الحرب يوم ابي الوليد

---

(١) هصيص أبو بطن من قريش . وشجع : قبيلة من كنانة . وتسترق : من السرقة . والعياب : جمع عيبة وهي وعاء من ادم يكون فيها المتاع والثياب .

(٢) الاطايب : الخيار جمع اطيب .

(٣) الديوان ص ٦٢

(٤) غيره أثقب : اي غير هذا النسب . وهو كل نسب خلافه اثقب منه .

(٥) جذم : جذم كل شيء اصله . والقين : العبد . ولئيم العروق : لئيم الاصول . وقوله عرقوب والده اصهب : اي انه غير عربي . والعرب يلقبون الروم صهب السبال ، والصهبة : الحمرة

(٦) الديوان ص ١٤٠

وعيّرهم بيوم الخندق وما اعطوا من قتلى واسرى فقال :[1]

لقد جُدّعت آذان كعب وعامر
بقتل ابن كعب ثم حُزّت انوفها[2]
فولّت نطيحاً كبشها وجموعها
ثُبات عزين ما تُلام صفوفها[3]
وحاز ابن عبد اذ هوى في رماحنا
كذاك المنايا حينها وحتوفها[4]
اصيبت به فهر فلا انجبرت لها
مصائب بادٍ حرّها وشفيفها[5]

ثم ذكر لهم ما حل بهم ببدر وهدّدهم فقال :

واخرى ببدر حار فيها رجاؤهم
فلم تغن عنها نبلها وسيوفها
واخرى وشيكا ليس فيها تحول
يصمّ المنادى جرسها وحفيفها[6]

وقد سلك الشعراء سبيل التهديد والوعيد ايضاً ، وأرعب ذلك

---

(١) الديوان ص ٢٧٤

(٢) ابن كعب : صحابي استشهد يوم الخندق يقول بسببه اذللنا هذين الحيين

(٣) كبشها : رئيسها ونطيح بمعنى مفعول.وثبات : الجماعة من الناس . وعزين: متفرقين . وتلام : اي تلام .

(٤) ابن عبد : اراد به عمرو بن عبد ود قتله الامام علي يوم الخندق وحاز : انحاز وانفرد .

(٥) الشفيف : البرد اللاذع

(٦) يصم المنادي جرسها وحفيفها : اي انها شديدة .والجرس والحفيف الصوت

اعداءهم وادخل الوهن في قلوب المشركين ، حتى دخل بعضهم في الاسلام بتأثير هذه الطريقة فقد روى ان قبيلة دوس اسلمت فَرقاً حين سمعت قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل ريب   وخيبر ثم اجمنـا السيوفا[1]
نخيّرها ولـو نطقت لقالت   قواطعهن دَوساً او ثقيفـا[2]

فقالت : دوس انطلقوا فخـذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف[3] وقد اكبر رسول الله هذه الطريقة في الهجاء ، فحين سمع كعباً ينشد البيتين السابقين قال : لهو أسرع فيهم من السهم في غلس الظلام[4] وسلك كعب هذه السبيل حين هدد عكرمة بن ابي جهل بعد ما غدرت قريش ببني خزاعة حلفاء النبي (ص) فقال :[5]

فلا تأمننا يا ابن ام مجـالد   اذا لقحت حرب وأعصل نابها[6]
ولو شهد البطحاء منا عصابة   لهان علينا يوم ذاك ضرابها
ولا تجزعوا منا فان سيوفنا   لها وقعة بالموت يُفتح بابهـا

واستغل الشعراء الاخبار التي تشين الافراد في هجائهم كما فعل حسان في هجائه لصفوان بن أمية قال :[7]

من مبلغُ صفوان ان عجوزه   أَمَة لجاره معمر بن حبيب

---

(١) تهامة : ما انخفض من ارض الحجاز . والريب : الشك . واجمنا : أرحنا .
(٢) نخيرها : نعطيها الخيرة ، ولو نطقت لاختارت ان نحارب دوسا او ثقيفا .
(٣) الصفدي : نكت الهميان ص ٢٣١ .
(٤) البيهقي : المحاسن والمساوىء ص ٢٥٣ .
(٥) الديوان ص ٤٣ .
(٦) ابن ام مجالد : هو عكرمة . وأعصل : اعوج .
(٧) الديوان ص ٥٥

أمة يقال من البراجم اصلها نسب من الانساب غير قريب[1]

وهجا هند بنت عتبة بهذه الطريقة ايضا اذ قال لها :[2]

لمن الصبيّ بجانب البطحاء في التُرب ملقىً غير ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسة من عبد شمس صلتة الخد[3]

وقد عيّروا خصومهم بالالقاب التي تؤلمهم وتؤذيهم كما قال كعب ابن مالك معيّراً قريشاً بلقب سخينة وهو لقب كانت تتأذى منه .

جاءت سخينة كي تغالب ربَّها فليغلبن مغالبُ الغلاّب[4]

وحين سمع رسول الله (ص) هذا البيت قال له : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا[5] . وفي رواية انه قال له : يا كعب ما نسي ربك أو ما كان نسياً بيتاً قلته ، قال كعب : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : انشده يا أبا بكر فانشده البيت[6] ونعت حسان ابا جهل بما كان يؤذيه ويؤلمه حين قال له :[7]

سمّاه معشرُ ابا حكم والله سمّاه أبا جهل
فما يجيء الدهر معتمراً الا ومرجل جهله يغلي
وكأنه مما يجيش به مبدي الفجور وسورة الجهل

---

(١) البراجم : احياء من بني تميم .

(٢) الديوان ص ١٥٧

(٣) نجلت به : ولدته . صلتة : ملساء . وآنسة : طيبة الحديث .

(٤) سخينة : لقب قريش في الجاهلية . وهي أكلة حساء من دقيق تتخذ عند غلاء الاسعار . وقال السهيلي : وذكروا ان قصياً كان اذا ذبحت ذبيحة او نحرت نحيرة بمكة ، أتي بعجزها فصنع منها خزيرة ـ لحم يطبخ ببر ـ فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة .

(٥) ابن هشام ٢٦١/٢

(٦) الزمخشري : ربيع الابرار جـ ٢ ورقة ٢٦١

(٧) الديوان ص ٣٤٤

وسلك الشعراء سبيل السخرية والتهكم والاستهزاء بالمهجو ليضحك منه الآخرون ، ومعروف ان هذا الاسلوب من ابلغ الاساليب الهجائية ، وسبيله اكثر ايلاماً في نفس المهجو ، وقد اشار الى ذلك الجرجاني حين قال : وابلغ الهجاء ما جرى مجرى الهزل والتهافت .[1] ومن ذلك سخرية حسان من جذام حين سوّى بينهم وبين التيوس ولم يفرق بين أمهات صبيانهم والشياه قال :[2]

لعمر ابي سميه ما ابالي   أنبّ التيس ام نطقت جذام
اذا ما شاتهم ولدت تنادوا   أجديٌ تحت شاتك أم غلام

وسلك هذه السبيل الساخرة المضحكة عندما هجا المغيرة بن شعبة فقال :[3]

لو ان اللؤم يُنسب كان عبداً   قبيح اللون أعور من ثقيف

وكان هجاء كعب لبني لحيان بهذا الاسلوب ايضاً فقد شبههم بحيوان صغير ضعيف دخل شِعباً ليس له مخرج قال :[4]

لو انّ بني لحيان كانوا تناظروا
لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق[5]
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت
شعاب حجاز غير ذي مُتنَفق[6]

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٤٣ (٢) الديوان ص ٤٠٥
(٣) الديوان ص ٢٧٦ (٤) الديوان ص ٢٤٣
(٥) تناظروا : انتظروا . والعصب : الجماعات
(٦) الوبار : جمع وبر ، وهو دويبة على قدر الهرة تشبه بها العرب الضعيف الجبان . والشعاب : جمع شعب وهو المنخفض من الارض غير ذي متنفق : ليس له باب يخرج منه .

وقد اعتمد بعض الشعراء على التفضيل والمقارنة فيمدح رجلاً ويعرّض بالآخر ، وهذا اسلوب بالغ الاثر في نفس العربي ، من ذلك قول حسان لابن الزبعرى بعد ان عرض مفاخر ومآثر الانصار ومن اسلم من قريش :[1]

تلك افعالنا وفعل الزبعرى خامل في صديقـه مذموم

ومن صور هذا الاسلوب قول عمرو بن عبد ود الكلبي يمدح سعيد ابن العاص ويذم خالد بن اسيد :[2]

قصـرت يا عبدالاله عن العـلا
سيكفيك ما قصرت عنه سعيد
فتى أمه من آل حسل كريـمـة
وامـك ينمهـا نـوح عبيد

وقد استغل الحطيئة هذا الاسلوب فكان يدخل بين الرجلين المتنافسين ليمدح واحداً ويهجو الآخر ، فيزهو الاول ويغلي الثاني حقداً فيشتبك الرجلان ثم يقع بين حييهما ما لا تحمد عقباه من الشرور والفتن ، فنهاه عنه عمر بن الخطاب وسماه الاقذاع وقد سجنه لتماديه فيه وحين اخرجه من السجن قال له : اياك وهجاء الناس ، قال الحطيئة : اذاً يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشـي . قال : فاياك والمقذع من القول . قال وما المقذع ، قال : ان تخاير بين الناس فتقول : فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان قال : فانت والله

(١) الديوان ص ٣٧٨
(٢) الاصابة ١١٦/٣

اهجى مني :[1]

ومع هذه الصورة والمعاني الجاهلية فلم يعدم الشعر الاسلامي من بعض الصور والمعاني الاسلامية ، يقدمها لنا الشعراء حين يسلكون منهجاً جديداً لا يقوم على الاسس القديمة فيكون تعييرهم بالشرك وعبادة الاوثان وسوء المنقلب مستلهمين في ذلك ايات القرآن الكريم والمفاهيم الاسلامية الجديدة ، من ذلك تعيير حسان لقريش بما كان من تغرير ابليس لهم وموالاتهم له حيث قال :[2]

سرنا وساروا الى بدر لحينهم   لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاّهم بغرور ثم اسلمهم   ان الخبيث لمن والاه غرّار
وقال اني لكم جار فاوردهم   شر الموارد فيه الخزي والعار

وسلك كعب هذه السبيل حين هجا المشركين في بدر فعيّرهم بالكفر وبسوء المنقلب والمصير وبصدهم عن هدى الرسول (ص) قال :[3]

فكُبَّ ابو جهل لوجهه
وعتبة قد غادرنه وهو عاثر[4]
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى
وما منهم الا بذي العرش كافر
فامسوا وقود النار في مستقرها
وكل كفور في جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال اقبلوا
فولّوا وقالوا انما انت ساحر

---

(١) الاغاني ٢/٥٢ ـ ساسي ـ
(٢) ابن هشام ١/٦٦٤
(٣) الديوان ص ٢٠١
(٤) عاثر : ساقط

وتتضح هذه المعاني الاسلامية في هجائه لبني النضير فقد ناقشهم بما اوتوا من علم الكتاب، وبكفرهم ، وموقفهم من الرسول ثم بيّن لهم عاقبة موقفهم هذا حيث قال :[1]

لقد خزيت بغدرتها الحبور ... كذاك الدهر ذو صرف يدور[2]
وذلك انهم كفروا بربٍّ ... عـزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً ... وجاءهمُ من الله النـذير
نذير صادق ادّى كتاباً ... وآيـات مبينـة تنيـر
فقالوا ما اتيت بامر صدق ... وانت بمنكر منـا جدير[3]
فقـال بلى لقد اديتُ حقاً ... يصدّقني به الفهـم الخبير
فمن يتبعه يهدَ لكل رشد ... ومن يكفر به يُجزَ الكفور
فلما أشربوا غدراً و كفراً ... وحاد بهم عن الحق النفور[4]
ارى الله النبيَّ برأي صدق ... وكان الله يحكم لا يجور
فايـده وسلطـه عليهـم ... وكان نصيره نِعمَ النصير
فغودر منهم كعبٌ صريعاً ... فذلت بعد مصرعه النضير
فذاقو غِبَّ امرهم وبالاً ... لكل ثلاثـة منهـم بعير[5]

واخيراً نود أن نذكر بان ماعرضنا من صور و معاني في هذا العصر

---

(١) الديوان ص ٢٠٣

(٢) الصرف : الحدثان والنوائب . الحبور : جمع حبر وهو العالم . ويريد هنا علماء اليهود .

(٣) جدير : حقيق وخليق

(٤) حادبهم : اي مال بهم

(٥) غب : عاقبة . والوبال : النكال .

يشير الى ان فن الهجاء الاسلامي لم يكن متأثراً - كما يتوقع المرء - بالمثُل الدينية الجديدة ، وقد يكون لموقف الرسول من شعر الهجاء وتحريضه للشعراء المسلمين بان يقولوا لهم مثل ما يقولون فيهم أثرٌ في هذا البعد عن المعاني والمفاهيم الدينية الجديدة ، وإلاّ فبإمكان الشعراء المسلمين أن يستفيدوا مما ورد في القرآن الكريم من معاني وأساليب الهجاء فقد تعرّض بذلك للمشركين والمنافقين واليهود .

النَّقائِضُ الأسلاميَّة

المناقضة في الشعر تعني ان ينقض شاعر ما قاله شاعر آخر ، بضد ما جاء به الاول[1] ، وترجع نواة هذا الفن الى العصر الجاهلي ، فقد وُجد من شعراء ذلك العصر من نظم في النقائض ، وان لم يلتزم بجميع القيود التي التزم بها شعراء النقائض بعد تطور فنها في العصر الاموي .

ومن ذلك ما كان بين شعراء هُذيل ، فقد تناقض اهبان بن لعط ابن عروة مع ابي بثينة الصاهلي ،[2] وعمرو بن هميل اللحياني مع سويد ابن عمير بن عامر الخزاعي[3] ، وأبو العيال مع بدر بن عامر[4] ، وأبو المثلّم مع صخر الغي[5] ، وأبو ذؤيب مع خالد بن زهير[6] وبين امرىء القيس وعبيد بن الابرص حين قتل حجر[7] وبين شعراء الأوس والخزرج في يوم بعاث[8] ويوم الربيع[9] .

وقد تطور اسلوب المناقضة حتى جعل من فن المتناقضين في العصر الاموي فناً متقارباً الى درجة كبيرة ، وأصبح الاصل فيها ان يتجه

---

(١) انظر لسان العرب مادة (نقض) .

(٢) شرح أشعار الهذليين ٢/٢٢٦ .

(٣) المصدر السابق ٢/٨١٥ .

(٤) المصدر نفسه ١/٤١٠ .

(٥) المصدر نفسه ١/٢٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ١/٢٠٧ .

(٧) انظر ديوان امرىء القيس ص ٥١ وديوان عبيد ص ٨١ .

(٨) انظر ديوان قيس بن الخطيم ص ١٠

(٩) انظر ديوان حسان ٢١٦ وابن الخطيم ص ٣٦ .

شاعر الى آخر بقصيدة هاجياً او مفتخراً فيعمد الآخر الى الردّ عليه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً البحر والقافية والرويّ الذي اختاره الاول.[1]

وحين جاء الاسلام انقسم الشعراء ازاءه الى طرفين متناقضين، فريق مع الرسول صلى الله عليه وسلم والآخر عليه، أما الفريق الاول فكان يمثله كعب بن مالك وحسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، والفريق الآخر يمثله شعراء قريش كعبدالله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب وأبي سفيان بن الحارث، وهبيرة بن أبي وهب ومن والاهم من شعراء القبائل كالعباس بن مرداس أو اليهود كمالك ومُرحّب وكعب بن الاشرف.

وطبيعي ان تقوم بين هؤلاء الشعراء حرب كلامية اتخذت في اكثر الاحيان صورة المناقضات الشعرية، وفي بعض الاحيان صورة المراجزات.

وقد تميّزت هذه النقائض بعدة خصائص يمكن اجمالها في:

سمو الموضوعات التي عالجتها، ونبل الغاية التي قصدت اليها، فموضوعاتها هي الاسلام ودعوته، وغايتها اخراج الناس من الظلمات الى النور، ومن ضيق الكفر الى سعة الاسلام. فغاية المسلم حين يقاتل هي رفع كلمة الله، وهدفه توحيده، والى هذا المعنى يشير كعب بن مالك في مناقضته لضرار بن الخطاب يوم بدر:[2]

فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهد ... لأصحابه مستبسلُ النفس صابر[3]
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره ... وأن رسول الله بالحقّ ظاهر

(١) انظر الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي ص ٣، وغناوي الزهيري: نقائض جرير والفرزدق ص ١٣.

(٢) الديوان ص ٢٠٠. (٣) مستبسل النفس: موطنها الموت.

واذا دافع المسلمون فإنما يدافعون عن دينهم ضد كل عدو ، مهما عظمت كتيبته أو كانت معتادة للقتال ، مدرّبة عليه قال كعب :[1]

مجالِدُنا عن ديننا كلَّ فخمة
مدرَّبة فيها القوانسُ تلمع[2]

واذا حملوا السيوف فانما هم يحملونها في سبيل الله وإعزازاً لدينه ، قال حسان في مناقضته لابن الزبعرى :[3]

بأيديهم بيض اذا حمِش الوغى
فلا بدّ أن يُردى لهن صريع[4]
بهنّ نعزُّ اللهَ حتى يعزَّنا
وإن كان أمرٌ يا سخين فظيع[5]

أما معاني هذه النقائض فهي على نوعين :

اسلامية جديدة ، كالايمان والكفر ، والجنة والنار ، والوحي والملائكة ، واخرى قريبة من المعاني الجاهلية ، تعالج المآثر والاحساب ، والمثالب والايام ، والتهديد والوعيد .

فمن هذه المعاني الاسلامية ما ورد في مناقضة كعب لضرار يوم بدر :[6]

---

(١) الديوان ص ٢٢٣ .
(٢) مجالدنا : مدافعنا . الفخمة : الكتيبة العظيمة . المدربة . المعقودة للقتال الماهرة فيه .
(٣) ابن هشام ١٤٣/٢
(٤) حمش الوغى : حمي وطيس الحرب .
(٥) سخين : لقب قريش .
(٦) الديوان ص ٢٠٠ .

عجبتُ لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدرٍ أنْ نلاقيَ معشراً
بغوا وسبيلُ البغيّ بالناس جائر
فلما لقيناهم وكلٌّ مجاهدٌ
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا ربّ غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر
فكُبّ أبو جهل صريعاً لوجهه
وعتبة غادرنه وهو عاثر (١)
وشيبة والتيميّ غادرن في الوغى
وما منهم إلاّ بذي العرش كافر (٢)
فأمسوا وقودَ النار في مستقرها
وكلٌّ كفور في جهنم صائر
تلّظى عليهم وهي قد شُبّ حميُّها
بزبر الحديد والحجارة ساجر (٣)
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
فولّوا وقالوا : إنما أنت ساحر
لامرٍ اراد الله أن يهلكوا به
وليس لامرٍ حمّه الله زاجر (٤)

(١) عاثر ساقط .
(٢) التيمي : قتل من تيم في بدر رجلان هما عثمان بن مالك ، وعمير بن عثمان ابن عمرو .
(٣) زبر الحديد : قطعة . ساجر : موقد . (٤) حمه : قدره .

وفي مناقصة حسان لابن الزبعرى يوم أحد :[1]

وَعلونـا يوم بدرٍ بالتُقى ' طاعةِ الله وتصديق الرسل

وفي مناقضة حسان الاخرى في اليوم نفسه ايضاً :[2]

وحامى بنو النجار فيه وصابروا
وما كان منهم في اللقاء جَزوع
أمام رسـول الله لا يخذلونه
لهم ناصرٌ من ربّهم وشفيع
وَفوْا اذ كفرتم ياسخينُ بربكم
ولا يستوي عبدٌ وفيٌّ ومُضيع[3]

وتتضح هذه المعاني ايضاً في مناقضة كعب لهبيرة بن أبي وهب :[4]

وفينا رسول الله نتْبع أمرَه اذا قال فينا القول لا نتطلّع
تدلّى عليه الروح من عند ربه ينزّل من جوّ السماء ويُرفع

ومثل هذه المعاني الاسلامية كثيرة مبثوثة في جميع النقائض الاسلامية ، أما المعاني الجاهلية فهي كثيرة ايضاً ، منها ما جاء في قول كعب الذي ناقض فيه هبيرة معـدّداً مآثر قومه ، مفتخراً الى درجة المبالغة ، مهـدداً ومتوعداً المشركين ، وهذه المعـاني جميعها جاهلية طبعاً قال :[5]

---

(١) ابن هشام ١٣٨/٢ .
(٢) الديوان ص ٢٥٨ .
(٣) وروبت : ولا يستوي عبد عصا ومطيع .
(٤) ديوان كعب ص ٢٢٤ .
(٥) الديوان ص ٢٢٣

وإنّا بأرض الخوفِ لو كان اهلها

سوانا لقد أجلوا بليلٍ فاقشعوا[1]

اذا جاء منا راكبٌ كان قوله

أعدوا لما يُزجى ابنُ حرب ويجمع[2]

فمهما يهمّ الناسَ مما يكيدنا

فنحن له من سائر الناس أوسع

فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده البرية

قد أعطوا يداً وتوزّعوا[3]

نجالدُ لا تبقى علينا قبيلةٌ

من الناس إلاّ أن يهابوا ويفظعوا[4]

ولما ابتنوا بالعِرض قال سراتُنا

علامَ اذا لم نمنع العِرض نزرع[5]

ويقول في النقيضة نفسها :

ونحن أناسٌ لا نرى القتلَ سُبّةً

على كل من يحمي الذّمار ويمنع[6]

جِلادٌ على ريب الحوادث لا نرى

على هالك عيناً لنا الدهرَ تدمع[7]

---

(١) انقشعوا : فروا وزالوا وذلوا .

(٢) يزجي : يجمع . وابن حرب : يعني أبا سفيان بن حرب .

(٣) توزعوا : تقسموا وانشعبوا .

(٤) يفظعوا : يهابوا ويفزعوا .

(٥) ابتنوا : ضربوا ابنيتهم، والعرض: موضع خارج المدينة، وكل واد فيه شجر.

(٦) السبة : العار . والذمار : ما يجب على الرجل حمايته .

(٧) جلاد : جمع جليد وجلد وهو الصلب . وريب الحوادث : صروفها .

بنو الحرب لا نَعيا بشيء نقوله
ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع[1]
بنو الحرب إنْ نظفرْ فلسنا بفُحَّش
ولا نحن من اظفارهـا نتوجّع

أما الفنون التي عالجتها هذه النقائض فهي نفس الفنون الجاهلية من مديح وهجاء وفخر ونحوها، مع تعديل في الاتجاه، وعفة في الالفاظ.

وامتازت هذه النقائض بتكرار الفنون، وتداخل بعضها في القصيدة الواحدة، فالشاعر يفخر ثم يمدح ثم يهجو ثم يعود الى الفخر ثانيةً وبعده الى الهجاء، وهكذا، ففي نقيضة كعب لضرار مثلاً نراه يفخر في أولها بالصبر والتوكل على الله :[2]

وسائلةٍ تسائلُ ما لقينا ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عِدْلاً على ما نابنا متوكلينا[3]

ثم ينتقل الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

وكان لنا النبيُّ وزيرَ صِدْقٍ به نعلو البريةَ أجمعينا[4]

وينتقل بعد هذا الى هجاء المشركين، فينعتهم بالظلم والعقوق والعداوة لله وللاسلام فيقول :

نقاتلُ معشراً ظلموا وعقُّوا وكانوا بالعداوة مُرصدينا[5]

---

(١) لا نعيا : لا نتعب. (٢) الديوان ص ٢٧٧.
(٣) العدل : المثل.
(٤) وزير : مؤازر، لانه يحمل وزره اي ثقله.
(٥) المرصد : المعد للامر عدته.

ثم يعود ثانية الى الهجاء، فيقول :

كما قد ردّكم فَلاً شريداً بغيضكم خزايا خائبينا[1]
خزايا لم تنالوا ثَمّ خيراً وكِدتم أن تكونوا دامرينا[2]
بريح عاصفٍ هبّت عليكم فكنتم تحتها مُتكمّهينا[3]

وفي بعض الاحيان كان يتضافر اكثر من شاعر مسلم لنقض ما قاله شاعر المشركين، من ذلك ما حصل يوم الخندق حين نظم ابن الزبعرى قصيدته التي منها :[4]

حتى الديار محا معارفَ رسمها
طولُ البلى وتراوحُ الاحقاب[5]
فكأنما كتب اليهود رسومَها
الا الكنيف ومعقد الاطناب[6]
فاترك تذكُّر ما مضى من عيشة
ومحلة خلق المقام يَباب[7]
واذكر بلاء معاشرٍ واشكرهمُ
ساروا باجمعهم من الانصاب[8]

---

(١) الفل : القوم المنهزمون . والشريد : الطريد النافر من الخوف والفزع .
(٢) الدامرون : الهالكون . (٣) المتكمه : من الكمه وهو العمى .
(٤) ابن هشام ٢/١٠٠ .
(٥) الاحقاب : جمع حقب ، وهو الدهر ، والحقب (بالكسر) : السنون واحدها حقبة .
(٦) الكنيف : اراد به الحظيرة التي تصنع للابل . والاطناب جمع طنب ، وهو الحبل الذي تشد به الاخبية ، وبيوت العرب . واراد بمعقدها الاوتاد التي تربط فيها .
(٧) خلق المقام: اراد ان محل الاقامة منها خال من كل من يقيم به . واليباب: القفر.
(٨) الانصاب : الحجارة التي يعلم بها الحرم ، او التي يذبحون لها ويعظمونها .

فتصدى له حسان ينقض قصيدته هذه بنقيضة منها :

هل رسمُ دارسةِ المقام يبـاب
متكلـم لمُحـاور بجـواب[1]
قفرٌ عفا رِهمُ السحاب رسومه
وهبوب كل مطلّة مِرباب[2]
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم
بيض الوجوه ثواقب الاحساب[3]
فدع الديارَ وذكر كلّ خريدة
بيضاء آنسة الحديث كِعاب[4]
واشكُ الهموم الى الاله وما ترى
من معشرٍ ظلموا الرسول غضاب
ساروا باجمعهم اليـه وألّبوا
اهل القرى وبواديَ الأعراب

ثم انبرى له كعب بن مالك لنقض القصيدة نفسها فقال قصيدة منها[5]

أبقى لنا حدَثُ الحروب بقيةً   من خير نِحلة ربّنا الوهّاب[6]

---

(١) دارسة المقـام : عفا محل الاقامة منهـا ، والمحاور الذي يراجعك الـكلام ويتحدث معك .

(٢) عفا : غير . والرم ، جمع رهمة ، وهو المطر الدائم . مطلة : اسم فاعل من اطلت السماء اذا جاءت بالطل ، وهو الضعيف من المطر . ومرباب : دائمة ثابتة .

(٣) الحلول : البيوت المجتمعة ، والثواقب : المشرقة .

(٤) الخريدة : المرأة الناعمة . وكعاب : الفتاة الشابة .

(٥) الديوان ص ١٧٨ .   (٦) النحلة : العطاء .

بيضاء مشرفة الذرا ومعاطناً   حُمٌّ الجذوع غزيرة الاحلاب[1]

وفي غمرة الانتصارات التي حققها المسلمون ظهرت بعض النقائض البعيدة عن روح الاسلام ، كان طرفا المناقضة فيها من المسلمين أنفسهم يحدوهم التعصب القبلي ، وتدفعهم النعرات الجاهلية ، من ذلك ما حصل بين عطية بن عفيف النصري والعباس بن مرداس حين اكثر ابن مرداس على هوازن في يوم حنين . ومما قال العباس :[2]

اني والسوابح يومَ جمعٍ   وما يتلو الرسول من الكتاب[3]
لقد احببت ما لقيت ثقيفٌ   بجنب الشِّعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من أهل نجد   فقتلُهم ألذ من الشراب

فأجابه عطية بن عفيف النصري :

أفاخرة رفاعةُ في حنين   وعبّاس ابن راضعة اللجاب
فانك والفخار كذات مُرط   لربتها وترفل في الاهاب

وبين رجل من بني جذيمة وآخر من بني ليث في فتح مكة .[4] وبين زيد بن صحار وعبدالله بن وهب يوم حنين[5]

وفي بعض الاحيان كان يتصدى أحد الشعراء المسلمين لمناقضة شاعر مشرك ثم ينظم المشرك نقيضة لهذه النقيضة وعندئذ يظهر شاعر مسلم آخر للرد على الشاعر المشرك وهكذا ، ومن ذلك ما حدث عندما

---

(١) بيضاء مشرفة الذرا : الحصون والاطام العالية . والمعاطن : منابت النخل عند الماء تشبيهاً لها بمعاطن الابل ، وهي مباركها حول الماء ، وحم : جمع احم وهو الاسود . والاحلاب : ما يحلب منها ، وهو تشبيه لما يجتنى من النخل .

(٢) انظر ابن هشام ٢/١٥٠ .

(٣) جمع : هي المزدلفة ، وهي المشعر الحرام .

(٤) انظر ابن هشام ٢/٤٣٤   (٥) المصدر نفسه ٢/٢٠٠ .

امتدح العباس بن مرداس رجال بني النضير بقصيدة مطلعها :[1]

ولو انَّ اهل الدار لم يتصدّعوا
رأيت خلال الدار ملهىً وملعبا

فناقضه خوّات بن جبير بقصيدة مطلعها :

تبكي على قتلى يهود وقد ترى
من الشجوُ لو تبكي أحب وأقربا[2]

فاجابه ابن مرداس بقصيدة مطلعها :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم
لهم نِعمٌ كانت من الدهر تُرتبا[3]

ثم تصدى له كعب بن مالك بنقيضة مطلعها :

لعمري لقد حكّت رحى الحرب بعدما
أطارت لؤياً قبلُ شرقاً ومغربا
بقيةَ آل الكاهنين وعزّها
فعاد ذليلاً بعدما كان أغلبا[4]

ومما يلاحَظ ان الشعراء المسلمين لم يلتزموا بجميع القيود التي فُرضت في العصر الاموي حيث وصل فن النقائض الى أوج كماله ، وانما كان يلتزم احدهم ان يقول في نفس موضوع الشاعر الذي يناقضه ، ونفس قافيته وبحره ، اما الروي فلم يكن يلتزم به ،

---

(١) المصدر السابق ٤٧٦/٢ (٢) الشجو : الحزن والاسى
(٣) ترتب : ثابت والتاء الاولى زائدة ، واصله من رتب الامر .
(٤) آل الكاهنين : الكاهنان قبيلتان من يهود المدينة ، يزعمون انهم من ولد هارون عليه السلام . واغلبا : القوى البين الغلبة .

وكذلك لم يكن يلتزم بنقض معاني القصيدة الواحد تلو الآخر ، وانما كان شاعرهم يحاول نقض المعاني العامة التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر .

واخيراً فالذي يلاحظ على هذه النقائض انها ظهرت في غالبيتها العظمى في ظل الايام الاسلامية .

ومعروف ان اهم مايعتمد عليه الشاعر في نقائضه ، نقض المعاني التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر . وهناك عدة طرق يسلكها الشاعر للوصول الى هذا الغرض منها :

التكذيب : فيكذب مايدّعي الشاعر من مآثر محاولاً ان يجعل هذه المآثر له ولقومه ، بدل الشاعر وقومه .

والمقابلة : وهي ان يضع ازاء كل ما يدّعيه الشاعر الآخر من مفاخر ما يقابله .

والقلب : فيقلب الشاعر المعاني على قائلها .

والتوجيه : فيفسر الحادثة بما يؤيد موقف الشاعر .

والوعيد والشماتة : فيهدد بذلك الشاعر وقومه ، ويشمت بما ينزل بهم من مصائب ونكبات .[1]

وقد سلك الشعراء المسلمون جميع هذه الطرق في نقائضهم مع غلبة عنصر الوعيد على اكثرها .

فحين ناقض كعب عمرو بن العاص ، الذي فخر بنصر قومه في أحد وعجز المسلمين عن تحقيق هذا النصر والتي يقول فيها[2]

---

(١) انظر الشايب : تاريخ النقائض ص ٢٧ (٢) ابن هشام ١٤٣/٢ .

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا
مع الصبح من رضوى الحبيك المنطّق[1]
تمنّت بنو النجار جهلاً لقاءنا
لدى جنب سلْع والاماني تصدق[2]
فما راعهم بالشرّ الا فجاءةً
كراديسُ خيل في الأزقة تمرُق[3]
ارادوا لكيما يستبيحوا قبابنا
ودون القباب اليومَ ضربٌ محرّق
وكانت قباب أومنت قبل ما تُرى
اذا رامها قوم أبيحوا وأحنقوا
كأن رؤوس الخزرجيين غدوةً
وأيمانهم بالمشرفيّة بَروق[4]

سلك كعب مسلك التوجيه في مناقضته له ، ولم يتخاذل لعدم انتصار المسلمين في احد ، بل صوّر صبرهم وبلاءهم في تلك المعركة ، وذكر اعتزاز المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ذى الشمائل الكريمة :

ألا ابلغا فِهراً على نأيٍ دارها
وعندهمُ من علمنا اليوم مصدق

---

(١) الفيفا : القفر . رضوى : اسم جبل . الحبيك : ذو الطرق . المنطق : المحزم
(٢) سلع : اسم جبل في المدينة
(٣) الكراديس : جماعات الخيل ، وتمرق : تخرج كما يخرج السهم
(٤) البروق : نبات له اصول يشبه البصل

بأنا غداةَ السفح من بطن يثرب
صبرنا وراياتُ المنيـة تخفـق[1]
صبرنا لهـم والصبرُ منا سجيّةٌ
اذا طارت الأبرامُ نسمو ونرتُق[2]
على عادةٍ تلكم جرينـا بصبرنا
وقدماً لدى الغايات نجري فنسبق
لنا حومـةٌ لا تُستطاع يقودهـا
نبيٌّ أتى بالحـقّ عفٌ مُصدق[3]

ثم راح يقابل فسلك مسلك الموازنة حين ناقض فخر ابن العاص بتقتيل المسلمين فقال :

الاهل أتى أفناء فهر بن مالك مقطّـع أُطرافٍ وهامٌ مفلّق[4]

وحين افتخر ابو سفيان بن حرب بتقتيل المسلمين :[5]

وسلّى الذي قد كان في النفس أنني
قتلتُ من النجار كلَّ نجيب
ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومصعباً
وكان لدى الهيجـاء غير هيوب[6]

---

(١) السفح : جانب الجبل . تخفق : تضطرب من مكان الى مكان
(٢) الابرام : اللئام . نرتق : نسد ونصلح
(٣) الحومـة : الجماعة . وقوله لا تستطاع : لا يتمكن منها احـد لشجاعتها وتماسكها .
(٤) الافناء : القبائل المختلطة ، ومقطع : مصدر ميمي بمعنى التقطيع . والهام : جمع هامة وهي الرأس
(٥) الطبري ٢/٥٢٣
(٦) القرم : الفحل الكريم من الابل وعني به ههنا حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه . والمصعب : الفحل من الابل ايضاً . وهيوب : خائف شديد الخوف

ولو انني لم اشفِ نفسيَ منهمُ
لكانت شجاً في القلب ذات ندوب[1]

تصدى له حسان فسلك سبيل المقابلة في مناقضته ، وراح يعدّد من قُتل من اشراف المشركين في قريش مقابلة لمن ذكر ابو سفيان من كبار المسلمين :

ذكرتَ القرومَ الصِّيدَ من آل هاشم
ولستَ لزورٍ قلتَه بمصيب[2]
أتعجب أن أقصدتَ حمزة منهم
نجيباً وقد سمَّيتَه بنجيب[3]
الم يقتلوا عمراً وعتبة وابنَه
وشيبةَ والحجَّاج وابن حبيب[4]
غداة دعا العاصي علياً فراعَه
بضربةِ عضبٍ بلَّهُ بخضيب[5]

وحين ناقض كعب بن مالك هبيرة بن ابي وهب الذي فخر بالانتصار في احد ، وبتقتيل المسلمين بعد تجميع القبائل العربية ضدهم في قوله :[6]

---

(١) الشجا : الحزن . والندوب : جم ندب وهو اثر الجرح
(٢) الصيد : جم اصيد وهو البطل والمتكبر لعظمته
(٣) اقصدت : اصبت
(٤) يعدد حسان ههنا من قتله المسلمون من علية قريش فى أحد
(٥) العضب : السيف القاطع . والخضيب : هنا الدم
(٦) ابن هشام ١٣١/٢

سقنا كنانة من أطراف ذي يَمَنٍ

عرض البلاد على ما كان يُزجيها[1]

قالت كنانة أنّى تذهبون بنا

قلنا النخيل فأمُّوها ومَن فيها[2]

نحن الفوارس يوم الجرِّ من أُحد

هابت معدٌّ فقلنا نحن نأتيها[3]

ثُبِّت رحنا كأنا عارض برد

وقامَ هامُ بني النجار يبكيها[4]

كان مسلك كعب في نقضه له التهديد والوعيد، فكثرة العدد والجموع التي خاض بها هبيرة جعلها كعب سبّة عليهم، لانهم اوردوها حياض الموت فى الدنيا والنار في الآخرة.

سقتم كنانة جهلاً من سَفاهتكم

الى رسول فجندُ الله مخزيها

اوردتموها حياض الموت ضاحيةً

فالنار موعدها والقتل لاقيها[5]

ثم عمد كعب الى مسلك الموازنة والمقابلة، فذكر انتصار المسلمين

---

(١) العرض : (بضم العين) السمة . يزجيها : يسوقها

(٢) النخيل : اراد مدينة الرسول (ص) . اموها : اقصدوها

(٣) الجر : ـ بفتح الجيم ـ أصل الجبل .

(٤) العارض : السحاب . البرد : الذي فيه برد . الهام : جمع هامة وأصله الطائر الذي تزعم العرب انه يخرج من رأس القتيل ويبقى حائماً حول قبر القتيل قائلا اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأر القتيل .

(٥) الحياض : جمع حوض . والضاحية : البارزة للشمس .

في بدر مقابل انتصار المشركين في احد وذكر قتلاهم بقليب بدر إزاء قتل المسلمين في احد .

جمّعتموها أحابيشاً بلا حسبٍ
أئمة الكفر غرّتكم طواغيها[1]

ألا اعتبرتم بخيل الله اذ قتلت
أهلَ القليب ومن ألقينه فيها[2]

كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمن
وجزّ ناصيةٍ كنا قواليها[3]

وفي بدر ناقض كعب ضرار بن الخطاب الذي توّعد المسلمين بجولة اخرى منكراً على الانصار فخرهم بانتصارهم ، عازياً سبب الانتصار الى قيادة الرسول ومَنْ معه من المهاجرين ، لا الى بطولة الانصار مع المهاجرين من حول الرسول ، وقصْدُ ضرار واضح طبعاً ، فهو يريد أن يحوّل النصر الذي حققه المسلمون - انصارهم ومهاجروهم - الى قريش التي ينتمي اليها الرسول والمهاجرون ، ليجرّد الانصار من هذه الفضيلة تعصباً قال :[4]

فان تكُ قتلى غودرت من رجالنا
فإنا رجالٌ بعدهم سنغادر

(١) الحسب : النسب .
(٢) القليب : قليب بدر يريد ما حصل لقريش يوم بدر .
(٣) الجز : القطع ، والناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس ، والموالي : جمع المولى والمراد به المتولي والصاحب .
(٤) ابن كثير : البدايه والنهاية ٤/١٣٠ .

وتردي بنا الجُرْدُ العناجيجُ وسطكم
بني الاوس حتى يشفي النفس ثائر[1]
ووسط بني النجار سوف نكرها
لها بالقنا والدارعينَ زوافر[2]

الى ان يقول :

فان تظفروا في يوم بدر فإنما
بأحمدَ أمسى جَدُّكم وهو ظاهر[3]
وبالنفر الاخيار هم أولياؤه
يُحامون في اللأْواء والموت حاضر[4]
يُعدّ أبو بكر وحمزة فيهم
ويُدعى عليٌّ وسط من أنت ذاكر
ويُدعى أبو حفص وعثمانُ منهم
وسعدٌ اذا ما كان في الحرب حاضر
اولئك لا مَنْ نَتجت في ديارها
بنو الاوس والنجار حين تُفاخر[5]

فعمد كعب الى هذين المعنيين فنقضهما، سالكاً في نقض المعنى الاول سبيل التكذيب، اذ جمع المشركون في بدر وحشدوا كل ما استطاعوا، ومع ذلك كان النصر حليف المسلمين، فعلام هذا

---

(١) تردي : تسرع . الجرد : الخيل القصيرة الشعر . العناجيج، جمع عنجوج وهو الحصان الطويل السريع .
(٢) الزوافر : جمع زافرة، وهي الحاملات للنقل .
(٣) جدكم : حظكم .
(٤) اللاواء :
(٥) نتجت : ولدت .

الادعاء الطويل ، والضجيج الصاخب الذى اصطنعه ضرار ؟!

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقيَ معشراً
بغَوا وسبيلُ البغيِ بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ
من الناس حتى جمعُهم متكاثر

اما لنقض المعنى الثاني فقد سلك سبيل القلب ونخر بالرسول عليه السلام ، وتأييد الانصار له ، وعيّر قريشاً بصدّهم عن سبيل الهداية ، وتولّيهم عن الاستجابة لما دعاهم الرسول من الخير .

وفينا رسولُ الله والاوس حوله
لهُ معقِل منهم عزيز وناصر [1]
وجمعُ بني النجار تحت لوائه
يُمشُّون في الماذيّ والنقعُ ثائرُ [2]

وبعد أن فخر بشجاعة المسلمين وإقدامهم قال :

وكان رسول الله قد قال أقبلوا
فولوا وقالوا إنما انت ساحر

وزاد على نقضه هذين المعنيين بأن اظهر شماتته بقتل رؤوس الكفر في بدر حيث قال :

---

(١) المعقل : الموضع الذي يلجأ اليه ويعتصم به .
(٢) الماذي : الدروع البيض اللينة ، والنقع : الغبار .

فكُبَّ أبو جهل صريعاً لوجهه
وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيميّ غادرن في الوغى
وما منهمُ الا بذي العرش كافر

وحين امتدح العباس بن مرداس نساء بني النضير بقوله :[1]

اذا جاء باغي الخير قلن فجاءةً له بوجوهٍ كالدنانير مرحبا
واهلاً فلا ممنوع خير طلبته ولا أنت تخشى عندنا ان تؤنّبا

تصدّى له الشاعر المسلم خوّات بن جبير بنقيضة سالكاً سبيل التكذيب لِما ادّعاه من فضل بني النضير، جاعلاً هذه المآثر للانصار :

فانك لما أن كلفت تمدّحاً لمن كان عيباً مدحه وتكذّبا
رحلت بأمر كنت أهلا لمثله ولم تلفَ فيهم قائلاً لك مرحبا
فهلاّ الى قومٍ ملوكٍ مدحتهم تبنوا من العزّ المؤثل منصبا
الى معشرٍ صاروا ملوكاً وكرموا ولم يُلفَ فيهم طالب العرف مجدبا
اولئك أحرى من يهودٍ بمدحة تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا[2]

أما المراجزات في هذا الباب فقد وصلت الينا منها اكثر من مراجزة، منها حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فقال لسلمة ابن الاكوع انزل هاتِ من هناتك[3] فنزل سَلَمة يرتجز ويقول :[4]

لم يغذها مُدٌّ ولا نصيفُ ولا تُمَيرات ولا تعجيف[5]
لكن غذاها اللبنُ الخريفُ المحضُ والقارصُ والصريف

---

(١) ابن هشام ٢/٢٠٠ .
(٢) ترتب : ثابت .
(٣) هناتك : اخبارك واشعارك .
(٤) الجو البقي شرح ادب الكاتب ص ٣٩١ .
(٥) المد : مكيال . والنصيف : نصفه . والتعجيف : الاكل دون الشبع .

فلما سمعته الانصار يذكر التميرات والمدّ والنصيف ، علموا انه يعرّض بهم ، فاستنزلوا كعب بن مالك الانصاري ، فقالوا : يا كعب انزل فاجبه ، فنزل كعب يرتجز وهو يقول :

لم يغذها مُدٌّ ولا نصيف ولا تُمَيرات ولا تعجيف
لكنْ غذاها حنظل نقيف ومذقة كطرة الخنيف[1]
تبيت بين الزرب والكنيف

وبذلك نقض كعب ما تصوّره الانصار تعريضاً بهم ، وسلكَ في هذا النقض اسلوب المقابلة، فشاعر قريش لم يزد عن ذكر التميرات ، فقلبها كعب بتعريض أشد منه وأقسى ، فذكر الحنظل المنقوف.[2] ثم ذكر المذقة وهي الشربة من اللبن الممذوق ، شبهها بحاشية الكتان الردىء لتغيير لونها . ولم يكتف بذلك فادّعى ان تلك المذقة كانت مما تعلفه الشاء والابل في الزرب والحظائر لا بالكلأ والمراعي لان مكة لا رعي بها . فقال النبي (ص) : اركبا . مخافة ان يجري بينهما شيء .

وحين خرج مرحب اليهودي من حصنهم يرتجز[3] :

قد علمت خيبرُ أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اطعن احياناً وحيناً اضرب اذا الليوثُ أقبلت تحرب
إن حمايَ للحمى لا يقرَب

---

(١) النقيف : المشقوق . المذقة الشربة من اللبن الممزوج . والخنيف : نوع غليظ من أردأ الكتان . شبه بحاشيته اللبن الممزوج في لونه ، لتغير لونه وذهابه بالمزج . الزرب : الحظيرة .

(٢) كانت قريش وثقيف تتخذان من الحنظل اطبخة فعيرهم بذلك .

(٣) النويري : نهاية الارب في فنون الادب ١٧/٢٥٢ .

وهو يقول مَنْ يبارز ؟ فتصدّى له كعب بمفاخر تقابل ما افتخر به من شجاعة وزاد عليها بقوله :

قد علمت خيبر أني كعبُ ... مفرّج الغمّى جرئٌ صُلب
اذ شبّت الحرب تلتها الحرب ... معي حسام كالعقيق عضب[1]
نطؤكم حتى يذلّ الصعب ... نُعطى الجزاء او يفئ النهب
بكفّ ماضٍ ليس فيه عتب

وهكذا نقض عليه معانيه التى فخر بها سالكاً سبيل المقابلة ، فوضع ازاء كل مفخرة افتخر بها الشاعر ما يقابلها ثم سلك سبيل التهديد والوعيد له ولقومه اليهود ، فذكر له الحكم الذي قرره الاسلام فيهم وهو الجزية أو القتل .

(١) العقيق : شعاع البرق .

الرّثاء

الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر الاسلامي ، فقد بكى شعراء العصر من فارقهم سواء من مات منهم او استشهد .

وقد سلك الشعراء في رثائهم ثلاثة سبل هي :

الندب : وهو بكاء الفقيد ، فيئن الشاعر ويتفجع ، وتسيل دموعه مدراراً ، وكأنها لا تريد ان تجف ، وتتدفق كلمات الشاعر باكية محزونة وتنظم اشعاراً كلها آلام واحزان .

وقد كان مصاب المسلمين بفقد رسول الله (ص) عظيما ورزؤهم كبيراً فندبه شعراؤهم ، وبكوه بدموع ساخنة[1]

وقد استعان الشعراء على رثاء موتاهم وقتلاهم بالبكاء فطالما طلبوا الى اعينهم ان تنجدهم بالدمع والى مآقيهم ان تسعفهم بالبكاء .

فحين استشهد شماس بن عثمان المخزومي في احد بكته زوجته نعم بنت عثمان المخزومي بكاء حاراً فقالت :[2]

يا عين جودي بدمع غير ابساس

على كريم من الفتيان لباس[3]

---

(١) انظر مراثي رسول الله (ص) .

(٢) الاصابة ٤/٤٠٤ .

(٣) ابساس : الابساس ان تمسح ضرع الناقة لتدر وقد استعارت هذا المعنى للدمع النائض بغير تكلف . ولباس : صيغة مبالغة للذي يلبس اداة الحرب .

وقد استحالت المدينة المنورة إلى بركان يقذف بحمم الندب والبكاء حين استشهد حمزة بن عبدالمطلب (رض) فقد كان استشهاده صدمة عنيفة بالنسبة لجميع المسلمين ، فرثاه شعراؤهم بقصائد تفيض بالشعور الصادق والعواطف المتأججة ، عبروا فيها عن نفوس محزونة قد تجد في الدمع متنفسا لما فيها من كرب وحزن وربما كان مبعث هذه الالام وتلك الاحزان ما قدم للاسلام من خدمات في وقت لم يكن انصاره من القوة ما يمكنهم ان يستغنوا عنه ولحزن الرسول البالغ عليه ، وتأثره العميق لاستشهاده ، فقد روي انه لما وقف على حمزة قال : لن اصاب بمثلك ابداً ، ما وقفت موقفاً قط اغيظ اليّ من هذا .[1]

وقد يكون سبب ولوج المسلمين هذه السبيل في رثائه ، رغبة الرسول (ص) في بكائه فقد روي انه حين سمع بكاء الانصار على قتلاهم ذرفت عيناه ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له .[2]

فطالب كعب صفية بنت عبدالمطلب أن تبكّي النساء عليه ولا تسأم ان تطيل عليه البكاء فقال :[3]

صفية قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزة
ولا تسأمي ان تطيلي البكا على أسد الله في الهزة[4]

وطلب حسان الى احدى نساء المسلمين اسمها مي أن تندب حمزة ومن أصيب معه من أصحاب رسول الله يوم أحد فقال :[5]

---

(١) ابن هشام ٢/٩٥ . (٢) ابن هشام ٢/٩٩ .
(٣) الديوان ص ٢١٦ .
(٤) اسد الله : لقب حمزة (رض) . والهزة : بالكسر تحرك الموكب .
(٥) ابن هشام ٤/١٥١ .

يا مي قومي فاندبي ... بسحيرة شجو النوائح[1]
كالحاملات الوقر بالثقل الملحات الدوالح[2]
المعولات الخامشات ... وجوه حرات صحائح[3]

الى أن يقول :

يا حمز لا والله لا ... انساك ما صُرّ اللقائح[4]
لهفي لشبان رزئناهم كأنهم المصابح
من كان امسى وهو عما ... اوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عينا ... ه لهلكانا النوافح[5]

وسأل في قصيدة اخرى الشعراء ان يقلعوا عن بكاء الاطلال لينذبوا حمزة :[6]

دع عنك داراً قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل[7]

وبكاه كعب في قصيدة اخرى مع اعترافه الاّ فائدة من البكاء والعويل :[8]

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
على اسد الاله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل

وبكته أخته صفية بقصيدة حزينة منها :[9]

---

(١) الشجو : الحزن .
(٢) الملحات : الثابتات التى لا تبرح . الدوالح : الي تحمل الثقل .
(٣) المعولات : الباكيات بصوت . الخامشات : الخادشات .
(٤) صر : ربط . اللقائح جمع لقحة بالكسر وهي الناقة .
(٥) النوافح : الذين كانوا ينفحون بالمعروف ويوسمون به .
(٦) ابن هشام ١٥٥/٤ . (٧) النائل : العطاء .
(٨) الديوان ص (٩) ابن هشام ٢/

فـوالله لا أنساك ماهبت الصبـا

بكاء وحزناً محضـري ومسيري[1]

فياليت شلوي عند ذاك واعظمي

لدى اضبع تعتـادني ونسـور[2]

وعندما استشهد خبيب توارد الشعراء على ندبه وبكائه ايضاً فقال حسان بن ثابت :[3]

يا عين جودي بدمع منك منسكب

وابكي خبيباً مع الفتيان لم يؤب

قد هاج عيني على علاّت عبرتها

اذ قيل نُصَّ الى جذع من الخشب[4]

وبكاه في قصيدة اخرى فاستهلها بقوله :[5]

ما بال عينك لاترقا مـدامِعُهـا

سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق

على خبيب فتى الفتيان قد علموا

لا فشل حـين تلقـاه ولا نزق[6]

وحين يستشهد دعاة الاسلام في يوم بئر معونة يطلب حسان الى عينه أن تستهل بالدموع ويعلن لهفته على منذر بن عمرو فيقول:[7]

---

(١) مسيري : أي غيابي .

(٢) الشلو : البقية . تعتادني : تتعاهدني :

(٣) ابن هشام ٢/١٧٧ .

(٤) العلات : المشقات . نص : رفع .

(٥) ابن هشام ٢/١٧٧ .

(٦) الفشل : الجبان الضعيف .

(٧) ابن هشام ٢/١٨٩ .

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير نزر
فيا لهفي لمنذر اذ تولى واعنق في منيته بصبر[1]

وسلك كعب سبيل الندب والبكاء ايضا حين رثى عبيدة بن الحارث فطالب عينيه ان تجودا بالدمع ولا تبخلا عليه بذلك فقال:[2]

أيا عين جودي ولا تبخلي بدمعك حقا ولا تنزري
على سيد هدنا هلكه كريم المشاهد والعنصر

وحين يستشهد سعد بن معاذ في يوم بني قريظة يدع حسان عينيه تسجمان عبراتها ويعذرها عندما تفيضان في ذلك فيقول:[3]

لقد سجمت من دمع عيني عبرة
وحق لعيني ان تفيض على سعد[4]
قتيل ثوى في معرك فجعت به
عيون ذواري الدمع دائمة الوجد[5]

وتتقد اللوعة في فؤاد متمم بن نويرة، وسيتولى عنه الحزن والالم، ويلف حياته الجزع فيظل يبكي اخاه مالكاً الذي قتل في حروب الردة بقلب موجع وفؤاد ملتاع فيقول:[6]

لقد لامني عند القبور على البكا
صديقي لتذراف الدموع السوافك

---

(١) اعنق : اسرع .
(٢) الديوان ص ٢٠٢ .
(٣) ابن هشام ٢٦٩/٢ .
(٤) سجمت : سالت .
(٥) معرك : موضع القتال . ذواري الدمع : ساكبات الدمع .
(٦) الاصابة ٣٤٠/٣

يقول اتبكي كل قبر رأيته

لقد ثوى بين اللوى والدكادك[1]

فقلت له ان الشجى يبعث الشجى

فدعني فهذا كله قبرُ مالك

وقد ظل يبكيه، وتذوب نفسه عليه حسرات حتى اسخط عمر ابن الخطاب على ما كان من قتل خالد بن الوليد له. وصار ندبه له مضرب الامثال فتمثل به كل محزون، ورواه كل مفجوع، ويمكن ان نعد رثاءه لأخيه خير مثال لشعر الندب والبكاء في الادب العربي.

ويستشهد سليمان بن خالد بن الوليد في احدى حروبه مع الروم لفتح الشام، فيرسل دموعه مدراراً، وتشب نار الالم والحرقة في فؤاده، وتذوب احشاؤه، ويظل يبكيه ما اشرق النهار واظلم الليل فيقول:[2]

جرى مدمعي فوق المحاجر منهمل

وحر فؤادي من جوى البين يشتعل

وهام فؤادي حين اخبرت نعيه

فليت بشير البين لا كان قد وصل

لقد ذوب الاحشا واجرى مدامعي

حبيبا وعن نار الفؤاد فلا تسل

سابكي عليه كلما اقبل المسا

وما ابتسم الصبح المنير وما استهل

---

(١) لوى الرمل: منقطعه. والدكادك: جم دكدك وهو الرمل المستوي

(٢) فتوح الشام ١٨٠/٢

لقد كان بدراً زائد الحسن طالعا

فاصبح بعد النور والزهو قد أفل

وتمتد يد آثمة مجرمة لاغتيال الخليفة عمر بن الخطاب فيخر شهيداً فيبكيه الشعراء جميعاً ، ويكون الندب من ابرز وسائلهم في رثائه .

فطالبت زوجته عاتكه بنت زيد عينيها ان تجودا بالعبرة والنحيب والا تملا بكاء الفقيد الحبيب فتقول :[1]

عين جودي بعبرة ونحيب   لا تملي على الامام النجيب

وعندما يقتل معرض بن الحجاج يوم الجمل تفزع نفس اخيه نصر ، وتدمع عيناه ، وتفارق نفسه حبها وامنها فيقول :[2]

لقد فزعت نفسي لذكري معرضاً

وعيناي جادت بالدموع شؤونها

فاصبحت قد فض القوارع مروتي

وفارق نفسي حبها وامينها

ولم يكتف الشعراء ببكاء من يفقدون ، واظهار حزنهم وأساهم عليهم بل حاولوا ان يشركوا العوالم الطبيعية رزء المصاب فهي تحسُّ وتتألم معهم ، وتبكي وتنوح على موتاهم ، وعمار بن ياسر يشرك حمام الايك فيما يحسُّ به من آلام واحزان لمصرع سليمان بن خالد بن الوليد ، فيطلب اليها بعد ان تشاركه النواح ان تُعلم خالداً بما جرى لابنه وان تنقل اخبار قتلى المسلمين الى ذويهم فيقول :[3]

(١) اسد الغابة ٧٨/٤

(٢) الاستيعاب ٣٧٧/٣

(٣) فتوح الشام ١٧٧/٢

فيا حمام الايك نوحي اذاً على فتى قد كان غصناً رطيب
وأعلمي بما جرى خالداً لعله يبكي بدمع صبيب
واخبري المقداد من بعده بان عبدالله اضحى سليب[1]
بل واندبي الأخيار من بعدهم وكلَّ قَرْمٍ للمعاني مصيب

ويستشهد جعفر بن ابي طالب في موقعة مؤتــه فيظلم القمر ، وتكسف الشمس وتكاد ان تأفل كما يقول كعب بن مالك :[2]

فتغـير القمـر المنـير لفقـده
والشمس قد كسفت وكادت تأفل[3]

وأظلمت اركان الارض واسودّ نور القمر لمصـرع حمزة قال حسان :[4]

اظلمت الارض لفقدانــه واسودّ نور القمـر الناصل[5]

وتنهد الجبــال لمصرع عثمان (رض) وتحزن النجوم لمقتلــه ، وتشارك الشمس المسلمين احزانهم فلا تبزغ كعادتها كل يوم ، بل هي مكسوفة عليه قال كعب بن مالك :[6]

---

(١) عبدالله : هو عبدالله بن المقداد . حين رأى سليمان بن خالد ملقى على الارض مصرعا صاح لا حياة بعدك يا ابا محمد والملتقى في جنات عدن ثم غاص يقاتل فأحاطوا به واشتبكت عليه الأسنة وضرب ضربات كثيرة في وجهه ، وهو يقطع الرماح ويمسح الدم عن وجهه حتى سقط به الجواد وصاح واشوقاه اليك يامقداد ثم تبسم وقال : مرحبا ثم مات رحمة الله عليه

(٢) ديوانه ص ٢٦١

(٣) تأفل : تغرب وتغيب

(٤) ابن هشام ١٥٦/٢ .

(٥) الناصل : الخارج من السحاب. ويقال : نصل القمر من السحاب اذا خرج عنه .

(٦) الديوان ص ٣٣١ .

ويحُ لامرٍ قد أتاني رائع هد الجبال فانقضت برجوف
قتل الخليفة كان امراً مفظعاً قامت لذاك بلية التخويف

أما الطريقة الثانية التي سلكها الشعراء المسلمون في رثاء من فقدوا فهي التأبين ، وهو ليس نواحاً ولا نشيجاً .. بل هو ادنى الى الثناء منه الى الحزن الخالص ... فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وانما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد المهم من افرادها ، ولذلك يسجل فضائله ويلح في هذا التسجيل و كأنه يريد ان يحفرها في ذاكرة التاريخ حفراً حتى لا تُنسى على مر الزمن :(1)

فحين رثت زينب بنت العوام ابنها عبدالله بن حكيم ، اظهرت اثر فقده وفقد عثمان بن عفان قبله على الدين وعلى قومها فقالت :(2)

فكيف بنا أم كيف بالدين بعدما
أصيب ابن اروى وابن ام حكيم

وعندما استشهد حمزة (رض) عمّ مصابه الناس جميعاً وخص رسول الله (ص) كما عبر عن ذلك كعب بن مالك :(3)

اصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد اصيب به الرسول

وضاع امر المسلمين وتشتتت بهم سبل الرشاد بعد استشهاد عثمان ابن عفان (رض) كما قالت ليلى الاخيلية :(4)

قتل ابـن عفان الامـام وضـاع امـر المسلمينـا
وتشتتت سـبل الرشـا د لصـادرين وواردينـا

---

(1) شوقي ضيف : الرثاء ص ٦
(2) جمهرة نسب قريش واخبارها ص ٣٧٩ .
(3) الديوان ص ٢٥٢ (4) الاستيعاب ٨٣/٣

وعندما كان الشعراء يسجلون فضائل المـرثي ويعددون مناقبه كانوا يخضعون هذه المناقب للمقاييس الاسلامية ، فتحدثوا بسيرة لم تكن تعرفها الجاهلية ، فيها المجد والتقوى والاسلام ، وفيها الخير والبر والوفاء وبهذه المآثر والمناقب الجديدة كانت مصيبة الاسلام والمسلمين في فقد ابي بكر الصديق ، فرثاه حسان بقوله :[1]

اذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خـير البرية اتقاهـا وأعدلها
بعد النبي واوفاها بمـا فعـلا
الثـاني اثنين والمحمود مشهده
واول الناس طراً صدّق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من البرية لم يعـدل به رجـلا

ويستشهد عمر بن الخطاب (رض) فيرثيه الشماخ ويؤبنه تأبيناً رائعاً بمناقب اسلامية خالصة ساس بها المسلمين ورعى امورهم فيهـا بالعدل قال :[2]

جزى الله خيراً من إمام وباركت
يد الله في ذاك الأديم المـمزّق
فمن يجرِ أو يركب جناحي نعامة
ليدرك ما قدّمت بالأمس يُسبَق

---

(١) الديوان ٢٩٩ .
(٢) الاستيعاب ٤٦٥/٢ .

قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها

بوائج في اكمامها لم تُفتَّق[1]

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت

له الأرض تهتز العِضاة بأسوق[2]

ويستشهد عثمان (رض) فيتوارد الشعراء على تأبينه بمحامده الاسلامية ومناقبه الدينية فيقول حسان :[3]

ضحّوا بأشمطَ عنوان السجود به

يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا[4]

صبراً فدىً لكم أمي وما ولدت

قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا

لتسمعنّ وشيكاً في ديارِكم

الله اكبر ياثارات عثمانا

ورثاه في قصيدة أخرى مؤبناً أياه بخصال إسلامية جديدة أيضاً فهو ولي الله وهو الرشيد المسدّد :[5]

قتلتم وليَّ الله في جوف داره

وجئتم بأمر جائر غير مهتد

فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا

على قتل عثمان الرشيد المسدّد

---

(١) بوائج : جمع بائجة وهي الداهية .
(٢) العضاة : شجر ، وأسوق : جمع ساق .
(٣) الاستيعاب ٣/٨٢ .
(٤) أشمط : شائب .
(٥) الاستيعاب ٣/٦٦ .

وحين يستشهد الامام علي كرم الله وجهه ينهض الشعراء لرثائه فيؤبنونه بما فقد وامن أخلاقه الاسلامية وشمائله السامية، فكل مناقبه خير، فهو حِب رسول الله، وخير قريش حسباً وديناً، يقيم الحق في الارض ولا يتردد فيه، ويحكم بالعدل فلا يحيد عنه، ويفيض علماً ولا يكتمه ولا يتبختر تباهياً به كما يقول ابو الاسود الدؤلي:[1]

الا يا عين ويحكِ أسعدينا … ألا تبكي أميرَ المؤمنينا
أفي شهر الصيامِ فجعتمونا … بخيرِ الناس طراً أجمعينا
فكل مناقب الخيرات فيه … وحِب رسولِ ربّ العالمينا
لقد علمت قريشُ حيث كانت … بأنك خيرها حسباً ودينا
وكنا قبل مقتله بخيرٍ … نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه … ويعدلُ في العدا والأقربينا
وليس بكاتمٍ علماً لديه … ولم يُخلقْ من المتجبرينا

ولم يقتصر الشعراء وهم في معرض تعديد مآثر المرثي وذكر مفاخره على المناقب الاسلامية الجديدة، وانما عرضوا ايضاً الى كثير مما تعارف عليه العرب من مفاخر جاهلية لم ينكرها الاسلام، من ذلك التأبين بذكر الكرم فقد تداول اكثر الشعراء هذه المنقبة التي عرف بها العربي في جاهليته، قالت هند بنت اثاثة ترثي عبيدة ابن الحارث معددة خصاله من سيادة وحلم ورجاحة عقل وكرم ونجدة وهي جميعاً من المناقب التي يفخر بها العربي في الجاهلية:[2]

---

(١) الاستيعاب ٣/٦٦ .
(٢) ابن هشام ٢/٤١ .

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤدداً
وحلماً اصيلاً وافر اللب والعقل[1]
عبيدة فابكيه لأضياف غربة
وارملة تهوى لا شعث كالجذل[2]
وبكيه للاقوام في كل شتوة
اذا احمرّ افاق السماء من المحل[3]
وبكيه للايتام والريح زفزة
وتشبيب قدر طالما ازبدت تغلي[4]
فان تصبح النيران قد مات ضوءها
فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل او لملتمس القرى
ومستنبح أضحى لويه على رسل[5]

وأتى كعب بن مالك على ذكر الكرم في معرض تعديده مناقب عثمان واضاف اليه مناقب جاهلية اخرى كالوفاء وحفظ الجار والشجاعة فقال :[6]

من معشر لا يغدرون بجارهم   كانوا بمكة يرتعون زمانا

---

(١) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة .
(٢) الجذل اصل الشجرة : تصفه بالثبات والعقدة .
(٣) المحل : القحط .
(٤) الزفزف من الرياح : الشديدة الدريعة المرور . والتشبيب : ايقاد النار تحت القدر ونحوها .
(٥) المستنبح : الرجل يضل بالليل فيتكلف نباح الكلاب لتجاوبه كلاب الحي المتوهم نزولهم في طريقه فيهتدي بصياحها . والرسل : بالكسر : اللبن .
(٦) الديوان ٢٨٦ .

يعطون سائلهم ويأمن جارهم ... فيهم ويردون الكماة طعانا

وذكرت ام سلمة هذه السجية ايضاً حين رثت ابن عمها الوليد ابن الوليد فقالت :[1]

قد كان غيثاً في السنين ... ورحمة فينا وميره

وذكرت زينب بنت العوام هذه السجية في رثائها ابنها عبدالله بن حكيم الذى فقدته يوم الجمل فقالت :[2]

اعينيَّ جودا بالدموع وأفرغا ... على رجل طلق اليدين كريم

وكانت الشجاعة من المناقب البارزة في تأبين الشعراء الاسلاميين فهذه عاتكة بنت زيد تبكي زوجها عبدالله بن ابي بكر فلا تصفه الا بالفتوة والشجاعة يوم الهياج فعندما تشرع الاسنة يتقدم الصفوف ولا يعود الا بعد ان يحمرّ رمحه بدماء الاعداء فقالت :[3]

فلله عيناً من رأى مثله فتى ... اكرّ وأحمى في الهياج واصبرا

اذا أشرعت فيه الاسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح احمرا

وابرزت هذه السجية حين رثت عمر بن الخطاب فقالت :[4]

فجعتني المنون بالفارس المعـ ... ـلم يوم الهياج والتثويب

وأبّن حسان حمزة (رض) بهذه السجية ايضاً فقال :[5]

والتارك القِرن لدى لبدة ... يعثر في ذي الخرص الذابل[6]

---

(١) اسد الغابة ٥/٩٣ .
(٢) الاصابة ٤/٣١٢ .
(٣) الاستيعاب ٤/٣٥٥ .
(٤) المصدر السابق ٤/٣٥٦ .
(٥) ابن هشام ٢/١٥٥
(٦) القرن : المنازل فى القتال . ذو الخرص : الرمح . الذابل : الرقيق .

واللابس الخيل اذا احجمت كالليث في غابته الباسل .

وجاء تأبين كعب له مؤكداً هذه السجية ايضاً اذ قال :[1]

والتارك القرن الكميّ مجدّلاً يوم الكريهة والقنا يتقصد[2]
وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لبدة شثن البراثن أربد[3]

وقد توارد اكثر الشعراء على هذه السجية في مراثيهم .[4]

وجمع حسان اغلب الخصال الجاهلية في مرثيته لحمزة (رض) . فهو عون اليتامى وغوث الارامل ، وهو من يُدعى حين ينوب الدهر وتسعر الحرب . فارس القوم والمدافع عنهم باللسان وباليد . وهو السيد الشريف اذا عد السادة الشرفاء كان في عليتهم ، وهو جواد طلق اليدين ، حليم ذو وقار قال :[5]

يا حمز ، لا والله لا انساك ما صرّ اللقائح[6]
لمُناخ أيتام واضيافٍ وارملة تُلامح[7]
ولما ينوب الدهر في حرب لحرب وهي لاقح
يا فارساً يا مِدرهاً يا حمز قد كنت المصامح[8]
عنا شديدات الخطو ب اذا ينوب لهن فادح

(١) الديوان ص ١٩٠ .
(٢) مجدلا : مطروحاً على الجدالة وهي الارض . يتقصد : يتكسر .
(٣) ذو لبدة : اسد. واللبدة : الشعر الذي على كتفي الاسد . الاربد : الاغبر يخالطه السواد .
(٤) انظر مثلا ديوان كعب ص ٢٠٢ و ٢٤٠ و ٢٦١ . واسد الغابة ٧٨/٤ .
(٥) ابن هشام ١١٣/٢ .
(٦) صر : ربط . واللقائح : جمع لقحة وهي الناقة لها لبن .
(٧) المناخ : المنزل . تلامح : تنظر بعينها نظراً سريعاً ثم تغضها .
(٨) المدره : المدافع عن قومه بلسانه ويده . والمصامح : الشديد الدفاع .

ذكرتني أسد الرسو ل وذاك مدرهاً، المنافح
عنا وكان يعد اذ عد الشريفون الجحاجح[1]
يعلو القماقم جهرة سبط اليدين اغر واضح[2]
لا طائش رعش ولا ذو علة بالحمل آنح[3]

اما العزاء، وهي الطريقة الثالثة التي كان يسلكها شعراء الجاهلية في مراثيهم والتي برع فيها العباسيون من بعد فحظ المراثي الاسلامية منها قليل مع ان القرآن الكريم قد حث عليها وامر بها في قوله تعالى (... وبشّر الصابرين. الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)[4].

وتعني هذه الطريقة أن ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها الى التفكير في حقيقة الموت والحياة وقد ينتهي به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة، ومرد هذا كله ان الحياة ظل لا يدوم واذن فليقبلوا الحياة كما هي ليقبلوها على انها دار زوال وانتقال وليست دار بقاء واستمرار، فكل يلعب دوره ويمضي ولا شيء يدوم، والانسان ضعيف امام هذا التغير والتقلب لا يملك من امره ولا من حياته شيئاً ولهذا وجب ان تكون نظرتنا الى الحياة قائمة على التسليم لله والرضا بقضائه والصبر على امتحانه احتساباً وطلباً للاجر

---

(١) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد .
(٢) القماقم : السادة . وسبط اليدين : جواد .
(٣) الانح : البعير الذي اذا حمل الثقل اخرج من صدره .
(٤) سورة البقرة : آية ١٥٥-١٥٧ .

والمشوبة[1] ولعل ضياع كثير من الشعر الاسلامي كان سبباً في ظاهرة القلة .

وتوجد نماذج قليلة من هذا اللون من الرثاء ، ومن هذه النماذج القليلة التي تناولت تلك المعاني وخضعت للتوجيه الذي بيناه مرثية ابي ذؤيب الهذلي لابنائه الخمسة الذين فقدهم مرة واحدة في طاعون حيث يقول :[2]

أمنَ المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمُعتب من يجزع[3]
ولقد حرصت بأن ادافع عنهم ... فاذا المنية اقبلت لا تُدفع
واذا المنية انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمةٍ لا تنفع[4]
والدهر لا يبقى على حدثانه ... جون السراة له جدائد اربع[5]

وثمة لون جديد لم يعرفه الشعر العربي من قبل وهو رثاء الاعضاء والاشلاء التي كان يفقدها المجاهدون في ساحات المعركة . فيعدون تلك الاعضاء احتساباً ، ويفخرون ببذلها في سبيل الله ، ومن تلك الصور أن اخا بني كاهل فقد رجله في احدى حروب الاسلام فاحتسبها عند الله وقال :[6]

صبراً عفاق انها الاساورة ... صبراً ولا تغمدك رجل نادرة

(١) انظر الرثاء ص ٨٦ .
(٢) ديوان الهذليين ص ٢ .
(٣) المنون : الدهر وقيل المنية . معتب : راجع عما تكره الى ما تحب .
(٤) انشبت اظفارها : ادخلت مخالبها في جسم فريستها . الفيت . وجدت .
(٥) يريد حمار الوحش . والجون : الاسود . والسراة : اعلى الظهر . جدائد : أتن . وقد اعتبر الشاعر في حدثان الدهر بحمار الوحش ، لما ذكروا من انه يعمر مائتي سنة او اكثر من ذلك .
(٦) الطبري ٥/٢٢٠٥

وحين قُطعت رجل عياض بن قيس القشيري في معارك اليرموك جعل ينشدها وفي ذلك يقول سوار بن ابي اوفى[1]

ومنـا ابن عتاب وناشد رجله

ومنا الذي ادى الى الحي حاجبا

ويُطعن علباء بن جحش العجلي في بطنه، فتندلق امعاؤه، فلا يجزع ولا يتردد، وانما يدفع بها الى داخل بطنه قائلاً، وهو يجـود بانفاسه الاخيرة :[2]

ارجو بهـا من ربنـا ثوابا قد كنتُ ممن احسن الضرابا

وتقطع يد عبدالله بن سبرة الجرشي في مبارزة رئيس الـروم في يوم فلطاس فيحتسبها عند الله، مشيداً بما قدمته تلك اليد في سبيل الله، فقد بارزت ارطبون الـروم، ووجهت اليه ضربة سيف، ولم تقطع حتى قطعت اوصال الخصم، ومع ذلك فقد بقي منهـا ما يفيد المسلمين حين يأنسون فزعاً وجزعاً من الاعداء.[3]

يمنى يديّ عدت مني مفارقة لم استطع يوم فلطاس لها تبعا
وقائل غاب عن شأني وقائلة هلاّ اجتنبت عدو الله اذ صرعا
وكيف اتركه يسعى بمنصله نحوي وأعجز عنه بعدما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع من خلقي ولو تقارب مني الموت فاكتنعا[4]
وإن يكن ارطبون الروم قطعها فان فيهـا بحمد الله منتفعـا

(١) الاصابة ١/٣٨٣ .
(٢) الطبري ٥/٢٣١٠ .
(٣) الامالي ١/٤٧ .
(٤) اكتنعا : دنا .

وان يكن ارطبون الروم قطعها　　فقد تركت بها اوصاله قطعا
بنانتين وجرموزاً اقيم بها　　صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا

وقد عرف شعر الفتوحات رثاء الشعراء انفسهم، وقد عظمت مصيبة هؤلاء الشعراء حينما كانوا يجدون انفسهم بعيدين عن وطنهم، غرباء عن ديارهم، فبكوا انفسهم، لا من اجل الموت، بل للموت البعيد، ينظر الشاعر حوله فلا يجد اهلاً او احباباً، ولا من يبكيه او يندبه، فتعظم المصيبة عليه ويزداد أنينه وبكاه ومن ذلك مرثية مالك بن الريب الذي غزا خراسان فلما حضرته منيته بكى نفسه قائلاً:[1]

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بجنب الغضا أزجي القِلاص النواجيا[2]
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماش الركاب لياليا
لقد كان في اهل الغضا لو دنا الغضا
مزارٌ ولكنّ الغضا ليس دانيا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فاحفرا
برابية اني مقيم لياليا
وخطّا بأطراف الاسنة مضجعي
ورُدّا على عينيّ فضل ردائيا

---

(١) الحماسة ٢/٣٧

(٢) الغضا : شجرا وارض بنجد .

خذاني فجرّاني ببردي اليكما
وقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

تفقدت من يبكي عليّ فلم اجد
سوى السيف والرمح الرديني باكيا

وبالرمل منا نسوة لو شهدنني
بكين وفدّين الطبيب المداويا

عجوزي وأختاي اللتان أصيبتا
بموتي وبنت لي تهيج البواكيا

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني
واين مكان البعد الا مكانيا

وقد تميز الرثاء الاسلامي بانه كان يُستغل من قبل الشعراء لصالح فكرتهم وعقيدتهم ، فقد جعلوه صورة من صور الدعاية للدعوة الاسلامية وبث افكارها ، ونشر مبادئها ، فكان الشعراء يمزجون رثاءهم بثواب الآخرة ، والتنعم بجنات الخلد ، مؤكدين قيمة الاستشهاد في سبيل الله ، وتبرز هذه المعاني جميعاً في رثاء كعب بن مالك لشهداء أحد حيث يقول :[1]

وقتلاهم في جنان النعيم كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذي الاضوج[2]
غداة اصابت باسيافنا جميعاً بنو الاوس والخزرج
واشياع أحمد اذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهج

---

(١) الديوان ص ١٨٧ .

(٢) الاضوج : منعطف الوادي . او موضع قرب المدينة .

فما برحوا يضـربون الكماة ويمضون في القسطل المرهج[1]
كذلك حتى دعاهم مليك الى جنـة دوحـة المـولج[2]

واكد حسان حقائق الاسلام ومبادئه حين رثى سعد بن معاذ الانصاري ، فقد اوضح حسن عاقبة المؤمنين الصادقين الذين باعوا دنياهم بآخرتهم ليحصلوا على جنات الخلد فقال :[3]

فان كان ريب الدهر امضاك في الأولى
شـروا هذه الدنيا بجناتها الخـلد
فنعم مصير الصادقين اذا دُعوا
الى الله يوماً للوجاهـة والقصـد

وفي مرثيته الاخـرى له ولمن استشهد في يوم بني قريظة تناول مبادىء الاسلام من خلال رثائه ايضاً فشرحها متجسمة في شهداء الاسلام فقال :[4]

تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت
بنات الحشى وانهلَّ مني المدامع[5]
صبابـة وجـد ذكَّرتني أحبـةً
وقتلى مضى فيها طُفيل ورافع[6]

---

(١) الكماة : الشجعان . والقسطل : الغبار . المرهج : الذي علا في الجو .
(٢) دوحة : شجرة عظيمة .
(٣) ابن هشام ٢/٢٧٠ .
(٤) ابن هشام ٢/٢٧٠
(٥) بنات الحشى : القلب وما اتصل به . انهل : سال
(٦) طفيل : هو الطفيل بن النعمان الخزرجي الانصاري

وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت

منازلهم فالارض منهم بلاقع[7]

وَفَوْا يوم بدر للرسول وفوقهم

ظلال المنايا والسيوف اللوامع

دعا فأجابوه بحقٍّ وكلهم

مطيعٌ له في كل أمر سامع

فما نكلوا حتى تولوا جماعة

ولا يقطع الآجال الا المصارع

لأنهم يرجون منه شفاعةً

اذا لم يكن الا النبيون شافع

وتأتي هذه المعاني في رثاء كعب لحمزة (رض) فقد اوضح فيه ثواب الشهيد وهو الجنة وما يخالطها من نعيم دائم لا يزول فقال :[8]

عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعيم لا يزول

وحين يدعو حسان لخبيب بالجنة وطيب المقام فيها انما يؤكد مبدأ الآخرة والثواب قال :[1]

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة وجنة الخلد عند الحور في الرفق[2]

وكذلك حين يصلّي على مَن استشهد يوم الرجيع حيث يقول:[4]

صلّى الأله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا

---

(٧) بلاقع : قفار ، خالية

(٨) الديوان ص ٢٥٢

(٢) ابن هشام ٢/١٧٧

(٣) الرفق : جمع رفيق

(٤) ابن هشام ٢ / ١٨٣

مراثي رسول الله

أحسّ رسول الله عليه الصلاة والسلام بوعكة المرض الذي ألمّ به في اواخر صفر من السنة الحادية عشرة ، وجعلت الآلام تشتد عليه وطأتها يوما بعد يوم ، وقد عبّرت السيدة فاطمة عن ذلك بقولها : مارأيت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

وتمكنت الحمى منه ، وتصعدت حرارتها في سائر اعضائه الجسمية حتى ان عمر بن الخطاب دخل عليه وهو محموم ، فوضع يده عليه فقبضها من شدة الحر .

وبدأت قواه البدنية تتلاشى شيئا فشيئا حتى حلّ الاجل ووقعت المصيبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الاول .

ولحق بجوار من اختاره واصطفاه ، وتسرّب النبأ الفادح من البيت المحزون ، وفزع المؤمنون لهذا النبأ ، واظلمت آفاق المدينة ، وزاغت ابصار من فيها من أصحابه ، وافقد الهلع وعي كثير من المسلمين ، فلا يدرون ماذا يفعلون ، فاقتحموا على النبي عليه الصلاة والسلام في بيت عائشة ، ينظرون اليه ، فقالوا : كيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس ، فيموت ولم يظهر على الناس ؟ لا والله ما مات ، ولكنه رُفع كما رُفع عيسى بن مريم ، وليرجعن .

---

(١) ابن سعد ٢/٢٠٧

وتوعدوا من قال انه مات ، ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب : لا تدفنوه ؛ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت[1] . ووقف عمر خطيبا - وقد اخرجه هول المصاب عن وعيه - فقال :

لا أسمعنّ احداً يقول : ان محمداً قد مات ، ولكنه أُرسل اليه ، كما أُرسل الى موسى بن عمران ، فلبث عن قومه اربعين ليلة، والله اني لارجو أن يقطع ايدي رجال وارجلهم ، يزعمون انه مات[2] .

واقبل ابو بكر فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس ، حتى دخل بيت عائشة فتيمم رسول الله وهو مسجىّ ببردة ، فكشف الثوب عن وجهه ، فاسترجع ، فقال : مات رسول الله . ثم تحول من قبل رأسه فقال : وانبياه ، ثم حدّر فمه فقبّل جبهته ، ثم سجّاه بالثوب ثم خرج[3] الى الناس في المسجد وعمر يكلمهم . فقال ابو بكر : اجلس ، فأبى عمر ان يجلس ، فكلمه ابو بكر مرتين او ثلاثا . فلما ابى عمر أن يجلس قام ابو بكر خطيباً فاقبل الناس اليه ، وتركوا عمر . وبعد التشهد قال : أما بعد : فمن كان منكم يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبدالله فان الله حي لايموت ! قال الله تبارك وتعالى : « وما محمدٌ الا رسولٌ قدْ خلَتْ من قبله الرُسلُ أفانْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتُمْ على أعقابكم ومَنْ ينقلِبْ على عقبيهِ فلن يضُرَّ الله شيئا وسيجزي اللهُ الشاكرين »

فلما تلاها ابو بكر أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) ابن سعد ٢٧١/٢

(٢) نفس المصدر ٢٦٦/٢

(٣) ابن سعد ٢٠٦/٢

حتى قال قائل من الناس : فوالله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت ، حتى تلاها ابو بكر ، فانما هي في أفواههم .

وقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو الا أن سمعت ابا بكر تلاها فعُقِرتُ[1] ، حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاي ، وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات[2] .

وعم الناسَ الحزن ، ولفهم الأسى ، فضجّت اجواء المدينة بالنشيج والبكاء ، وارتفعت اصوات الشعراء في أرجاء المعمورة ، معبرةً عن مشاعر اصحابها الحزينة ومفصحة عن لوعة أفئدتهم .

وقد وصلت الينا صور كثيرة من هذه الاشعار الباكية الحزينة.

والشعر الذي بين ايدينا من مراثي الرسول يجمع بين شعر العاطفة الخاصة ، المعبرة عن شعور الشخص ، وبين شعر الرثاء العام ، المعبر عن عظم المصيبة في فقده وخسارة الامة بفراقه .

وخير ما يمثل النوع الاول قصيدة السيدة فاطمة فهي تقطر أسىً وحزناً ، وتتفجر عاطفة ولوعة ، فكل بيت فيها يقطر دمعاً بل دماً ، فالحزن يجري في قلبها وفؤادها ، ويتمثل في حركاتها وسكناتها ، بل في كل بيت من أبيات قصيدتها .

ولم أجد خيراً من ايرادها كاملة لتصور تلك النفس المعذبة الملتاعة.

قد كنتُ ذاتَ حمية ماعشتَ لي
أمشي البراح وكنتَ أنت جناحي[3]

(١) عقرت ـ بالبناء للمجهول ـ دهشت وتحيرت ، تقول عقر الرجل اذا تحير ودهش .

(٢) ابن هشام ٣٣٥/٤ .

(٣) براحاً : الظهور والبيان .

فاليوم أخضعُ للضعيف وأتـقي
منه وأدفـع ظـالمـي بالراح
واذا دعت قـمرية شجناتهـا
يوماً على فنن دعوت صباح
وأغضُّ مني الطرفَ أعلم انه
قد مات خيرُ فوارسي وسلاحي
حضرت منيتُه فأسلمني العـزا
فتمكنت جمر الغضا بجراحي
نشر الفَراشُ عليّ ريش جناحه
فظللت بـين سيوفه ورمـاح
من ذا يؤمـل أن يعيش مخلّدا
والمـوت بين غـدوّهِ ورواح
ياربّ صبّرني على ما حـلّ بي
مات النبيُّ وانطفـا مصباحي[1]

وقد حاول بعض الشعراء عبثاً تسليتها ، وتصبيرها ، لعلها تخفف من تلك اللوعة ، وتطفىء بعض النيران الملتهبة بين جنبيها ، فخاطبتها هند بنت اثاثة بقولها :[2]

أفاطـم فاصبري فلقد أصابـت
مصيبتك التهائـم والنجـودا[3]

(١) الف با ٢/٥٤٥

(٢) ابن سعد ٢/٢٣١

(٣) التهائم : ما انخفض من الارض . والنجود : ما ارتفع منها

واهـل الـبر والأبحار طـرّاً

فلـم تخطى، مصيبته وحيدا

وقد أحسن حسان في تصوير ما اصابه عند فقد رسول الله ، فصور حاله بانه أصبح بعد فقده وحيداً في صحراء قاحلة يكاد يقتله الضمأ بعد ان كان في ماء ونهر فقال :[1]

يا افضل الناس اني كنت في نهرَ

اصبحتُ منه كمثل المفرد الصادي[2]

ويبلغ به التأثر منتهاه حين يقول :[3]

كنتَ السوادَ لناظـري فعمـى عليـك الناظـر

من شاء بعـدك فليمت فعليـك كنتُ أحـاذر

وصور غنيم بن قيس المازني أثر فقد الرسول في نفسه فقال :[4]

ألالي الويل عـلى محمـد قد كنت في حياته بمقعـد

وفي أمانٍ من عدوّ معتدِ

أما الصدّيق فقد ضاقت عليه الديار ، ووهنت منه العظام ، ودفن حبه ، وبقي منفرداً وهو حسير :[5]

لما رأيت نبينا متجـدلاً ضاقت عليّ بعرضهن الدور

وارتعتُ روعة مستهام والهٍ والعظم مني واهـن مكسور

أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى وبقيت منفرداً وأنت حسير

---

(١) الديوان ص ١٠٠ .

(٢) اي كنت ريان في حياتك فصرت بعدك صادياً من الصدى وهو العطش الشديد.

(٣) الديوان ص ١٦٥ .

(٤) الاصابة ٣/١٨٩ .

(٥) ابن سعد ٢ / ٣٢٠ .

وتفنن الشعراء في النوع الثاني من الرثاء وهو تبيان أثر فقده على المجتمع والناس، واجادوا في صوره، فابدت السيدة صفية بنت عبد المطلب تخوفها مما سيحل بالمسلمين من الاضطراب أثر فقده فقالت: [١]

لعمرك ما أبكي النبيَّ لفقده ... ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

واوضحت ما حصل بينهم فعلا في قصيدة اخرى [٢]

قد كان بعدك أنباء وهنبثة
لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطب [٣]
انا فقدناك فقد الارض وابلها
واختلَّ قومك فاشهدهم فقدسغبوا

وأوضح عبدالله بن سلمة فداحة المصيبة التي عمت جميع المسلمين فقال: [٤]

انَّ فقد النبي جزّعنا اليو ... م فدته الاسماع والابصار
ما أُصيب به الغداة قريشُ ... لا ولا أُفردت به الانصار [٥]

أما أبو الهيثم بن التيهان فانه كنّى عما أصاب المسلمين من ذل لفراقه بقوله: [٦]

لقد جُدعت اذاننا وانوفنا ... غداةَ فُجعنا بالنبي محمد

---

(١) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤
(٢) البيان والتبين ٣/٢٠٤
(٣) الهنبثة الامر الشديد
(٤) سغبوا: السغب الجوع من التعب
(٥) الاصابة ٤/٢١٠
(٦) الاصابة ٤/٢١٠

وصوّر حسان أثر المصيبة في بيت الرسول :[1]

أمسى نساؤك عطّلن البيوت فما
يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المسوح وقد
أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي[2]

وخصّ قومه الادنين ـ الانصار ـ بأثر المصيبة فضاقت بهم البلاد واسوّدت منهم الوجوه :[3]

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا
سوداً وجوههم كلون الاثمد[4]

وذلت رقابهم لما حل بهم من أمر الله :

ذلت رقاب بني النجـار كلهم
وكان امراً من امر الله قد قُدرا

وحاول الشعراء ان يشركوا العوالم الطبيعية رزء المصاب ، فهي تحس وتتألم لفراقه ، فانكسفت الشمس ، وخبا البدر ، وتزعزعت الآطام ، وانهدت الجبـال ، واقتُلعت النخيل كما يقول ابو ذؤيب الهذلي :[5]

---

(١) الديوان ص ١٠٠

(٢) لعل حسان يريد ان بيوت النبي اصبحت بعده لا يقصدها أحد وأمسى نساؤه فيهـا مثل الراهبـات ، يلبسن المسوح ، بعـد ان فارقهن النعيم بفراق النبي ، وأيقن بالبؤس البادي .

(٣) الديوان ص ٩٨

(٤) الآثمد : قيل حجر يتخذ منه الكحل ، وقيل الكحل نفسه .

(٥) الاستيعاب ٦٦/٤

كُسفت لمصرعه النجوم وبدرها

وتزعزعت آطامُ بطنِ الابطح

وتزعزعت أجبال يثرب كلها

ونخيلها لحلول خطبٍ مفدح

وفي رثاء السيدة فاطمة شاركت الطبيعة أيضاً فأغبرّت آفاق السماء، وكُوّرت الشمس، واظلم النهار، واضطربت الارض :

اغبرّ آفاق السماء وكُوّرت   شمس النهار واظلم العصران[1]

فالارض من بعد النبي كئيبة   أسفاً عليه كثيرة الرَجَفان[2]

ولم تضن الطبيعة في قصيدة فاطمة الاخرى أيضاً، فشاركت المسلمين أحزانهم:

ان يوماً أتى عليك ليومٌ   كُوّرت شمسه وكان جليا

وشاركت الارض المسلمين في مصيبتهم فمالت جوانبها ومادت تحت أرجل المسلمين في رثاء أبي سفيان بن الحارث :

لقد عظمت مصيبتنا وجلّت   عشية قد قِيل قُبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها   تكاد بنا جوانبها تميل

وأوضحت هذه المراثي ما سوف ينبع فقد الرسول من انقطاع الوحي الذي كان يتنزل على قلبه الشريف .

فكعب بن مالك أكّد أن فقده يعني انقطاع الوحي الذي كان يهبط عليه في حياته، وما دام محمد عليه السلام قد انتقل الى الرفيق

---

(١) العمدة ٢/١٢٢

(٢) كورت : سقطت ، والعصران : الغداة والعشي الى أحرار الشمس .

(٣) الذخائر والاعلاق ٢٤٠

الاعلى فلا أمل بعد ذلك اليوم في هذا النور، الذي كان يعم الكون، ويشمل العالمين :[1]

ألا انعي النبيّ الى من هدى ... من الجن ليلة اذ تسمعونا
لفقد النبي امام الهدى ... وفقد الملائكة المُنزّلينا

وأتى حسان على هذا المعنى بعد أن مهّد له بالحديث عن فداحة الرزء، وعظم المصيبة، فقال :[2]

وهل عدلت يوماً رزيةُ هالك ... رزيةَ يومٍ مات فيه محمد
تقطّع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد

وتناولت السيدة فاطمة هذا المعنى حين وقفت على قبر أبيها تبكيه. فقالت :[3]

إنا فقدناك فقد الارض وابلها
وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب

وتطرق أبو سفيان بن الحارث الى هذا المعنى في مرثيته ايضا فقال:[4]

فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس او كادت تسيل

وتعديد الخصال وتسجيل المناقب من السبل التي سلكها معظم من رثى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكروا مناقبه، وعددوا فضائله، ونشروا محامده، وهو ما يسمى بـ (التأبين).[5]

---

(١) الديوان ص ٢٨١
(٢) الديوان ص ٩٢
(٣) يغور : يبلغ الغور وهو المنخفض من الارض . وينجد يبلغ النجد، وهو المرتفع من الارض .
(٤) ابن كثير ٥/٢٨٢ .
(٥) انظر شوقي ضيف : الرثاء ص ٥٤

ولكن جميع هؤلاء الشعراء تحدثوا بسيرة جديدة لم تكن تعرفها الجاهلية. فيها المجد والتقوى والايمان، وفيها الخير والبر والوفاء.

وبهذه المآثر والمناقب الجديدة كانت فاجعة الاسلام والمسلمين عند فقد رسول الله عليه السلام.

فهذا كعب بن مالك يلح على عينيه ان تبكيا رسول الله بدمع منهمر :[1]

يا عين فابكي بدمع ذرى لخير البرية والمصطفى
وبكّي الرسول وحقّ البكاء عليه لدى الحرب عند اللقا
على خير من حملت ناقة واتقى البرية عند التقى
على سيد ماجد جحفل وخير الانام وخير اللُها[2]

وبكت السيدة اروى بنت عبد المطلب فيه البر والرحمة والهدى، فقالت[3]

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا براً ولم تكُ جافيا
وكنتَ بنا رؤفا رحيماً نبينا
ليبكِ عليك اليوم من كان باكيا

ويقرر حسان أن الذين كانوا يهيلون عليه التراب ويذرفون لاجله الدموع، قد دفنوا أحلاماً رفيعة، وغيبوا علماً ورحمة :[4]

تهيل عليه الترب أيدٍ وأعينُ عليه وقد غارت بذلك أسعد[5]

(١) الديوان ص ١٧٣ :
(٢) جحفل : عظيم القدر . واللها . جمع لهوة وهي العطية .
(٣) ابن سعد ٢/٣٢٥ .
(٤) الديوان ص ٩١ .
(٥) غارت بذلك اسعد : غاب بغيابه اليمن والبركة .

لقد غيّبوا حلماً ورحمة　　عشية علّوه الثرى لا يوسد

وحسان أكثر الشعراء ايثاراً لهذه الطريقة، فقد أطال في عرض شمائله الكريمة، وخصاله الحميدة:

امامٌ لهم يهديهم الحق جاهداً　　معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا
عفوٌ عن الزلات يقبل عذرهم　　وان يحسنوا فالله بالخير أجود

ويقول:

وما فقد الماضون مثل محمد　　ولا مثله حتى القيامة يُفقد
أعفُّ وأوفى ذمة بعد ذمة　　واقرب منه نائلا لا ينكَد[1]

وظل يحاول تعديد هذه المآثر ويعرض لتلك الشمائل الى ان اعياه التعداد، فاظهر عجزه، لانه لم يقو على احصائها لكثرتها، ولم يسعفه التفكير لتشعبها:

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت
عيون ومثلاها من الجفن تُسعِد
تذكّرُ آلاء الرسول وما أرى
لها محصياً نفسي فنفسي تبلّد[2]
مفجّعةٌ قد شفّها فقدُ أحمد
فظلّت لآلاء الرسول تُعدِّدُ
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها
على طلل القبر الذي فيه أحمد

وسلكت هند بنت عبد المطلب تعديد المناقب أيضاً حين خاطبت

---

(١) النائل: ما تناله، أي عطاء. والمنكد: النزر.

(٢) تبلد: اي تتبلد وهي التي تلحقها الحيرة. وهو نقيض التجلد ايضا.

السيدة فاطمة في مرثيتها لرسول الله :[1]

ألم يكُ خير من ركب المطايا　　وأكرمهم إذا نُسبوا جدودا
وكان المجد يصبح في ذراه　　سعيد الجد قد ولد السعودا
فموتي ان قدرتِ أن تموتي　　فقدت الطيِّبَ الرجل المجيدا
رسول الله خير الناس حقاً　　فلستُ ارى له أبداً نديدا

وحين بكت عاتكة بنت عبدالمطلب انما كانت تبكي خصاله الشريفة ايضا قالت :[2]

فابكي المبارك والموفَّق ذا التقى
حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المغلل غلّه
بعد المغيَّب في الضريح الملحد
أم من لكل مُدفَّع ذي حاجة
ومسلسل يشكو الحديد مقيَّد

وبكت هذه السجايا وامثالها ايضا في مرثيتها الاخرى فقالت :[3]

وسحا عليه وابكيا ما بكيتما
على المرتضى للمحكمات العزائم
على المرتضى للبرِّ والعدل والتقى
وللدين والاسلام بعد المظالم
على الطاهر الميمون ذي الحلم
وذي العقل والداعي لخير التراحم

---

(١) الذخائر والاعلاق ص ١٢٨ .
(٢) ابن سعد ٢/٣٢٦ .
(٣) ابن سعد ٢/٣٢٧ .

وعرضت السيدة صفية لخصاله الكريمة في مرثيتها له ايضا فقالت[1]

ثمال المعدمين وكل جار ومأوى كل مضطهد غريب[2]
فاما تمشي في جدث مقيماً فقدما عشت ذا كرم وطيب
وكنت موفقاً في كل امر وفيما ناب من حدث الخطوب

ولم تعدُ هذه الطريقة في مرثياتها الاخرى[3].

واستعان شعراء هذه المراثي في رثائهم للرسول بالبكاء، فطالما طلبوا الى اعينهم ان تنجدهم بالدموع، والى مآقيهم ان تسعفهم بالبكاء، فنثروا الدموع الغزار، فاستهل كعب بن مالك مرثيته بقوله:[4]

يا عين فابكي بدمع ذري لخير البرية والمصطفى
وبكّي الرسول وحق البكاء عليه لدى الحرب عند اللقا

واستهلت السيدة صفية معظم مراثيها، بمطالبة عينيها ان تجودا بالدموع فقالت:[5]

أعينيَّ جودا بدمع سَجَم يبادر غرباً بما مُنهدم[6]
أعينيَّ فاسحنفرا واسكبا بوجد وحزن شديد الالم[7]
على صفوة الله رب العباد ورب السماء وباري النسم

واستهلت اخرى بذلك فقالت:[8]

(١) المصدر نفسه ٢/٣٢٩. (٢) الثمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه.
(٣) انظر ابن سعد ٢/٣٢٩ و ٣٣٠.
(٤) الديوان ص ١٧٣.
(٥) ابن سعد ٢/٣٢٨.
(٦) سجم: سائل.
(٧) اسحنفرا: اسحنفر المطر اي كثر.
(٨) ابن سعد ٢,٣٢٩.

عين جودي بدمعة تسكاب
للنـــبي المطهـــر الأوّاب
واندبي المصطفى فعمّي وخصّي
بدمـــوع غـــزيرة الأسراب

واستهلت مرثيتها الثالثة بالمطالبة بالدموع ايضا فقالت [1]:

عينيّ جودا بدمعة وسهود [2] واندبي خير هالك مفقود
واندبي المصطفى بحزن شديد خالط القلب فهو كالمعمود [3]

وانكرت على عينيها الاّ تجودا بدموعهما على خير البرية في مرثية اخرى فقالت [4]:

ما لعينيّ لا تجودان ريّا اذ فقدنا خـير البرية حيّا

وسلكت بقية الشواعر هذه الطريقة ايضاً فاستهلت هند بنت الحارث مرثيتها بقولها [5]:

يا عين جودي بدمع منك وابتدري
كما تنزّل ماءُ الغيث فانثعبا
لقد أتتني من الانبـــاء معضلة
إنّ ابن آمنة المأمون قد ذهبا

واستهلت هند بنت أثاثة مرثيتها بقولها [6]:

ألا يا عين بكّي لا تملّي فقد بكر النعيّ بمن هويت.

---

(١) ابن سعد ٢/ ٣٢٠ (٢) سهود: الارق وقلة النوم.
(٣) المعمود: من هده العشق
(٤) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٥
(٥) ابن سعد ٢/٣٢٠
(٦) ابن سعد ٢/٣٣١

واستهلت السيدة ام أيمن مرثيتها بذلك ايضاً فقالت[1] :

عيني جودي فان بذلك للدمـ ـع شفاء فأكثري م البكاء
وابكيا خير من رُزئناه في الدنـ ـيا ومَن خصّه بوحي السماء

وفعلت الشيء نفسه أروى بنت عبد المطلب فقالت[2] :

الا يا عين ويحكِ واستهلي على نور البلاد واسعديني
الا يا عين ويحكِ اسعديني بدمعك ما بقيت وطاوعيني

وسلك حسان هذا الاسلوب في معظم مراثيه ايضاً فخاطب عينيه طالبا اليهما ان تسيلا بدمع منهمر ، وان تسعداه بالبكاء الغزير ، ويسألهما ان تنشجا على من سوف لا يجود الدهر بمثله ، فيقول[3] :

فبكّي رسولَ الله يا عين عبرةً
ولا اعرِفَنْك الدهرَ دمعك يَجمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي
لفقدِ الذي لا مثلُه الدهرَ يوجد

الى أن يقول :

ظللتُ بها ابكي الرسول فأُسعدتْ
عيونٌ ومثلاها من الجفن تُسعِد

واستهل مرثيته الاخرى بقوله[4] :

يا عين جودي بدمع منك اسبال
ولا تملّن مـن سَحٍّ واعـوال

---

(١) ابن سعد ٢/٣٣٣
(٢) المصدر السابق ٢/٣٢٥
(٣) الديوان ص ٩٥
(٤) ابن سعد ٢/٣٢٣

ولم يكتفِ الشعراء بما صبت أعينهم من دموع ، وما تفجر في مآقي المسلمين من بكاء ، وانما حاولوا ان يشركوا جميع الكائنات والموجودات معهم في البكاء .

فهذا حسان بن ثابت يذكر بكاء السموات والارض فيقول[1] :

يبكّون من تبكي السموات يومَه

ومن قد بكته الارض فالناس اكمد[2]

وتطالب السيدة فاطمة شرقيّ البلاد وغربيّها ان تبكياه ، وكذا عرب الشمال والجنوب ، والجبال والبيت الحرام فتقول[3] :

فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مضرٌ وكل يمانِ
وليبكه الطودُ المعظم جوّه ... والبيت ذو الاستار والاركان[4]

واشرك عامر بن الطفيل الارض والسماء في البكاء ايضاً فقال[5] :

بكت الارض والسماء على النو ... ر الذي كان للعباد سراجا
من هُدينا به الى سبيل الـ ... حق وكنا لا نعرف المنهاجا

واشرك مرّان بن ذي عمير الهمداني جبريل مع الارض والسماء فقال[6] :

ان حزني على الرسول طويل ... ذاك مني على الرسول قليل
بكت الارض والسماء عليه ... وبكاه خديمُـه جـبريل

---

(١) الديوان ص ٩١
(٢) اكمد : أي احزن من الكمد وهو الحزن .
(٣) العمدة ٢/١٥٣
(٤) الطود : الجبل . وجوه : منخفضة .
(٥) الاصابة ٢/٢٤٠
(٦) الاصابة ٣/٤٦٥

وحاول الشعراء من خلال هذا الرثاء تأكيد هدايته لهم ، وانه مصدر النور والاشـراق ، فشبهوه بالضياء تارة ، وبالبدر المتلالىء حيناً ، وبالسراج الوهاج حيناً آخر .

فقال حسان[1] :

يا بِكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنةً بسعد الاسعد
نوراً اضاء على البرية كلها من يُهد للنور المبارك يهتدي

وقال في مرثية اخرى[2] :

كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الاله وكان السمعَ والبصر

واستعارت هند بنت اثاثة هذه الاوصاف في رثائها ايضاً فقالت[3] :

قد كنت بدراً ونوراً يُستضاء به
عليك تنزل من ذي العزة الكتب

واكدت السيدة صفية هذه الاوصاف فشبهته بالسراج المنير[4] :

وسراجاً يجلو الظـلام منيراً ونبيّـاً مُسـدَّداً عربيـا

وجاء رثاء عامر بن الطفيل تأكيداً لذلك ايضاً فقال[5] :

بكت الارض والسماء على النـو
ر الـذي كان للعبـاد سـراجا
من هُدينا به الى سبيل الحق وكـ
ـنا لا نعـرف المنهـاجـا

---

(١) الديوان ص ٩٨
(٢) المصدر السابق ص ١٦٤
(٣) ابن سعد ٣٣٢/٢
(٤) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤
(٥) الاصابة ٢٤٢/٢

ولم ينس من رثى رسول الله من الشعراء ان يخصوا نبيهم بالدعاء ، والصلاة ، والتبريك ، والتسليم ، خلال رثائهم له .

فحسان يبارك قبره الشريف ولحده الطاهر فيقول:[1]

فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركتْ
بلاد ثوى فيهـا الرشيد المسدَّد
وبورك لَحد منك ضُمّن طيّبـا
عليه بنـاء من صفيـح منضّـد[2]

ثم يتوجه الى الله ان يصلي وملائكته والطيبون على حبيبه فيقول:

صلى الاله ومن يحفُّ بعرشه والطيبون على المبارك احمد

وأبو بكر يضرع الى الله ان يصلي عليه فيقول:[3]

فصلّى المليـك وليُّ العبـاد وربُّ البـلاد على احمـد

وتدعو له أروى بنت عبد المطلب بالسلام والجنان:[4]

عليك من الله السلام تحية وأُدخلت جنات من العدن راضيا

وخصه عبد الله بن سلمة الهمداني بالسلام كلما هبت الريح، وازال النور الظلام ، فقال:[5]

فعليه السلام ما هبت الـر يـح ومدت جنح الظلام نوار

وسلكت السيدة صفية هذه الطريقة فبلغته سلامها وسلام ربه

---

(١) الديوان ص ٩١ .

(٢) الصفيح : الحجر الرقيق العريض . والبناء : المنضد : ما رصف وجعل بعضه على بعض .

(٣) ابن سعد ٣١٩/٢ .

(٤) المصدر السابق ٣٢٥/٢ .

(٥) الاصابة ٢٤٢/٢ .

كل بكرة وعشاء فقالت:[1]

فعليك السلام منا ومن ربـ ـك بالروح بكرة وعشيا

واستنزلت عليه رحمة الله وسلامه ، وحسن ثوابه فقالت:[2]

رحمة الله والسلام عليـه وجزاه المليك حسن الثواب

وترضت عنه في الدنيا والآخرة ودعت له بالجنان الخالدات فقالت:[3]

رضي الله عنه حيا وميتا وجزاه الجنـان يوم الخلود

وعاتكة تدعو له بالمغفرة فتقول:[4]

فاذهب حميداً جزاك الله مغفرة يوم القيامة عند النفخ في الصور

وتمنى هؤلاء الشعراء ان يفدوا رسول الله بكل ما يملكون ، بانفسهم واهليهم و المسلمين فقال حسان:[5]

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني غُيّبتُ قبلك في بقيع الغرقد[6]

بابي وامي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي

الى ان يقول:

أأقيم بعدك في المدينة بينهم يا ليتني صُبّحت سمَّ الأسود[7]

فتقوم ساعتنا فنلقى طيبـا محضاً ضرائبه كريم المحتد[8]

---

(١) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤ .
(٢) ابن سعد ٢/٣٢٩ .
(٣) المصدر السابق ٢/٣٣٠
(٤) نفس المصدر ٢/٣٢٦ .
(٥) الديوان ص٩٧ .
(٦) بقيع الغرقد : بقيع يقع في المدينة يدفنون فيه موتاهم .
(٧) صبحت : سقيت صبحا . والاسود : العظيم من الحيات وفيه سواد .
(٨) الضرائب : جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية.

وذهب الى ابعد من ذلك حين تمنى الا يبقَ بعده مخلوق على وجه البسيطة فقال :[1]

فليتنا يوم واروه بملحده　　وغيّبوه والقوا فوقه المدرا[2]

لم يترك الله فينا بعده أحدا　　ولم يُعش بعده انثى ولا ذكرا

وتمنت السيدة صفية لو حلّ يومها قبل ان تحل مصيبة فقد الرسول فتقول :[3]

ليت يومي يكون قبلك يوماً　　انضح القلب للحرارة كيّا

اما سيدنا ابو بكر فانه تمنى ان تقوم القيامة بعد فقده، وألا يرى بعده مالاً ولا ولداً وان يفديه باغلى مايملك الانسان بنفسه فقال:[4]

يا ليتني حيث نُبئت الغداة به
　　قالوا الرسول قد أمسى ميّتاً فُقدا

ليت القيامة قامت بعد مهلكه
　　ولا نرى بعده مالا ولا ولدا

الى ان يقول :

نفسي فداؤك من ميت ومن بدن
　　ما اطيب الذكر والاخلاق والجسدا

وتمنى في مرثيـة اخرى ان لو غُيّب من قبل ان يُروّع بفقد صاحبه عليه السلام فقال :[5]

---

(١) الديوان ص ١٦٤ .
(٢) المدر : التراب .
(٣) الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤ :
(٤) ابن سعد ٢ / ٣٢٠ .
(٥) ابن سعد ٢/٣٢٠ .

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غُيبت في جدث عليّ صخور

وتمنت السيدة فاطمة لو صادفت الموت قبل ان يصل اليها نعي الرسول ، وغيبته الكثبان فقالت :(١)

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما نُعيت وحالت دونك الكثب

وفدته السيدة صفية بامها وخالتها وعمها وكل آبائها وبنفسها ومالها فقالت :(٢)

أفاطم صلى الله رب محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا

فدىً لرسول الله امي وخالتي ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا

وتمنى عبدالله بن انيس ان يقتل نفسه فداء لرسول الله لو عادميت بقتل آخر فقال :(٣)

فلو رَدَّ ميتاً قتلُ نفسي قتلتها ... ولكنه لا يدفع الموت دافع

واخيراً فما دام الموت حقاً ، فلا مناص من التسليم لله ، والرضا بقضائه في رسوله ، ولكنْ أنّى للمسلمين ان يطيقوا فراق ربيع قلوبهم ، ومن تغلغل حبه في كل ذرة من اجسادهم ، أنىّ لهم ان يصبروا عن النور الذي غمر افئدتهم والسعادة التي ملأت عقولهم .

ان لقاءه اصبح حلم كل شاعر ، ومصاحبته أمل كل مسلم ومسلمة ، فتمنوا ان يجمعهم الله به يوم القيامة ، ليُسعدوا بجواره ، ويأنسوا بقربه ، فقال حسان :(٤)

---

(١) مراثي شواعر العرب ص ١٦٦ .

(٢) الاستيعاب ٢١/١ .

(٣) ابن سعد ٣٢١/٢ .

(٤) الديوان ص ٩٨ .

يا رب فاجمعنا معاً ونبينا في جنة تثني عيون الحُسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلى والسؤدد

وتضرّع الى الله أن يحقق له تلك الامنية في مرثية اخرى فقال:[1]

اقول ولا يُلفى لقولي عائب
من الناس الاعازب العقل مُبعد[2]
وليس هوائي نازعاً عن ثنائه
لعلي بـه في جنة الخلد اخلد
مع المصطفى ارجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم اسعى وأجهد

ولم يتمنَ ابو بكر الصديق الموت الا ليكون مع الحبيب المهتدي عليه السلام :[3]

فكيف الحياة لفقد الحبيب وزين المعاشر في المشهد
فليت الممات لنا كلنا وكنا جميعاً مع المهتدي

واخيراً أود ان اقف عند بعض الظواهر التي لاحظتها على هذه المراثي ، لعل في ذلك ما يمكن ان يساهم في فائدة هذا البحث وهي:

١ ـ شيوع المقطوعات التي قد تهبط احيانا الى البيت الواحد ، كما هو موضّح في الثبت الملحق بالبحث ، وربما يكون مرد ذلك الى ان كثيراً من شعر هذه المراثي ، قد امتدت اليه يد الضياع ، والاّ فليس من الممكن ان يرثي شاعرٌ رسولَ الله ببيت واحد ، او ببيتين فقط .

---

(١) نفس المصدر ص ٩٦ .
(٢) عازب العقل: بعيده .
(٣) ابن سعد ٣١٩/٢ .

٢ ـ مساهمة المرأة المسلمة بالقسط الاكبر، والنصيب الاوفر من هذه المراثي، ونحن لا نستكثر ذلك على المرأة المسلمة، فمعروف ان المرأة ادق حساً، وأرق شعوراً من الرجل في مثل هذه الاحداث والمناسبات وكتاب ـ مراثي شواعر العرب ـ للويس شيخو يصوّر مدى ما قدمت المرأة العربية في هذا الميدان مع الاقرار بأن بعض هذه المراثي يمكن ان يكون منتحلاً .

٣ ـ عدم مساهمة كثير من فحول الشعراء المسلمين في رثاء رسول الله، مثل كعب بن زهير، والعباس بن مرداس، والنابغة الجعدي، وعمرو بن العاص وغيرهم من الشعراء. ولا نظن ان يمرّ مثل هذا الحدث الجلل عليهم، فلا يشجيهم، او يثير اشجانهم فينطقهم بالشعر .

٤ ـ انفراد بعض المصادر المتأخرة بايراد بعض هذه المراثي، مثل الذخائر والاعلاق للباهلي[1]، ومناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب[2]، مما يجعلنا متيقنين بان هذه الكتب قد اخذت عن مصادر لم تصل الينا، ولو وصلت لقدمت لنا ثروة شعرية كبيرة، في هذا الباب وغيره .

٥ ـ اغفال الطبري لجميع هذه المراثي، مع توسعه فى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وايراده الشعر المناسب لجميع الاحداث التاريخية، وقد تابعه في ذلك ابن الاثير في الكامل، بينما اقتصر ابن هشام في سيرته على مراثي حسان فقط .

---

(١) انفرد بداليه كعب بن مالك وهي المقطوعة ١٦ من ديوان كعب .
(٢) انفرد بالنونية، وهي المقطوعة ٦٤ من ديوان كعب بن مالك .

ثبت بمراثي الرسول (ص)[1]

الشاعر	القافية	عدد الابيات	المصدر
ابو بكر الصديق	دالية	٧	ابن سعد ٢/٣٣٠
	دالية	٥	ابن سعد ٢/٣١٩
	رائية	٥	ابن سعد ٢/٣٢٠
ابو ذؤيب الهذلي	حائية	٧	الاستيعاب ٤/٦٦
ابو سفيان بن الحارث	لامية	١٠	ابن كثير ٥/٢٨٢
ابو الهيثم بن التيهان	دالية	١	الاصابة ٤/٢١٠
حسان بن ثابت	دالية	٤٦	الديوان ص ٨٩
	دالية	١٨	الديوان ص ٩٧
	دالية	٨	الديوان ص ٩٩
	رائية	٧	الديوان ص ١٦٤
	رائية	٢	الديوان ص ١٦٥
	رائية	٣	العقد الفريد ٢/٢٤
	لامية	١٣	ابن سعد ٢/٣٢٣
عامر بن الطفيل بن الحارث الازدي	جيمية	٢	الاصابة ٢/٢٤٢
عبدالله بن انيس	عينية	١٢	ابن سعد ٢/٣٢٠
عبدالله بن سلمة الهمداني	رائية	٣	الاصابة ٢/٢٤٢

(١) أثبت اقدم مصدر روى المرثية فقط .

الشاعر	القافية	عدد الابيات	المصدر
علي بن ابي طالب	تائية	٢	الديوان ٢٦
	يائية	٥	الذخائر والاعلاق ص ٢٣١
	يائية	١٢	الديوان ص ١١
	يائية	١٠	الديوان ص ٨٣
عمر بن الخطاب	عينية	٨	الذخائر والاعلاق ص ٢٣٢
غنيم بن قيس المازني	دالية	٣	الاصابة ٢٤٢/٢
كعب بن مالك الانصاري	همزية	٨	الديوان ص ١٧٣
	نونية	٤	الديوان ص ٢٨١
مرّان بن ذي عمير الهمداني	لامية	٢	الاصابة ٤٦٥/٣
أروى بنت عبد المطلب	نونية	٦	ابن سعد ٣٢٥/٢
ام أيمن	همزية	٧	ابن سعد ٣٣٢/٢
عاتكة بنت زيد	نونية	٨	ابن سعد ٣٣٢/٢
عاتكة بنت عبد المطلب	دالية	٩	ابن سعد ٣٢٦/٢
	رائية	٧	ابن سعد ٣٢٦/٢
	ميمية	٧	ابن سعد ٣٢٧/٢
صفية بنت عبد المطلب	بائية	١١	ابن سعد ٣٢٨/٢
	بائية	٩	ابن سعد ٣٢٨/٢
	بائية	٧	ابن سعد ٣٢٩/٢
	بائية	٦	ابن سعد ٣٢٩/٢

الشاعر	القافية	عدد الابيات	المصدر
	بائية[1]	٢	البيان والتبين ٢٠٤/٣
	دالية	٧	ابن سعد ٤٢٠/٢
	دالية	٥	ابن سعد ٣٣٠/٢
	يائية[2]	١٠	الذخائر والاعلاق ص ٢٣٤
السيدة فاطمة بنت محمد (ص)	حائية[3]	٨	الف با ٥٤٥/٢
	نونية	٥	العمدة ١٥٣/٢
هند بنت أثاثة	بائية	٥	ابن سعد ٣٣٢/٢
	تائية	٧	ابن سعد ٣٣١/٢
	دالية	٨	ابن سعد ٣٣١/٢
هند بنت الحارث	بائية	٥	ابن سعد ٣٢٠/٢

(١) نسبها شيخو مع ثالث لها في مراثي شواعر العرب ص ١٦٦ للسيدة فاطمة .

(٢) في نسبتها اختلاف انظر : ابن سعد ٣٢٥/٢ والاصابة ٢٢٢/٤ .

(٣) نسب بعضها في مراثي شواعر العرب ص ١٦٤ لفاطمة بنت الاحجم الخزاعية في بكاء قومها .

شعر الشؤون الخاصة

ان معظم من عاش في العصر الاسلامي كان قد أدرك عصر الجاهلية قبله ، ومعروف ان العصر الجاهلي كان يزخر بالاشعار المعبرة عن عواطف ومشاعر الناس فلا يكاد يعرض لهم شيء في حياتهم الخاصة والعامة الا وقالوا فيه شعراً ، وحين جاء الاسلام ظل معظم الناس على شأنهم هذا ، يصطنعون الاشعار في جزئيات حياتهم اليومية وينظمونها في خصوصياتهم ، وفيما سنعرض من النصوص صورة لبعض جوانب حياة الناس في ذلك العصر مما كانت تستأثر بنظمهم فيسيل الشعر على السنتهم .

ومن تلك الجوانب ما روي عن عبدالله بن الاعور المازني ، فقد كانت له زوجة يقال لها معاذة وحين خرج يمير أهله من هجر هربت تلك الزوجة ناشزة عليه وعاذت برجل يقال له مطرف بن نهصل فجعلها خلف ظهره فلما قدم زوجها الشاعر لم يجدها في بيته وأخبر انها نشزت وانها عاذت بمطرف بن نهصل ، وكان مطرف أعز منه فخرج حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فعاذ به وانشأ يقول :

يا سيد الناس وديّان العرب   اشكو اليك ذربة من الذرب [1]
كالذئبة العسلاء في ظل السرب   خرجت ابغيها الطعام في رجب [2]

---

(١) الذربة : السليطة اللسان .
(٢) العسلاء : المضطربة في عدوها .

فخالفتني بنزاع وهرب		اخلفت العهد ولظت بالذنب[1]
وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبي (ص) : وهن شر غالب لمن غلب ، وشكا اليه امرأته وما صنعت وانها عند رجل منهم يقال له مطرف بن نهصل فكتب له رسول الله (ص) الى مطرف : انظر امرأة هذا معاذة فادفعها اليه ، فاتاه بكتاب النبي (ص) فقرىء عليه فقال لها : يا معاذة هذا كتاب النبي (ص) فيك وانا دافعك اليه فقالت خذ لي العهد والميثاق وذمة النبي (ص) ان لا يعاقبني فيما صنعت فأخذ لها ذلك ودفعها اليه فأنشأ يقول :

لعمرك ما حبي معاذة بالذي		يغيّره الواشي ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به اذ ازلها		غواة رجال لا ينادونها بعدي[2]

ومن الامور الشخصية ان امرأة جاءت الى عمر بن الخطاب فقالت انزوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال: ما تريدين ؟ اتريدين ان انهاه عن صيام النهار وقيام الليل؟ ثم رجعت اليه فقالت: انزوجي يصوم النهار ويقوم الليل . قال : افتريدين ان أنهاه عن صيام النهار وقيام الليل ؟ ثم جاءته الثالثة فقالت: ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل . قال : افتريدين ان انهاه عن صيام النهار وقيام الليل ؟ وكان عند عمر كعب بن سور فقال كعب : انها امرأة تشتكي زوجها . فقال عمر : اما اذ فطنت لها فقم فاحكم بينهما . فقام كعب وجاءت بزوجها فقالت :

---

(١) لظت : ضربت .
(٢) الاستيعاب ٢/٢٥٦ .

يا ايها القاضي الفقيه ارشده ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهّده في مضجعي تعبده نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء احمده فامض القضايا كعب لا تردده

فقال الزوج :

اني امرؤ قد شفني ما قد نزل في سورة النور وفي السبع الطول
وفي الحواميم الشفاء وفي النحل فردها عني وعن سوء الجدل

فقال كعب :

ان السعيد بالقضاء من فصل ومن قضى بالحق حقاً وعدل
ان لها حقاً عليك يا بعل من اربع واحدة لمن عقل
امض لها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال له : ايها الرجل ان لك ان تتزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام ولامرأتك هذه من اربعة ايام يوم ومن اربع ليال ليلة ، فلا تصل في ليلتها الا الفريضة[1] .

ومن هذه الجوانب الشخصية التي قيل فيها شعر ماروي عن عبدالله ابن أبي بكر الصديق. فقد تزوج امرأة اسمها عاتكة وكان معجباً بها فشغلته عن اموره فقال له ابوه طلقها فطلقها ثم ندم فقال :

أعاتك لا أنساك ما ذرّ شارق وما لاح نجم في السماء محلق
لها خلق جزل ورأي ومنصب وخلق سوي في الحياة مصدق
ولم ار مثلي طلّق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق

---

(١) الاستيعاب ٣/٢٨٨

وظل ينظم فيها فرق له ابوه فأمره بمراجعتها فراجعها وبقيت عنده حتى مات .[1]

ومن هذه الاشعار ماروي عن عمرو بن شاس فقد كان تزوج امرأة تدعى ام حسان السعدية، وكان له ولد من أمة سوداء. فكانت تؤذيه وتظلمه وتعير إباه به وتشتمه فقال في زوجته وفي عرار ابنه :

ارادت عراراً بالهوان ومن يرد
عراراً لعمري بالهوان لقد ظلم
فان كنتِ مني او تريدين صحبني
فكوني له كالسمن ربت به الادم
والافسيري سير راكب ناقة
تيمم غيثاً ليس في سيره امم[1]
وان عراراً ان يكن غير واضح
فاني احب الجون ذا المنطق العمم[2]

وقد جهد ان يصلح بين ابنه وامرأته فلم يمكنه ذاك فطلقها ثم ندم ولام نفسه فقال :

تذكر ذكرى ام حسان فأقشعر
على دبر لما تبين ما أئتمر
تذكرتها وهناً وقد حال دونها
رعان وقيعان بها الماء والشجر[3]

---

(١) امم : اضطراب في المشي .
(٢) الجون : من الاضداد . الاسود والابيض .
(٣) رعان : جمع رعن وهو انف يتقدم الجبل .

فكنت كذات البو لما تذكرت

لها ربعاً حنت لمهده سحر[1]

ومن هذه الاشعار التي كانت تعالج موضوعات عائلية شعر السعدى فقد كان له ابن عاق يدعى (منازل) فشكاه ابوه الى عمر بن الخطاب ، وله في ذلك شعر يقول فيه :[2]

وما كنت اخشى ان يكون منازل

عدوي وادنى شانئي انا راهبه

حملت على ظهري وقربت شخصه

صغيراً الى ان امكن الطر شاربه[3]

واطعمته حتى اذا صار شيظما

يكاد يساوي غارب الفحل غاربه[4]

تخوّن مالي ظالماً ولوى يدي

لوني يده الله الذي هو غالبه

وعندما كان يبلغ العمر من الرجال عتياً كانوا يحسون بوطأة السنين وثقل الايام والشهور فتسيل الاشعار على السنتهم شكوى مرة وحسرات على ما فات ، وقد حفظ لنا السجستاني في كتابه « المعمرون » ثروة كبيرة من هذه الاشعار منها ان مالك بن عامر الاشعري الذي عمّر طويلاً قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وشرح احواله في قصيدة طويلة منها :[5]

---

(١) الاستيعاب ٥١٩/٢ .

(٢) الاصابة ٢٠٦/٣ .

(٣) الطر : الظهور والوضوح .

(٤) الشيظم : الطويل الجسم الفتي .

(٥) الاصابة ٣٢٦/٣

وعمّرت حتى مللت الحياة ... ومات لداتـي من الاشعر
اتت لي سـنون فنيتهـا ... فصـرت أحكم للمعمـر
نسيت شبـابي فامضيتـه ... وصـرت الى غاية المكبر
واصبحت في أمة واحداً ... أجول كالجمـل الاصـدر[1]

الى ان يقول :

كأن الفتى لم يعش ليلة ... اذ صار رمساً على صور
وطول بقـاء الفتى فتنة ... فاطول لعمرك او اقصـر

وعُمّر قردة بن تعاثة السلولي طويلًا فقال يصف حاله :[2]

اصبحت شيخاً ارى الشخصين اربعة
و الشخص شخصين لما مسني الكبر
لا اسمع الصوت حتى استدير له
وحال بالسمع دوني المنظر العسر
و كنت أمشي على ساقين معتدلاً
فصرت أمشي على ما تنبت الشجر
اذا أقوم عجنت الارض متكئا
على البراجم حتى يذهب النفـر

وتناول المستوغر بن ربيعة السعدي هذا المـوضوع في شعره. فشكا الحياة بعد ان عمر زمنا طويلًا فقال :[3]

---

(١) الاصدر : العظيم .
(٢) اسد الغابة ٢٠١/٤ .
(٣) الاصابة ٤٦٨/٣ .

ولقد سئمت من الحياة وطولها

وعمرت من عدد السنين مئينـا

مائة اتت من بعدها مائتـان لي

وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي الا كما قد فـاتني

يوم يـــر وليـلة تحـدونـا

وشاعت عادة تقديم الشعر بين يدي حاجات الناس عند شعراء العصر من ذلك :

لما تظاهرت بنو بكر وقريش على خـزاعة ، واصـابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله (ص) من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكان في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة ، وكان ذلك ممـا هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال : [1]

يا رب إني ناشـد محمـداً   حلف ابينا وابيه الأتلدا[2]

قد كنتم ولداً وكنا والداً   ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا[3]

فانصر هداك الله نصراً اعتدا   وادعُ عباد الله يأتوا مـددا[4]

---

(١) ابن هشام ٢/٢١٤ .

(٢) ناشد : طالب ومذكر . الاتلد : القديم .

(٣) يريدان بني عبد مناف امهم من خزاعة وكذلك قصى أمـه فاطمة بنت سعد الخزاعي . واسلمنا : من السلم .

(٤) اعتد : حاضر . والمدد : العون .

فيهم رسول الله قد تجرّدا ان سيم خسفاً وجهه تربّدا[1]
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ان قريشاً اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا وجعلوا لي في كداء رُصدا[2]
وزعموا ان لست ادعو احدا وهم اذلّ وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجّدا وقتلونا ركعاً وسجّدا[3]

فقال رسول الله (ص): نُصرت ياعمرو بن سالم، ثم عرض لرسول الله (ص) سحاب من السماء فقال: ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب.

وقد عرضت قتيلة بنت النضير بن الحارث للنبي (ص) وهو يطوف وكان قد قُتل ابوها في بدر، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشفت منكبه وانشدته قصيدة في العتاب مطلعها:[4]

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وانت موفق[5]

وتقول فيها:

ما كان ضرّك لو مننت وربما من ّالفتى وهو المغيظ المحنق

فرقّ لها رسول الله (ص) وتألم، وقال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه.

---

(١) تربد: تمر وتهيأ للحرب.
(٢) رصد: جمع راصد وهو الطالب للشيء الذي يرقبه.
(٣) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة.
(٤) ابن هشام ١٤٧/٢
(٥) الاثيل: موضع فيه قبر النضر. والمظنة: موضع ايقاع الظن. تقول ان الاثيل مظنة ان تصل اليه في صبح الليلة الخامسة اذا وفقت وانت موفق.

وكان لأمية بن حرثان ولد اسمه كلاب ، هاجر الى البصرة في خلافة عمر (رض) فقال أمية :

ساستعدي على الفاروق رباً   له عمد الحجيج الى بُساق[1]
إنّ الفاروق لم يردد كلاباً   على شيخين هامهما زواقي[2]

فكتب عمر الى ابي موسى الاشعري بإشخاص كلاب ، فما شعر أمية الا به يقرع الباب[3]

وقد ذكرنا نحو هذه الحادثة في شعر الفتوحات الاسلامية وقصة استعطاف الحطيئة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو في سجنه ثم اطلاق سراحه بعد ان كتب اليه شعراً يتوسل فيه اليه طالباً العفو والمغفرة مشهورة فقد كتب اليه :[4]

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لاماء ولا شجر[5]
غيّبت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامين الذي من بعد صاحبه
القت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدّموك لها
لكن لانفسهم كانت بها الاثر

---

(١) بساق : جبل بعرفات وبلد بالحجاز .
(٢) الهامة : رأس الميت ، يريدان موتها قريب .
(٣) العمدة ٥٨/١ .
(٤) ديوان الحطيئة ص ٢٠٨ .
(٥) ذو مرخ : اسم واد بالحجاز . وزغب الحواصل : لم ينبت على حواصلهم سوى الزغب القصير كناية عن صغر سنهم .

ولم يتورّع بعض الشعراء عن ذكر ما كانوا يرتكبون من آثام واخطاء فصوّروا ذلك في اشعارهم متحملين ما قد ينجم عن ذلك من حساب وعقاب من ذلك قول النعمان بن عدي بن نضلة والي عمر ابن الخطاب على ميسان[1] :

من مبلغُ الحسناء أنّ حليلها
بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
اذا شئتُ غنتني دهاقينُ قريةٍ
وصنّاجةٌ تجثو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني
ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدم[2]

فلما بلغ عمر ذلك قال : نعم والله انه ليسوؤني ، من لقيه فليخبره اني قد عزلته . وقد قدم هذا الشاعر الى عمر معتذراً بانه امرؤ شاعر ، وقد جرت على لسانه ابيات لا يريد بها شيئاً . الا ان هذا العذر لم ينفعه وحرمه العمل حياته .[3]

وجاهر أبو محجن الثقفي بتعاطيه الخمرة وشغفه بها فأنشد :[4]

إذا متُّ فادفني الى أصل كرمة ... تُرَوّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني ... أخاف إذا ما متّ ألاّ أذوقها

ودفع ثمن هذه المعصية فقد جلده عمر ونفاه من المدينة بهذا الشعر.

---

(١) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط .
(٢) الجوسق : فارسي معرب ، ويعني القصر الصغير .
(٣) ابن الجوزي : تاريخ عمر بن الخطاب ص ١١٦ .
(٤) الشعر والشعراء ص ١٦٢ .

شعر الأحداث التاريخية

كان الشعر في العصر الاسلامي . كما كان من قبل - ديوان العرب وسجل تاريخهم ومستودع اخبارهم ، وما لهم من مآثر تذكر وعادات تؤثر ، فلم يترك الشعراء حادثه الا سجلوها في أشعارهم ، ولا موقفاً الا عبّروا فيه عن ارائهم حتى يمكن ان نقول انه كان مجموعة وثائق تؤرخ للفترة الاولى من حياة الاسلام والمسلمين ، ويستطيع كل من يقلب صفحات السيرة و كتب التاريخ ان يدرك هذه الحقيقة بسهولة فقد غطّى الشعراء كل احداث عصرهم .

فمن الاشعار التي أرخت للدعوة الاسلامية في مكة والمدينة قول صرمة بن قيس ، وقد كان ابن عباس يختلف اليه يتعلم منه تلك الابيات وهي :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكّر لو يلفي صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم يرَ مَنْ يؤوي ولم يرَ داعيا
فلما أتانا واستقرت بـه النوى
وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وأصبح ما يخشى ظلامة ظالم
بعيد ولا يخشى من الناس باغيا

بذلنا له الاموال من جل مالنا

وانفسنا عند الوغى والتآسيا

نعادي الذي عادى من الناس كلهم

جميعاً وان كان الحبيب المواتيا

ونعلم أنّ الله لا شيء غيره

وان كتاب الله أصبح هاديا[1]

وأرّخ كعب بن مالك بيعة العقبة الثانية فحفظ لنا اسماء النقباء الذين وقع عليهم اختيار قومهم حين قال الرسول (ص) : أخرجوا اليّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم فيهم . فقال :[2]

ودونك فاعلم انّ نقض عهودنا

أباه عليك الرهط حين تبايعوا

أباه البراء وابن عمرو كلاهما

وأسعد يأباه عليك ورافع[3]

وسعد أباه الساعديّ ومنذر

لأنفك إن حاولت ذلك جادع[4]

وما ابن ربيع ان تناولت عهده

بمسلمه لا يطمعن ثم طامع[5]

---

(١) الاستيعاب ٢/١٩٥

(٢) الديوان ص ٢١٩

(٣) البراء : هو البراء بن معرور بن صخر . وابن عمرو : عبدالله بن عمرو بن حزام واسعد : اسعد بن زرارة . ورافع : رافع بن مالك بن العجلان .

(٤) سعد الساعدي : سعد بن عبادة . ومنذر : المنذر بن عمرو . وجادع:قاطع

(٥) ابن ربيع : سعد بن الربيع

وايضاً فلا يعطيكه ابن رواحة
وإخفاره من دونه السمّ ناقع[1]
وفاء به والقوقليّ بن صامت
بمندوحة عما تحاول يافع[2]
ابو هيثم ايضاً وفيٌّ بمثلها
وفاء بما أعطى من العهد خانع[3]
وما ابن حُضير ان أردت بمطمع
فهل أنت عن أحموقة الغيّ نازع[4]
وسعد اخو عمرو بن عوف فانه
ضروح لما حاولت ملأمر مانع[5]
اولاك نجوم لا يغبّك منهم
عليك بنحس في دجى الليل طالع[6]

وحدثت أول مناوشة بين قريش والرسول (ص) حين ارسل الرسول سرية عبدالله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين الى نخلة ليصدوا بها قريشاً حتى يأتوا منهم بخبر، وحين نزلت السرية هذا الموضع مرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي تحمل زبيباً وادماً وتجارة من تجارة قريش فقتلت السرية ابن الحضرمي واسروا اثنين

---

(١) ابن رواحة : هو عبدالله رواحة الشاعر الاخفار : نقض العهد ناقع : ثابت ولازم .
(٢) القوقلي : عبادة بن الصامت . ومندوحه : سعة . يافع : موضع مرتفع .
(٣) ابو هيثم : مالك بن التيهان . خانع : مقر متذلل .
(٤) ابن حضير : اسيد بن حضير .
(٥) سعد : هو سعد بن خيثمة . ضروح : مانع ودافع عن نفسه . ملأمر : من الامر
(٦) يغبك يغيب عنك . نحس : ضد السعد .

من رفاقهما عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان واستاقوا العير ، فلما قدموا على الرسول المدينة قال : ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فوقّف العير والاسيرين ، وأبى ان يأخذ من ذلك شيئاً ، فلما قال ذلك رسول الله (ص) سُقط في ايدي القوم وظنوا انهم قد هلكوا وقالت قريش قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال واسروا فيه الرجال ، فقال لهم المسلمون الذين كانوا بمكة ، انما اصابوا ما اصابوا في شعبان فلما اكثر الناس في ذلك انزل الله على رسوله (ص) : (يسئلونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه، قل قتال فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله و كفر به والمسجد الحرام ، وإخراج اهله منه اكبر عند الله ، والفتنة اكبر من القتل) فلما نزلت هذه الآيات قبض الرسول العير والاسيرين ثم أفدى رسول الله اسيريه بسعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان اللذين كانا اسيرين لدى المشركين.

وقد خلد الشعر هذه الحادثة كما ذكرها القرآن أيضاً فقال ابو بكر الصديق وقيل عبدالله بن جحش :[1]

تعدون قتلاً في الحرام عظيمةً
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عمّا يقول محمد
وكفر به والله راءٍ وشاهد
واخراجكم من مسجد الله اهله
لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فانا وان عيّرتمونا بقتله
وأرجف بالاسلام باغٍ وحاسد

(١) ابن هشام ١/٦٠٥ .

سقينا من ابن الحضرميّ رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماء ابن عبدالله عثمان بيننا
ينازعه غل من القد عاند[1]

وتعد قصيدة حسان وثيقة مهمة في احصاء ايام الانصار مع النبي (ص) وذكر مواطنهم معه في ايام غزو قال :[2]

الست خير معدّ كلها نفراً
ومعشراً إنْ همُ عموا وان حصلوا[3]
قوم همُ شهدوا بدراً باجمعهم
مع الرسول فما ألوا وما خذلوا[4]
وبايعوه فلم ينكث به احد
منهم ولم يك في إيمانهم دخل[5]
ويوم صبّحهم في الشعب من احد
ضرب رصين كحر النار مشتعل[6]
ويوم ذي قرد يوم استثار بهم
على الجياد فما خافوا وما نكلوا[7]

---

(١) القد : شرك يقطع من الجلد . وعاند : سائل بالدم لا ينقطع .
(٢) ابن هشام ٥٥٤/٢
(٣) حصلوا : جمعوا .
(٤) ما ألوا : ما قصدوا .
(٥) دخل : فساد .
(٦) رصين : ثابت محكم .
(٧) خافوا ونكلوا : جبنوا عن هيبة وفزع .

وذا العُشيرة جاسوها بخيلهم

مع الرسول عليها البيض والاسل[1]

ويوم ودّان اجلوا اهله رقصاً

بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل[2]

وغزوة يوم نجد ثم كان لهم

مع الرسول بها الاسلاب والنفل

وليلة بحُنين جالدوا معه

فيها يعلّهم بالحرب اذ نهلوا[3]

وغزوة القاع فرّقنا العدو به

كما تفرق دون الشرب الرُّسل[4]

وغزوة الفتح كانوا في سريته

مرابطين فما طاشوا وما عجلوا

ويوم خيبر كانوا في كتيبته

يمشون كلهم مستبسل بطل[5]

ويوم سار رسول الله محتسبا

الى تبوك وهم راياته الأول

وكان استشهاد حمزة (رض) صدمة عنيفة لجميع المسلمين ، فشارك الشعراء في هذا المصاب الجلل بقصائد تفيض لوعة والماً لما

---

(١) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الاسل : الرماح .

(٢) الرقص : ضرب من المشي . والحزن : ما ارتفع من الارض .

(٣) يعلهم : يكررها عليهم من العلل وهو الشرب الثاني . النهل : الشرب الاول .

(٤) الرسل : الابل .

(٥) مستبسل : موطن نفسه على الموت .

تمتع به سيدنا حمزة عند رسول الله و المسلمين من حب وتقدير . فحين وقف رسول الله (ص) على حمزة قال : لن أُصاب بمثلك ابداً ، مـا وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا .[1]

ومعروف ان وحشياً غلام جبير بن مطعم قد رماه بحربة فارداه قتيلاً فقال كعب بن مالك مصوراً ذلك من مرثية طويلة :[2]

فلاقـاه عبد بني نوفـل   يبربـر كالجمـل الادعـج[3]
فأوجـره حربـة كالشهاب   تلَهب فـي اللهب الموهـج[4]

و استأثرت حادثةالغدر بخبيب بن عدي الانصاري باهتمام الشعراء، فأتوا على تفصيلاتها في اشعارهم ، وتبدأ هذه الحادثـة حين قدم على رسول الله (ص) بعد غزوة أُحد رهطمن قبيلتي عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله ان فينا اسلاماً فابعث معنا نفراً من اصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول الله (ص) نفراً من اصحابه فيهم خبيب حتى اذا كانوا على الرجيع[5] غدروا بهم ، وكان من حديث خبيب انهم خرجوا به حتى اذا جاءوا الى التنعيم ليصلبوه قـال لهم : ان رأيتم ان تدَعوني حتى اركع ركعتين فافعلوا ؟ قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم اقبل على القوم فقال: اما والله لولا ان تظنوا اني انما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة ثم رفعوه على خشبة فلما اوثقوه، قال : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم

---

(١) ابن هشام ٢/٩٥ .   (٢) الديوان ص ١٨٨ .
(٣) يبربر : يتكلم بما لا يفهم وبصوت مرتفع . الادعج : الاسود .
(٤) أوجره : طعنه في صدره . الموهج : الموقد .
(٥) ابن هشام ٢/١٧٢ .

قال : اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بَدداً ولا تغادر منهم احداً . ثم قتلوه رحمه الله وبعده قُتل بقية النفر الذين معه وقد نظم حسان اسماء هؤلاء الشهداء وحادثة استشهادهم فقال :[1]

صلّى الاله على الذين تتابعوا | يوم الرجيع فاكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم | وابن البكير امامهم وخبيب[2]
وابن لطارق وابن دثنة منهمُ | وافاه ثمّ حمامه المكتوب[3]
والعاصم المقتول عند رجيعهم | كسب المعالي انـه لكسوب[4]
منع المقادة ان ينالوا ظهره | حتى يجالد انـه لنجيب[5]

وصور خبيب الطريقة التي سلكها المشركون في تعذيبه ، وقدم لنا وصفاً دقيقاً لما جرى له قبيل استشهاده فقال :[6]

لقد جمّع الاحزاب حولي وألّبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمـع[7]
وقـد قرّبوا ابنـاءهم ونساءهم
وقُرّبتُ من جذع طويل ممنـع
وكلهم يبدي العـداوة جاهـداً
عليّ لأني في وثـاق بمضيـع

---

(١) المصدر نفسه ١٨٣/٢

(٢) مرثد : هو مرثد بن ابي مرثد الغنوي . وابن البكير : هو خالد بن البكير الليثي .

(٣) ابن طارق: هو عبدالله بن طارق. وابن دثنة هو زيد بن الدثنة بن معاوية.

(٤) العاصم : هو عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح .

(٥) المقادة : الانقياد والمذلة . يجالد : يضارب بالسيف .

(٦) أسد الغابة ١٠٤/٢

(٧) ألبوا : جمعوا .

الى الله اشكو غربتي بعد كربتي
وما جمع الاحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما أصابني
فقد بضّعوا لحمي وقد ضلّ مطمعي[1]
وذلك في ذات الاله وان يشـأ
يبارك على أوصـال شلوٍ ممزّع[2]
وقد عرضوا بالكفر والموت دونه
وقد ذرفت عيناي من غير مدمع
وما بي حـذار الموت اني لميّت
ولكن حذاري حـر نـار تلفّع[3]
فلست بمبـدٍ للعـدو تخشـعاً
ولا جزعـاً اني الى الله مرجعي
ولست ابالي حـين اقتـل مسلماً
على ايّ جنبٍ كان في الله مصرعي

وتقع في السنة التي تليها حادثة شبيهة بحادثة يوم الرجيع في الغدر والخيانة فقد قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله (ص) فعرض عليه الرسول الاسلام فدعاه اليه، فلم يسلم، ولم يبعد من الاسلام وقال: يا محمد او بعثت معي رجالاً من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك، رجوت ان يستجيبوا لك، فقـال

(١) بضعوا : قطعوا .
(٢) الشلو : البقية . والممزع : المقطع .
(٣) الملفع : المشتمل العام .

الرسول (ص) : اني اخشى عليهم اهل نجد ، فقال ابو براء : انا لهم جارٌ . فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من اصحابه ، فنزلوا بئر معونة وهي أرض بني عامر وحرة بني سليم ، ثم بعثوا احدهم بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا ان يجيبوه وقالوا: لن نخفر أبا براء ، فقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم من قبائل سليم فأجابوه الى ذلك ، ثم رجعوا اليهم فقتلوهم عن آخرهم غير واحد .[1]

فقال كعب بن مالك مصوراً هذه الحادثة ومشيراً الى مافيها من غدر وخيانة :[2]

لقد طارت شعاعاً كل وجه	خِفارة ما اجار ابو بَراء[3]
فمثل مسهّب وبني ابيه	بجنب الرده من كنفي سواء
بني ام البنين اما سمعتم	دعاء المستغيث مع المساء
وتنويه الصريخ بلى ولكنْ	عرفتم انه صدق اللقاء[4]
فما صفرت عياب بني كلاب	ولا القُرطاء من ذم الوفاء[5]
أعامر عامر السوءات قدما	فلا بالعقل فزت ولا السناء

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٤٩

(٢) الديوان ص ١٧٠

(٣) خفارة : نقض العهد . وابو براء عامر بن مالك . ملاعب الاسنة .

(٤) الصريخ المستغيث .

(٥) صفرت : خلت . عياب جمع عيبة وهي ما يجعل فيها الثياب كالكيس والعرب تكني عن الصدور والقلوب بالعياب . والقرطاء : بطون من بني كلاب .

أأحفزتَ النبي وكنتَ قِدماً الى السوءات تجري بالعراء
فلستَ كجار جار ابي دؤاد ولا الاسدي جار ابي العلاء[1]

وقال حسان في هذه الحادثة ايضاً محرضاً بني ابي براء على عامر ابن الطفيل :[2]

بني ام البنين ألم يرعكم وانتم من ذوائب اهل نجد[3]
تهكم عامر بابي براء ليخفره وما خطأ كعمد
الا ابلغ ربيعة ذا المساعي فما احدثت في الحدثان بعدي[4]
ابوكَ ابو الحروب ابو براء وخالك ما جد حكم بن سعد

وحين تمادى اليهود من بني النضير في تآمرهم ضد الاسلام فاجلاهم الرسول (ص) لم يتخلف الشعر عن تسجيل هذا الحدث فقال كعب ابن مالك من قصيدة طويلة :[5]

فتلك بنو النضير بدار سوء أبارهمُ بما اجترموا المبير[6]
غداة اتاهم في الزحف رهواً رسول الله وهو بهم بصير[7]
فذاقوا غِبَّ امرهم وبالا لكل ثلاثة منهم بعير[8]
وأجلوا عامدين لقينقاع وغودر منهم نخل ودور[9]

---

(١) جار ابي دؤاد : كعب بن مامه الذي تضرب العرب به المثل في حسن الجوار انظر قصته فى الميداني ١٧٠/١
(٢) ابن هشام ١٨٧/٢
(٣) الذوائب : الاعالي
(٤) المساعي : السعي فى طلب المجد والمكارم
(٥) الديوان ٢٠٤ وانظر ص ٢٧٨ ايضاً
(٦) ابارهم : اهلكهم . اجترموا : اكتسبوا
(٧) الرهو : المشي في مهل وسكون
(٨) غب : عاقبة . وبال : نكال
(٩) عامدين : قاصدين

وسجل علي بن ابي طالب قبل رجل من المسلمين اجلاء بني النضير فقال :[1]

واجلى النضير الى غربة | وكانوا بدار ذوي زخرف
الى اذرعات رُدافى وهم | على كل ذي دبر اعجف[2]

وقد استأثر قتل كعب بن الاشرف باهتمام الشعراء، فقد كان هذا اليهودي شاعراً يحرض على رسول الله (ص) ويشبب بنساء المسلمين ويطعن في الاسلام حتى اهدر الرسول (ص) دمه فقال : من لي بابن الاشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة : انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال : فافعل ان قدرت على ذلك ، فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وجماعة من المسلمين فيهم سلكان بن سلامة وهو اخو كعب من الرضاعة ، وعباد بن بشر[3] ومن الاشعار التي تناولت هذه الحادثة بالتفصيل قول كعب بن مالك قال :[4]

فغودر منهم كعب صريعاً | فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثَمّ وقد علته | بايدينا مشهّرة ذكور[5]
بامر محمد اذ دسّ ليلاً | الى كعب اخا كعب يسير[6]
فماكره فانزله بمكر | ومحمود اخو ثقة جسور

وصور عباد بن بشر هذه الحادثة بكل تفصيلاتها فقال :[7]

---

(١) ابن هشام ٢/١٩٧
(٢) ذو دبر اعجف : يعني جملا
(٣) ابن هشام ٠/٥٤
(٤) الديوان ص ٢٠١
(٥) مشهرة ذكور : السيوف القوية التي شهرها اصحابها اي المسلولة القوية .
(٦) اخو كعب : يقصد سلطان بن سلامة اخاه من الرضاعة .
(٧) الاستيعاب ٢/٤٤٦

صرخت به فلم يعرض لصوتي وو افى طالعاً من رأس جدر
فعدت له فقال من المنادي ؟ فقلت اخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها لشهران وفي او نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا وما عدموا الغنى من غير فقر
فاقبل نحونا يهوى سريعاً وقال لنا لقد جئتم لامر
وفي ايماننا بيض حداد مدربة بها الكفار نفري[1]
فعانقه ابن مسلمة المرادي بها الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتاً عليه فقطره ابو عبس بن جبر
فكان الله سادسنا فأبنا بانعم نعمة واعز نصر

ومن الحوادث التي استأثرت باهتمام الشعراء ايضاً فجيعة المسلمين بفقد الرسول (ص) وقد شارك عشرات الشعراء في هذا الحدث الجلل[2].

وينقسم الناس بعد اختلافهم في موضوع الخلافة فينبري الشعراء لتصوير ذلك الانقسام فيقول النعمان بن العجلان الزرقي وكان لسان الانصار وشاعرها :[3]

وكان خطاء ما أتينا وانتم
صواباً كأنا لانريش ولا نبري
وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم
عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

---

(١) نفرى : نذبح ونقتل
(٢) تجد تفصيل ذلك في موضوع مراثي الرسول (ص) .
(٣) الاستيعاب ٥٢١/٣

وأهل ابو بكر لها خير قائم
وان علياً كان أخلق للأمر
وكان هوانا في عليّ وانه
لأهلٌ لها من حيث ندري ولا ندري
وهذا بحمد الله يشفى من العمى
ويفتح اذانا ثقلن من الوتر
نجيّ رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصديق في سالف الدهر
فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها
ولكن هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرض الا بالرضا ولربما
ضربنا بأيدينا الى اسفل القدر

ويُجمع المسلمون على مبايعة الصديق بعدما حدث في سقيفة بني ساعدة ويؤرخ الشعر ذلك فقال أبو عزة الجمحي :[1]

شكراً لمن هو بالثناء حقيق   ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعدما دحضت بسعد نعله   ورجا رجاء دونه العيّوق[2]

ويرتدّ الناس في اول خلافة الصديق فيتقدم الشعر ليواكب معارك الردة[3] ويتولى الخلافة عمر بن الخطاب (رض) وينساح المسلمون في مشارق الارض ومغاربها فاتحين ومحررين ويسير معهم الشعر حيث ساروا فيصور وقائعهم ويتغنى بانتصاراتهم ويرثي

---

(١) المصدر السابق ٢٤٦/٢   (٢) العيوق : من نجوم السماء المرتفعة .
(٣) انظر الفصل الخاص بـ (دور الشعر في حروب الردة)

شهداءهم .[1] وتمتد يد آثمة الى خليفة رسول الله فتغتاله فيؤرخ الشعر ذلك فتقول عاتكة بنت زيد بن عمرو :[2]

فجعني فيروز لادرّ دره
بأبيض تال للكتاب منيب
رؤوف على الأذى غليظ على العدى
اخي ثقة في النائبات مجيب
متى ما يقلْ لا يكذب القول فعله
سريع الى الخيرات غير قطوب[3]

وتندلع الفتنة بين المسلمين في خلافة عثمان بن عفان (رض) وتتطور الامور فيطالب بعض الطامعين بتنازل الخليفة عن الحكم ، وينهض الشعر مرة اخرى ليسهم في سرد وقائع تلك الفتنة فيقول حنظلة الكاتب :[4]

عجبت لما يخوض الناس فيه   يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم   ولاقوا بعدها ذلاً ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى   سواء كلهم ضلوا السبيلا

وعندما هاجم الثائرون الدار تصدى لهم بعض من كان يحميها فقال الحسن بن علي :

لا دينهم ديني ولا انا منهم   حتى اسير الى طمار شمام

---

(١) انظر الفصل الخاص ب (شعر الفتوحات الاسلامية)
(٢) الطبري ٤/٢١٨
(٣) غير قطوب : غير عبوس
(٤) الطبري ٤/٣٨٦

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

انا ابن من حامى عليه بأحد   وردّ احزاباً على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداة الدار والمــوت واقب
بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نُصرة
نشافهم بالضــرب والموت ثاقب[1]

ووصلت الفتنة الى القمة حين فتك الثائرون بخليفة رسـول الله فخرّ شهيداً في داره وهو يتلو القرآن في حجره ، وسجّل الشعر هذه الفاجعة ايضاً فقال ايمن بن خزيمة[2]

ضحوا بعثمان في الشعر الحرام ضحىً
واي ذبح حــرام ويلهــم ذبحوا
وايّ ســنة كفرسنّ اولهــم
وباب شرٍ عــلى سلطانهم فتحــوا
ماذا ارادوا اضــل الله ســعيهم
بسفك ذاك الدم الزكي الذي سفحوا

وقدم لنا كعب صورة كاملة لما حدث يوم الدار فقال[3]

يا للرجال لأمرٍ هــاج لي حــزنا
لقد عجبت لمن يبكي على الدمن

---

(١) الطبري ٣٨٨/٤ .
(٢) الاستيعاب ٨٣/٣ .
(٣) الديوان ص ٢٨٢ .

اني رأيت قتيل الدار مضطهـدا
عثمان يهدى الى الاجداث في كفن
يا قاتـل الله قوماً كان امرهم
قتل الامـام الزكي الطيب الردن[1]
ما قاتلوه عـلى ذنب المّ بـه
الاّ الذي نطقوا زوراً ولم يكن
قد قتلوه واصحاب النبي معـاً
لولا الذي فعلوا لم نُبلَ بالفتن
قـد قتلوه نقياً غـير ذي ابن
صلى الالـه على وجهٍ له حسن[2]
قـد جمّع الحلم والتقوى لمعصمه
مع الخلافة امراً كان لم يشن

ونظم كعب الأمر الذي اصدره عثمان لمن جاء بالسلاح ليذبّ عنه وهو محصور: ان كنتم ترون الطاعـة والحق فاغمدوا اسيافكم وانصرفوا ولا تستقتلوا[3]، فقال:[4]

فكفّ يديه ثم اغلق بابه وأيقن انّ الله ليس بغافل
وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرىءٍ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبّ عليهم العـداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم وولّى كإدبار النعام الجوافل

(١) الردن: اصل الكم، وهو هنا كناية عن الصلاح.
(٢) ابن: عداوات
(٣) العقد الفريد ٢/٢٩٤
(٤) الديوان ص ٢٦٤

وقالت زينب بنت العوام مشيرة الى حصار يوم الدار وتعطيش الخليفة بعد منع الماء عنه :[1]

وعطّشتُم عثمان في جوف داره
شربتم كشرب الهيم شرب حميم

فكيف بنا أم كيف بالنوم بعدما
أصيب ابن اروى وابن امٍّ حكيم

وتحفل كتب التاريخ بمثل هذه الصور الشعرية .[2]

وحين احتدم الخلاف بين الامام علي وبين معاوية لم يتخلف الشعر عن تصوير ما حدث فقال كعب بن جعيل[3]

أرى الشأم تكره مُلك العراق
وأهل العراق لهم كارهينا

وكلّا لصاحبه مبغضاً
يرى كل ما كان من ذاك دينا

إذا ما رمونا رميناهم
ودناهم مثل ما يقرضونا

فقالوا عليٌّ إمام لنا
فقلنا رضينا ابن هند رضينا

وقالوا نرى ان تدينوا له
فقلنا الا لا نرى ان ندينا

---

(١) الاستيعاب ٨٣/٣

(٢) انظر مثلا الاستيعاب ٨٢/٣ والتمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان ص ٢١٠

(٣) المبرد : الكامل ٢٨٢/١

ومن دون ذلك خرط القتاد

وضرب وطعن يقرُّ العيونا

وقد ارسل معاوية بالابيات السابقة الى الامام علي ، فلما قرأها الامام قال لشاعره النجاشي : أجب . فقال[1]

دعنَّ معاويّ ما لن يكونا   فقد حقق الله ما تحذرونا
اتاكم عليٌّ بأهل العراق   واهل الحجاز فما تضعونا
فان يكره القوم ملك العراق   فقد ما رضينا الذي تكرهونا

وتشتعل الفتنة من جديد فيتقاتل المسلمون في وقعة الجمل ويتساقط الآلاف من القتلى حتى بلغ عددهم عشرين الفاً . وجزع المسلمون لذلك وافزعتهم هذه الدماء المراقة فلجأ الناس الى الشعر للتعبير عن آلامهم واحزانهم لما حدث فهذا احد الشعراء الذين شهدوا ذلك يعبر عن فظاعة وهول تلك الحرب ويعلن رأيه فيما نزل بالناس ويتمنى لو لم تخرج السيدة عائشة ولم يتوجه اليها عسكر علي فيقول :[2]

شهدت الحروب وشيبتني   فلم ترَ عيني كيوم الجمل
اثير على مؤمن فتنة   وأفتك منه تخرق بطل
فليت الظعينة في بيتها   وليتك عسكر لم ترتحل

ولم تكد تجف دماء الضحايا حتى تراق دماء ضحايا أخر في صفين ويسهم الشعر في تصوير ما كان يدور في تلك الوقعة فقال رفاعة بن شدّاد البجلي مصوراً ما اصاب الناس :[3]

---

(١) الاخبار الطوال ص ١٦٣

(٢) العقد الفريد ٢/٢٢٩

(٣) وقعة صفين ص ٤٨٨

تطاول ليلي للهموم الحواضر
وقتلى اصيبت من رؤس المعاشر
بصفين أمست والحوادث جمة
يهيل عليها الترب َ ذيل الاعاصر
فانهم في ملتقى الخيل بكرة ً
وقد جالت الابطال دون المساعر[1]
فان يك ُ اهل الشام نالوا سراتنا
فقد نيل منهم مثل جزرة جازر
وقام سجال الدمع منا ومنهم
يبكين ّ قتلى غير ذات مقابر
فلن يستقيل القوم ما كان بيننا
وبينهم اخرى الليالي الغوابر
وماذا علينا ان تريح نفوسنا
الى سنة من بيضنا والمغافر
ومن نصبنا وسط العجاج جباهنا
لوقع السيوف المرهفات البواتر
وطعن اذا نادى المنادي ان اركبوا
صدور المذاكي بالرماح الشواجر
اثرنا التي كانت بصفين بكرة ً
ولم نك في تسعيرها بعواثر

(١) المساعر : جمع مسعر يقال رجل مسعر حرب اذا كان يؤرثها .

فانْ حكما بالحق كانت سلامة

وراْيٌ وقانا منه من شؤم ثائر[١]

وقال عدي بن حاتم بصفين ايضا[٢]

اقول لمّا ان رأيت المعمعهْ واجتمع الجندان وسط البلقعه

هذا عليٌّ والهدى حقاً معه يا رب فاحفظه ولا تضيّعه

فانــه يخشاك ربّي فارفعــه ومــن اراد عيبه فضعضعه

وعاش الناس في رعب وخوف شديد لايدرون ما سيأتي به الغد

وهذا عمرو بن الحمق الخزاعي يترجم احاسيس قومه فيقول :[٣]

تقـول عرسـى لمـا أن أرقى

ماذا يهيجك من اصحاب صفينا

ألستَ في عصبة يهدي الاله بهم

لا يظلمون ولا بغياً يريدونـا

فقلت اني على ما كان من سدر

اخشى عواقب امرٍ سوف يأتينا[٤]

ادالة القـوم في امر يراد بنـا

فاقْنَيْ حياء وكُفّي ما تقولينا

ووصف الشعراء المعارك التي وقعت بين الفريقين فقال ابو واقد الحارث بن عوف الخشني :[٥]

---

(١) الثائر : الذي يطلب الثأر .

(٢) وقعة صفين ص ٣٨٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٨١ .

(٤) السدر : بالتحريك الحيرة .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .

سائل بنا يوم لقينا الازدا

والخيل تعدو شقراً ووردا[1]

لما قطعنا كفهم والزندا

واستبدلوا بغياً وباعوا الرشدا

وضيّعوا فيما ارادوا القصدا

سُحقاً لهم في رأيهم وبعدا

وقال أيمن بن خريم الاسدي متوعداً جيش الامام علي:[2]

الى رجب اوغرة الشهر بعده

يصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانين الفاً دين عثمان دينهم

كتائب جبرئيل يقودها

فمن عاش عبداً عاش فينا ومن يمت

في النار يسقى مهلها وصديدها

ويزخر كتاب وقعة صفين بمئات المقطعات والقصائد التي واكبت وقائع صفين بالتفصيل.

واشتد القتال وكاد الأمر يتم لعلي، فنادت شيوخ اهل الشام: الله الله في الحرمات والنساء والبنات، فقال عمرو بن العاص: ايها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر في الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا: كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد اهل الشام ومن للترك، ومن للكفار؟ ورفع في

(١) شقراً ووردا: من صفات كرام الخيل.

(٢) وقعة صفين ص ٥٥٥.

عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفي ذلك يقول النجاشي ابن الحارث

فأصبح اهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا علياً يا ابن عم محمد
اما تتقي ان يهلك الثقلان

فخدع الناس بذلك، وترك اهل العراق القتال على الرغم من علي[1]

ويشتبك الامام علي مع الخوارج بحروب طويلة وتفيض كتب التاريخ باشعار الخوارج وجماعة الامام فيما وقع بينهما ومن هذه الاشعار ما قيل في احدى هذه الحروب وهي حرب النهروان فقد خرج احد الخوارج وهو يرتجز بقوله :

اضربهم ولو ارى علياً   البسته ابيض مشرفيا

فيخرج اليه الامام علي مجيباً :

يا ايهذا المبتغي علياً   إني اراك جاهلا شقيا
قد كنت عن كفاحه غنيا   هلم فابرزها هنا إليا

ثم يحمل عليه فيقتله[2] ، ويخرج آخر فيفتك بالناس وهو يقول:

اضربهم ولو ارى ابا حسن   البسته بصارمي ثوب غبن

فيخرج اليه الامام وهو يقول :

يا ايهذا المبتغي ابا حسن   اليك فانظر اينا يلقى الغبن

ثم حمل عليه وشكه بالرمح تاركاً الرمح فيه قائلاً : لقد رأيت ابا حسن فرأيت ما تكره[3]

---

(١) مروج الذهب ٢٧٥/٢ .   (٢) المصدر نفسه ٤١٦/٢ .
(٣) المصدر نفسه ١١٧/٢ .

وتمتد يد اثيمة لتغتال خلافة الراشدين في شخص الامـام علي فقد طعنه ابن ملجم بضربة قاتلة ، وفجع جميع المسلمين بـه فبكوه بكاء حـاراً ، ونهض الشعر مصوراً هذه المـأساة الجديدة فقال ابو الاسود الدؤلي [1]

الا ابلغ معاوية بن حرب ... فـلا قرت عيون الشامتينا
افي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً اجمعينا ؟!
قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيَّسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قـرأ المثاني والمئينا
اذا استقبلت وجه ابي حسين ... رايت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بانك خـيرهم حسبا ودينا

وتوارد جمع كبير من الشعراء على رثائه رضى الله عنه وتصوير المأساة التي المت بالمسلمين فقال ابو زبيد الطائي . [2]

ان الكرام على ما كان من خلُق
رهـط امرىء خاره للدين مختار
طبٌ بصير بأضغان الرجال ولم
يُعـدَل بحبر رسول الله أحبـار
وقطرة قطرت اذ حان موعدها
وكل شـيء له وقت ومقدار
حتى تنصَّلها في مسجد طهـر
على امام هدىً ان معشرٌ جاروا [3]

---

(١) ديوانه ص ٣٢ .
(٢) شعر أبي زبيد الطائي ص ٦٤
(٣) تنصلها : استخرجها .

حُمّت ليدخل جناتٍ ابو حسن
وأُوجبت بعده للقاتـل النـار[1]

وقد اوضح الشعر الاسباب التي دعت ابن ملجم الى الاقدام على هذه الجريمة المنكرة فبين إنما اقدم ابن ملجم على ذلك ثمناً لمهر ابنة عم له اسمها - قطام - فقد طالبت بذلك ثأراً لأبيها واخيها اللذين قُتلا في حرب النهروان وجعلت مهرها ثلاثة الاف وعبداً وقينة وقتل الامام علي[2]

وفي ذلك يقول ابن ابي مياس المرادي ؛[3]

ولم ارَ مهراً ساقه ذو سماحة   كمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة الاف وعبد وقينة   وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر اغلى من علي وان غلا   ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم

وهكذا ظل الشعر مع الاحداث ، يؤرخ لها ، ويصور وقائعها بدقة قد تعجز عنها كتب التأريخ ، فقدم لنا وثائق تاريخية لايستغني عنها كل باحث او مؤرخ .

---

(١) حمت : قدرت .
(٢) مروج الذهب ٢/٤٢٠ .
(٣) الطبري ٥/١٥٠ .

شعر الوعظ والارشاد

جاء الاسلام ليهدي الناس الى طريق الصلاح في الدنيا والآخرة وليخرجهم من الظلمات الى النور، وقد اعتمد سبيل الوعظ والارشاد والنصيحة لتحقيق اغراضه فقال تعالى: (ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي احسن) . وقال الرسول (ص) : الدين النصيحة . وقد افاد الشعراء المسلمون من فنهم لتحقيق ذلك الغرض النبيل فجاءت اشعارهم زاخرة بالنصائح والارشادات ، ومن تلك الاشعار قصيدة صرمة بن ابي انس التي نصح فيها ابناءه ، فقد صاغ فيها مُثل الاسلام وشمائله باسلوب بليغ وطريقة سهلة فقال :

سبحوا الله شرق كل صباح   طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا   ليس ما قال ربنا بضلال

وفيها يقول :

يا بنيَّ الارحام لا تقطعوها   وصِلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى   ربما يستحل غير الحلال
واعلموا ان لليتيم ولياً   عالما يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه   ان مال اليتيم يرعاه وال
يا بنيَّ النجوم لا تخذلوها   ان خذل النجوم ذو عقال
يا بنيَّ الايام لا تأمنوها   واحذروا امكرها ومكر الليالي

واجمعوا امركم على البر والتقوى وترك الخنا واخذ الحلال[1]

ومن نصائح الشعراء ومواعظهم قول شداد بن عارض الجشمي حين كان بصحبة رسول الله (ص) في مسيرة الى الطائف حيث نصح بترك عبادة الاصنام مؤكداً عدم فائدتها ولو استطاعت لدافعت عن نفسها قال:[2]

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها
وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
ان التي حُرّقت بالسُّد فاشتعلت
ولم يقاتل لدى احجارها هدر[3]
ان الرسول متى ينزل بداركم
يرحل وليس بها من اهلها بشر

وأوصى عبدة بن الطبيب ابناءه بتقوى الله وبر الوالد والحذر من النمام الذي يبذر الضغائن والاحقاد بين الناس قال:[4]

اوصيكم بتقى الاله فانه
يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره
ان الابر من البنين الاطوع
واعصوا الذي يزجي النمائم بينكم
متنصحاً ذاك السمام المنقع[5]

---

(١) الاستيعاب ١٥٨/٤ (٢) اسد الغابة ٣٨٨/٢
(٣) هدر: باطل لا يؤخذ بثأره. (٤) المفضليات ص ١٤٦.
(٥) يزجي: يدفع ويسوق. المنقع: القاتل.

يزجي عقاربـه ليبعث بينكم
حرباً كما بعث العروق الاخدع[1]

ونصح سراقة بن مالك الكناني أبا جهل بان يكف قومه عن ايذاء رسول الله (ص) لان امره ظاهر لا محالة فلا فائدة ترجى من مقاومته ، مذكراً اياه بما جرى له شخصياً حين لحق برسول الله (ص) محاولاً قتله وهو في طريقه للهجرة وكيف ساخت فرسه الى بطنها في الارض يقول :[2]

أبا حكم والله لو كنت شاهداً — لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمداً — رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني — ارى امره يوماً ستبدو معالمه
بامر يود الناس فيه بأسرهم — بان جميع الناس طراً يسالمه

ونصح النمر بن تولب بعدم الغضب لمال الغير والتزام الغضب في فقدان المال الشخصي ، وبالتوكل على الله واللجوء اليه دائما يقول :[3]

لا تغضبنَّ علـى امرىء في مالـه
وعلى كرائم صلب مالك فاغضب
واذا تصبك خصاصة فارجُ الغنى
والى الذي يعطي الرغائب فارغب

وحين رفعت الفتنة عقيرتهـا بعـد وفاة الرسول (ص) واحتدم الجـدال بين الانصار والمهاجرين حول الخلافـة بادر خزيمة بن ثابت

---

(١) الاخدع : عرق في العنق اذا ضرب اجابته العروق .
(٢) اسد الغابة ٢٦٦/٢ .
(٣) الاصابة ٥٤٣/٣

الانصاري الى اسداء النصح للناس بالانصراف والاقلاع عن الاختلاف والى التصافي والتآخي فيما بينهم يقول[1]:

يالَ قريش اصلحوا ذات بيننا ... وبينكم قد طال حبل التماحك
فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا ... ولا خير فينا بعد فهر بن مالك
كلانا على الاعداء كف طويلة ... اذا كان يوم فيه حب الحوارك
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم ... ففي ذكر ما قد كان مشي التشارك

وكان الشاعر الصلصال بن الدلهمس قد جاء مع وفد بني تميم فاوصاه الرسول (ص) بشيء فقال قيس بن عاصم وددت لو كان هذا الكلام شعراً نعلمه اولادنا فقال الصلصال انا انظمه يا رسول الله فقال[2]:

تجنب خليطاً من مقالك انما
قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من ان تعده
ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
وان كنت مشغولاً بشيء فلا تكن
بغير الذي يرضى به الله تشغل
ولن يصحب الانسان من قبل موته
ومن بعده الا الذي كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله
يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/١٤ .
(٢) الاصابة ٢/١٨٦

شعر الفتوحات الاسلامية

حين دخل العرب في الاسـلام ، أمدهم الاسلام بقوة روحية هائلة ، فاندفعوا في اقطار الارض فاتحين محررين ، لا حباً في الغزو ، ولا تهافتاً على غنيمة ، وانما جهاداً في سبيل الله ، واعلاء لرسالته في الارض . فكانوا يستهينون بالصعاب ، ويستعذبون الشهادة في سبيل الله ، موقنين ان الحياة تفنى ، والآخرة تدوم ، وان ما عند الله خير وأبقى .

وقد حبّب الله الى المؤمنين الجهاد ، وزينه في صدورهم ، فقال تعالى : (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياةَ الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سـبيل الله فيُقتل أو يَغلب ، فسوف نُؤتيه أجراً عظيماً) . (إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله) . (يا أيها الذين آمنوا . هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليمٍ ، تُؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) . وهناك عشرات الآيات التي تحث على الجهاد وتدعو الى القتال في سبيل الله .

وجاءت الاحاديث النبوية مؤكدة لمعنى الجهاد في قلوب المؤمنين ، فجعلته أفضل الاعمال بعد الايمان ، وذروة سنام الاسلام ، وباباً من أبواب الجنة ، الى ما هناك من أحاديث تبين فضـله ، وتحثّ على الاخذ به ، وتؤكد أنّ ما سوف يلاقيه المؤمنون واحد من أمرين : الشهادة فالجنة أو النصر فالعزة والكرامة .

وضرب رسول الله (ص) أروع الامثلة في البطولة والجهاد في سبيل الله. فأثمرت تعاليمه، وانطلق المسلمون وهم يحملون في صدورهم هذه التعاليم الربانية، يحدوهم ذلك الهدف السامي الذي خرجوا من اجله.

وقد عبّر عن ذلك المغيرة بن شعبة حين التقى برستم ملك الروم فقال: يدخل من قُتل منا الجنة، ومن قُتل منكم النار، ويظهر من بقي منا على من بقي منكم[1].

وقد تردّدت هذه المعاني السامية في اشعار المجاهدين، فهذا النابغة الجعدي يخاطب زوجته حين ناشدته اللهَ أن يبقى، ولا يخرج الى القتال:[2]

باتت تذكّرني بالله قاعدة
والدمع ينهل من شأنيها سبلا
يابنت عمي كتاب الله أخرجني
كرهاً وهل أمنعن الله ما بذلا
فان رجعتُ فربّ الناس أرجعني
وإن لحقت بربي فابتغي بدَلا
ما كنت اعرج او اعمى فيعذرني
او ضارعاً من ضنىً لم يستطع حولا[3]

وهذا شاعر مسلم آخر يصوّر استجابة المؤمنين لداعي الله حين

---

(١) الطبري ٢٢٧٩/٥.
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٥١/١.
(٣) ضارعاً: ضاوياً نحيلا. ضنى: مرض.

رثى شهداء الاسلام في القادسية فقال :[1]

جزى الله اقواماً بجنب مشرق
غداة دعا الرحمن من كان داعيا
جنانا من الفردوس والمنزل الذي
يحل به م الخير مَن كان باقيا

وفي شعر ابناء الشاعرة الكبيرة الخنساء خير مثال على تشرب روح المؤمنين بحب الجهاد والفداء في سبيل الله ، فصاغوا نصيحة امهم ملحمة شعرية رائعة ، وجعلوها انشودتهم في ساحات الوغى فقد حضرت حرب القادسية ومعها بنوها الاربعة فقالت لهم من اول الليل : يا بَنيّ انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة، ماخنتُ اباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حسبكم ولا غيّرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تُفلحون)

فان اصبحتم غداً ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحللت ناراً على ارواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقاومة ، فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين

(١) ياقوت : معجم البلدان ٥٣٩/٤ .

على قولها فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وانشأ اولهم يقول :

يا اخوتي إن العجوز الناصحه قد نصحتنا إذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيـان واضحه فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وانما تلقون عند الصائحه من آل ساسانَ الكلاب النابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه وانتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنما رابحـه

وتقدم فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الثاني وهو يقول :

إن العجوز ذات حـزم وجلد
والنظر الأوفق والرأي السدد
قـد أمرتنـا بالسداد والرشد
نصيحـة منهـا وبـراً بالولـد
فباكروا الحرب حماة في العدد
إمّـا لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عزّ الأبد
في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثالث وهو يقول :

والله لا نعصي العجوز حرفا قد أمرتنـا حرباً وعطفا
نصحاً وبراً صادقاً ولطفا فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا او يكشفوكم عن حماكم كشفا
انا نرى التقصير عنكم ضعفا والقتل فيكم نجدة وزلفى

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الرابع وهو يقول :

لست لخنساء ولا للأخرم ولا لعمرو ذي السناء الاقدم
ان لم ارد في الجيش جيش الاعجم ماض على الهول خضم خضرم
إما لفوز عاجل ومغنم او لوفاء في السبيل الاكرم

فقاتل حتى استشهد، فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته.(1)

وحين كان يلتقي المسلمون باعدائهم، كان يصور شعراء الاسلام تلك المعارك وينقلون لنا وقائع الاشتباكات واحداثها، فهذا الاسود ابن قطبة التميمي يصور هول المعركة التي وقعت بين الفرس والمسلمين في يوم أليس(2) بالعراق فيقول:(3)

لقينا يوم أليس وأمغى ويوم المقر آساد النهار
فلم ار مثلها فضلات حرب اشد على الجحاجحة الكبار
قتلنا منهم سبعين الفاً بقية حزبهم نخب الاسار
سوى من ليس يحصى من قتيل ومن قد غال جولان الغبار

وينتقل القعقاع بن عمرو الى وقعة الفراض التي تحالف فيها الفرس والروم وبعض مشركي العرب ضد المسلمين فيقول:(4)

لقينا بالفراض جموع روم وفرس غمها طول السلام
ابدنا جمعهم لما التقينا وبتنا بجمع بني رزام
فما فتئت جنود السلم حتى رأينا القوم كالغنم السوام

وحين التقى المسلمون بقيادة ابي عبيدة مع الفرس في النمارق

---

(1) الاستيعاب ٢٨٩/٤.
(2) أليس: موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية.
(3) ياقوت ٣٦٣/١.
(4) ياقوت ٨٩٤/٣.

أنشد عاصم بن عمرو مقطوعة يوضح فيها ما حقق الله على ايـدي المسلمين من الانتصارات متتبعاً مواضع الاشتباكات قال :[1]

لعمري وما عمري عـليّ بهـيّن
لقد صبحت بالخزي أهل النمارق[2]
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
يجوسونهم ما بين درتا وبارق[3]
قتلناهم ما بين مـرج مسلح
وبين الهوافي من طريق البذارق[4]

ويصور زياد بن حنظـلة معركـة اجنادين في الشام وانتصار المسلمين فيها بعد ان قتلوا ثمانين الفاً من الروم ، فجاءت قصيدتـه مزيجاً من الفخر والوصف وهو ما يميز شعر الحماسة ، قال :[5]

ونحن تركنا ارطبون مطرّداً
الى المسجد الاقصى وفيه حُسور
عشية اجنـادين لـما تتابعـوا
وقامت عليهـم بالعـراء نسور
عطفنا لـه تحت العجاج بطعنة
لهـا نشيج نائـي الشهيق غزير
فطمنا بـه الـروم العريضة بعده
عن الشام ادنى مـا هناك شطير

(١) المصدر نفسه ٥٣٢/٤ .
(٢) النمارق : موضع قرب الكوفة نزله عسكر المسلمين في اول ورودهم العراق.
(٣) درتا : ناحية من نواحي الكوفة .
(٤) بارق : الحدين القادسية والبصرة وهو من اعمال الكوفة .
(٥) ياقوت ١٣٧/١ .

تولت جموع الـروم تتبع اثره

تـكاد من الذعـر الشديد تطير

وغودر صرعى في المكر كثيرة

وعاد اليه الفـل" وهـو حسير

ورسم لنا قيس بن مكشوح صورة واضحة لخط سير المسلمين في معركة القادسية، مصوراً بلاء وشجاعة المسلمين في تلك المعركة:[1]

جلبت الخيل من صنعا تردّى	بكلٍّ مـدجج كالليث سام[2]
الى وادي القرى فديار بكر	الى اليرموك فالبلد الشآمي
وجـئـن القادسية بعد شهر	مسومـة دوابرهـا دوامي[3]
فناهضنا هنالك جمع كسرى	وابنـاء المـرازبة الكرام[4]
فلما أن رأيت الخيل جالت	قصدتُ لموقف الملك الهمام
فاضرب رأسه فهوى صريعاً	بسيف لا افل ولا كهام[5]
وقد أبلى الاله هناك خيراً	وفعـل الخير عند الله نـام

وهكذا امتزج وصف المعارك بصور شجاعـة وبأس واقدام المجاهدين .

ويلقانا الشعراء بهذه الصور في كل معركة خاضوها في فتوح العـراق وخراسان والشام ومصـر وافريقيا وغيرها من البلدان المفتوحة .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦١ .
(٢) تردي الخيل : ترجم الارض بحوافرها .
(٣) مسومة : معلمة . الدوابر : العراقيب . دوامي : ملطخة بالدم .
(٤) المزاوبة : رؤوساء الفرس .
(٥) افل : مثلم . كهام : كليل لا يقطع .

وعندما كانت تنأى بالمجاهدين المسافات ، وتطول بهم الايام ، كانوا يحسون بالغربة ، ويتشوقون الى بلادهم واهليهم ، فيرسلوا زفراتهم اشعاراً مشحونة بالعواطف الرقيقة ، مليئة بآلام الفرقة ولواعج البعاد ، فهذا احد المجاهدين يشعر بالحنين الى نجد فيقول متشوقاً الى ارضها متطلعاً الى خيامها :[1]

اكرر طرفي نحو نجد وانني
برغمي وان لم يدرك الطرف انظر
حنيناً الى ارضٍ كأن ترابها
اذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الاقحوان بروضة
ونور الاقاحي وشي برد محبر
أحن الى ارض الحجاز وحاجتي
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافع
أجل ـ لا ـ ولكني الى ذاك انظر
افي كل يوم نظرة ثم عبرة
لعينك يجري ماؤها يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاوز
بحرب واما نازح يتذكر

وهذا شاعر آخر يبث آلام غربته الى قرية بجواره جمعت بينهما

(١) ياقوت ٤/٧٤٧ .

الغربة في مرو الشاهجان فيقول :[1]

أقمرية الوادي التي خان إلفها
من الدهر احداث اتت وخطوب
تعالي اطارحك البكا، فاننا
كلانا بمرو الشاهجان غريب[2]

ويتشوق شاعر آخر الى نجد وريحها وطيب جوها فيقول :[3]

أتبكي على نجد وريا ولن ترى
بعينيك ريا ما حييت ولا نجدا
ولا مشرفاً ما عشت اقفار وجرة
ولا واطئاً من تربهن ثرىً جعدا[4]
ولا واجداً ريح الخزامى تسوقها
رياح الصباح تعلو دكادك او وهدا[5]

وقد يضيق الشعراء بطبيعة البلاد المفتوحة حين يجدون جوّها يختلف عما الفوه في بلادهم وبيئتهم التي اعتادوها ، فنظموا ذلك شعراً يفيض بالتبرم والاشفاق، فهذا أحد الفاتحين يعلن ضيقه بالبرد الشديد في مرو الشاهجان فيقدم لنا لوحة شعرية لمناظر الثلج والبرد فيقول:[6]

وأرى بمرو الشاهجان تنكرت   ارض تتابع ثلجها المذرور

---

(١) المصدر نفسه ٢/٥١٠ .
(٢) مرو الشاهجان : هي مدينة مرو ، أشهر مدن خراسان وقصبتها .
(٣) ياقوت ٤/٩٠٦ .
(٤) وجرة : بين مكة والبصرة اربعون ميلا ما فيها منزل ، فهي مرتع للوحش .
(٥) دكادك : المرتفعات . وهد : المنخفض .
(٦) ياقوت ٤/٥١٠ .

اذ لا تـرى ذابرة مشهورة   الا تخـال كانه مقرور
كلتا يديـه لا تزايل ثوبه   كل الشـتاء، كأنه مأسـور

وقد يصوّر الشعراء اسلحتهم التي استعملوها في فتوحاتهم، ومن اروع هذه الصور قول ابي محجن الثقفي :[1]

لمـا رأينـا خيلًا محجّـلة   وقوم بغي في جحفل لجب
طرنا اليهم بكل سهلبـة   وكل صافي الاديم كالذهب
وكل عراصـة مثقفـة   فيهـا سنان كشعلة اللهب
وكل عضب في متنه أثر   ومشرفيّ كالملح ذي شطب
وكل فضفاضة مضاعفـة   من نسج داود غير مؤتشب

وحين كان يسيء بعض العمال التصرف، ويجانبون الحق، كان يتصدى لهم الشعراء المجاهدون فيرفعون امرهم الى الخليفة، من ذلك شكوى ابي المختـار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق عمّال الاهـواز وغيرهم الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فقال :

أبلـغ أمـير المـؤمنين رسـالة
فأنت أمين الله في النهي والامر
وانت امين الله فينا ومن يـكن
أميناً لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدَعنَ أهل الرساتيق والقرى
يُسيفون مال الله في الأُدُم الوفر
فأرسلْ الى الحجاج فاعرف حسابه
وأرسل الى جَزء وارسل الى بِشر

(١) البغدادي : خزانة الادب ١/٥٥٦ .

ولا تنسينَّ النافعَين كليهما
ولا ابنَ غلاب من سراة بني نصر
وما عاصم منها بصفر عيابه
وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وارسل الى النعمان واعرف حسابه
وصهر بني غزوان اني لذو خُبر
وشبلاً فسله المال وابن محرِّش
فقد كان في اهل الرساتيق ذا ذكر
فقاسمهمُ اهلي فداؤك انهم
سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوَني للشهادة انني
أغيبُ ولكني ارى عجبَ الدهر
نؤوب اذا آبوا ونغزو اذا غزوا
فأنَّى لهم وَفرٌ ولسنا اولي وفر
اذا التاجر الداريُّ جاء بفارة
من المسك راحت في مفارقهم تجري

فقاسم عمر هؤلاء الذين ذكرهم ابو المختار شطر اموالهم.[٢]

وحين كان يتسابق شباب الاسلام الى الجهاد في سبيل الله والانضواء تحت رايات الفداء غير مبالين بما يخلفون وراءهم من آباء شيوخ مقعدين، كان ذلك يؤلم الاباء الشيوخ، فيشكون امرهم، ويستشفعون الخليفة او الامير لرد ابنائهم ليبقوا الى جانبهم.

(١) البلاذري ص ٤٧٣

فحين خرج شيبان بن المخبل السعدي في خلافة عمر بن الخطاب مع سعد بن ابي وقاص الى حرب الفرس جزع عليه ابوه ، وكان قد اسنّ وضعف ، وكان يغلب على عقله ، فعمد الى ماله ليبيعه ويلحق بابنه ، فمنعه علقمة بن هوذة واعطاه فرساً وقال له : انا اكلم لك عمر في رد ابنك وتوجه الى عمر وانشده قول المخبل :

ايملكني شيبان في كل ليلة
فقلبي من خوف الفراق وجيب
ويخبرني شيبان ان لم يعقني
تعقّ اذا فارقتني وتحوب[1]

ويقول فيها :

فان يكُ غصني أصبح اليوم بالياً
وغصنك من ماء الشباب رطيب
إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى ؟
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب[2]

فرقّ له عمر ، وكتب الى سعد يأمره ان يرد شيبان الى ابيه فرده اليه ، ولم يزل عنده حتى مات .[3]

وحين هاجر كلاب بن أمية بن حرثان بن الاسكر الى حرب الفرس وترك ابويه شيخين عاجزين فزع ابوه الشيخ الى عمر يشكو هجرة ابنه ، ومما انشده فيه قوله :[4]

---

(١) تحوب : تأثم .
(٢) الاصابة ٢/١٦٤ .
(٣) الاغاني ١٣/١٩٠
(٤) ابن سلام ص ١٦٠

لمن شيخان قد نشدا كلابا   كتاب الله إن حفظ الكتابا[1]
اذا هتفت حمامة بطن وجّ   على بيضاتها ذكرا كلابا
تركتَ أباكَ مُرعشةً يداه   وأمك مـا تسيغ لها شرابا

فأمر عمر باشخاص كلاب الى أبيه .

وعندما هاجر خراش بن ابي خراش الهذلي في ايام عمر غازياً مع المسلمين أوغل في ارض العدو فقدم أبوه المدينة وجلس بين يدي عمر وشكا اليه شوقه الى ابنه وانه رجل قد انقرض اهله ، وقتل اخوته، ولم يبق له ناصـر ولا معين غير ابنه خراش ، وقد غزا وتركه ، ثم أنشأ يقول :

الا من مبلغ عني خِراشاً   وقـد يأتيك بالنبأ البعيـد
وقد يأتيك بالاخبار من لا   تجهّز بالحـذاء ولا تُزيد[2]
ينادِيـه ليغبقـه كليبٌ   ولا يأتي لقد سفه الوليد[3]
فردَّ اناءه لا شـيء فيـه   كأن دموع عينيه الفريد[4]
واصبح دون غابقه وأمسى   جبال من حرار الشام سود
ألا فاعلم خراش بأنّ خير الـ   ـمهاجر بعد هجرته زهيد[5]
فانك وابتغاء البر بعـدي   كمخضوب اللبان ولا يصيد[6]

(١) اي ما في كتاب الله من رعاية الآباء والبر بهم .

(٢) تزيد : اي تزود .

(٣) كليب: عبد ابي خراش . ليغبقه: ليسقيه اللبن في الليل . الوليد : ابن ابي خراش .

(٤) الفريد : جمع فريدة ، وهي الشذر من فضة كاللؤلؤة والشذر صغار اللؤلؤ شبه الدموع بها .

(٥) يقول : اذا هاجر وذهب فان خيره قليل ، وهو الزهيد . اي ما أقل مايصيب من الخير اذا هاجر .

(٦) هذا مثل : يعني ان الكلب يلطخ حلقه وصدره بالدم يري بذلك الناس انه قد صاد ولم يصد .

فكتب عمر بأن يقبل خراش الى ابيه، وألا يغزو من كان له أب شيخ الا بعد أن يأذن له[1].

وللرثاء مكان بارز في شعر الفتوحات الاسلامية، فقد وصلت الينا مراثي رائعة لمن كان يفقد في اثناء تلك الفتوحات، من ذلك قصيدة كثير بن الفريزة النهشلي الذي كان في جيش الاقرع بن حابس التميمي يرثي بها من اصيب في معارك الطالقان وجوزجان لعهد عمر بن الخطاب (رض) ويرثي نفسه ايضاً[2]:

سقى مزن السحاب اذ استقلت ... مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوط ... اقادهم هناك الاقرعان
وما بي ان اكون جزعت الا ... حنين القلب للبرق اليماني
ومحبور برؤيتنا يرجى اللقاء ... ولن اراه ولن يراني
ورب اخ اصاب الموت قبلي ... بكيت ولو نُعيت له بكاني
دعاني دعوةً والخيل تردى ... فما ادري باسمي ام كناني
فكان اجابتي اياه اني ... عطفت عليه خوّار العنان
واي فتىً اذا مامت تدعو ... يطرّق عنك غاشية السنان

وهي تجري على هذا النمط.

وهذا شاعر آخر يرثي شهداء المسلمين الذين دفنوا في القادسية[3]:

جزى الله اقواماً بجنب مشرّق
غداة دعا الرحمن من كان داعيا

---

(١) الاغاني (ساسي) ٦٨/٢١.
(٢) الاغاني ١ /٢٧٨
(٣) ياقوت ٥٣٩/٤

جنانا من الفردوس و المنزل الذي

يحل به م الخير من كان باقيـا

وحين استشهد نافع بن غيلان الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل قال ابوه ·

ما بال عيني لا تغمض ساعة   الا اعترتني عـبرة تغشاني

يا نافعاً من للفوارس احجمت   عن شدة مذكورة وطعان

لو استطيع جعلت مني نافعا   بين اللهاة وبين عقد لساني

فعوتب أبوه على كثرة بكائه فقال دعوني ابكي فسينفد دمعي فقيل له بعد ذلك اين دموعك يا غيلان فقال : كل شيء يبلى [1] .

وهـذا الأعور بن قطبة يتجاذبه شعوران متضاربان ، شعور بالفرح والسرور لأن اخاه قتل قائداً من قـواد الفرس ، وشعور بالحزن والالم لفقد اخيه البطل الذي طعنه ذلك الفارس المغوار قبل ان يسقط فيقول : [2]

لم ار يوماً كان احـلى وأمرّ   من يوم اغواث اذا فتر الثغر

من غير ضحك كان أسوى وأبر

وحين استشهد الحباب في قتال الفرس رثاه ابوه ذريح بن الحارث ببتين يفيضان لوعة وأسىً فقال : [3]

أبغي الحباب في الجهاد ولا ارى

لـه شبهاً مـا دام لله ساجد

---

(١) الاصابة ٥١٧/٣

(٢) المسعودي : مروج الذهب ٢٠٦/٢

(٣) الاصابة ٢٤/٣

وكان الحباب كالشهاب حياته

وكل شهاب لامحـالة خالـد

ونحن نحسّ في هذا الرثاء ضرباً من روح الاستسلام لقضاء الله وحسن تقبله ، واعتزازاً وفخراً اكيداً بما اعده الله للشهداء من حسن الاجر والثواب .

وقد استأثرت المشاهد الغريبة التي لم يألفها العرب من قبل بقسط كبير من اهتمام شعراء الفتوح، فصوروا هذه المشاهد تصويراً دقيقاً وابدوا دهشتهم واستغرابهم لتلك المناظر التي يعاينونها لاول مرة ومن هذه المشاهد الغريبة الفيلة فقد ذكرها كثير من الشعراء في اشعارهم ، فذكرها ربيعة بن مقروم ، وفخر برؤيتها فقال :[1]

ودخلت أبنيـة المـلوك عليهـم

ولشر قول المـرء مـا لم يفعل

وشهدت معركة الفيول وحولهـا

ابنـاء فارس بيضها كالاعبل[2]

متسربلي حلق الحديد كأنهم

جـرب مقارفـة عنيـة مهمل[3]

وكما وصف الشعراء الفيلة اتوا على ذكر الحشرات التي كانت غريبة فآذتهم وآذت دوابهم فقال احدهم يشكو من الذباب الذي آذى ناقته :[4]

---

(١) الاغاني ١٩/٩٣ .

(٢) البيض : الخوذ . الأعبل : حجر ابيض

(٣) جرب : ابل جرباء . مقارفـة : من القـراف وهو داء يقتل البعير . العنية : طلاء للجرب ، واراد الابل الجربى . المهمل : الذي يهمل الابل في المرعى .

(٤) الطبري ٤/٢٠٥٩

لقد حبست في كـربلاء مطيتي
وفي العين حتى عاد غثاً سمينها
اذا رحلت من مبرك رجعت لـه
لعمر ابيهـا انني لا اهينهـا
ويمنعهـا من مـاء كل شريعة
رفـاق من الذبان زرق عيونهـا

وقد لفتت كنائس الروم وبيعهم ، وما حليت بـه من زخارف ونقوش انظار الشعراء فذكروها في اشعارهم كما قال حارثة بن النمر في معركة اليرموك :[1]

لله باليرموك قوم طحطحوا   أحساب عاتي الروم بالاقدام[2]
فتعطلت منهم كنائس زخرفت   بالشام ذات فسافس ورخام

ومن اشد ما كان يؤلم المسلمين ، ان يقع ابناؤهم اسرى بايدي الاعداء وطالما فزع ذوو الاسرى الى الشعر يعبرون بـه عن اساهم ومصابهم باسراهم ، فحين وصل خبر اسر ضرار بن الازور ومن معه الى المسلمين في فتوحات الشام ، صعب ذلك على المسلمين ، وبكى ابو عبيدة وخالد بن الوليد على اسرهم ، وقالا : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وبلغ ذلك اخت ضرار خولة ، فقالت : انا لله وانا اليـه راجعون يابن امي ، ليت شعري في السلاسـل اوثقوك ، ام بالحديد قيدوك ام في البيداء طرحوك ام بدمائك خضبوك وانشدت تقول :

(١) الاصابة ٣٧١/١
(٢) طحطحوا : داسوا

الا مخبر بعد التفرق يخبرنا
فمن ذا الذي يا قوم شغلكم عنا
فلو كنت ادرى انه آخر اللقا
لكنا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غراب البين هل انت مخبري
فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم
وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
الا قاتل الله النوى ما أمرّه
واقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرت الليالي الجمع كنا سوية
ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم
لمنا خفافا للمطايا وقبلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار مقيّد
تركناه في دار العدو ويممنا
فما هذه الايام الا معارة
وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
ارى القلب لا يختار في الناس غيرهم
اذا ما ذكرهم ذاكر قلبي المضنى
سلام على الاحباب في كل ساعة
وان بعدوا عنا وان مُنعوا منا[1]

(١) الواقدي : فتوح الشام ١/٢٠٠

واجتمعت النسوة العربيات ، ممن كان لهن اسير مع ضرار عند خولة ، وفيهن مزروعة بنت عملوق الحميرية ، وكانت من فصحاء زمانها ، وكان ولدها صابر بن اوس فيمن أسر مع ضرار فجعلت تندب ولدها وتقول[1] :

ايا ولدي قد زاد قلبي تلهبا
وقد احرقت مني الخدود المدامع
وقد اضرمت نار المصيبة شعلة
وقد حميت مني الحشا والأضالع
واسأل عنك الركب كي يخبرونني
بحالك كيما تستكنّ المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق
ولا منهم من قال انك راجع
فيا ولدي مذ غبت كدّرت عيشتي
فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله
ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان تك حياً صمت لله حجة
وان تكن الاخرى فما العبد صانع

وقالت خولة بنت الازور في اسر اخيها ضرار ايضاً :[2]

---

(١) المصدر السابق ٢٠١/١

(٢) فتوح الشام ٢٠٩/١

ابعد اخي يلذ الغمض عيني فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيق اعـز عليّ من عيني اليمين
فلو أني لحقت بـه قتيلاً لهان عليّ اذ هو غير هون
وكنت الى السلو أرى طريقاً وأُعلق منه بالحبل المتـين
وانّا معشـر من مات منا فليس يموت موت المستكين
واني أن يقال مضى ضرار لباكيـة بمنسجم هتـون
وقالوا كم بكاؤك قلت مهلاً اما ابكي وقد قطعوا وتيني

وحين كان يشد المجاهدون على اعدائهم لم يكن ذلك ليلهيهم عن التوجه الى الله تعالى يستمدون منه العون ويستنزلون النصر .

فهـذا خالد بن الوليـد يحمل على الـروم في فتح دمشق وهـو ينشد :(١)

لك الحمد مولاي على كل نعمة
وشكراً لما أوليت من سابغ النعم
منت علينا بعد كفر وظلمة
وانقذتنا من حندس الظلم والظلَم
واكرمتنـا بالهاشمـيّ محمـد
وكشفت عنا ما نلاقي من الغمم
فتمم اله العـرش ما قد ترومه
وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
وألقهـم ربي سـريعاً ببغيهـم
بحق نبي سيد العرب والعجم

(١) المصدر نفسه ١/٢٢

ولم يفتر لسان المجاهدين عن ذكر الله ولا قلوبهم عن الانابة اليه، فهذا ضرار بن الازور يبتدر لحرب الروم في فتح دمشق وهو ينشد ويقول :(١)

عليك ربي في الامـور المتكل
اغفر ذنوبي ان دنا مني الاجل
يا ربّ وفقني الى خير العمـل
وعني أمحُ سيدي كل الزلل
انا ضـرار الفارس القرم البطل
باغٍ على الاعداء اضحى المتصل
اقمع بسيفي الروم حتى يضمحل
مالي سواك في الامور من أمل

وقد أسهم الشعر في تحريض المؤمنين على الجهاد ومواصلة الكفاح وكان من انجع الوسائل في استنهاض الهمم والهاب جذوة الحماس في صدور المقاتلين، فانشده القادة يحرضون به جندهم على المضي في الجهاد ومواصلة الكفاح ، فعندما خرج خالد بن الوليد لقتال الـروم في موقعة اليرموك انشد محرضاً اصحابه على الخروج فقال :(٢)

هبوا جميع اخـوتي ارواحا ... نحو العـدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا ... اذا بذلنـا دونـه ارواحا
ويرزق الله لنـا صلاحـا ... في نصـرنا الغـدوّ والرواحا

(١) المصدر نفسه ١٦٠/٢ .
(٢) فتوح الشام ١١٥/١

وأنشد ضرار عندما حمل المسلمون على اعدائهم في فتوحات الشام قائلاً :[1]

ألا فاحملوا نحو اللئام الكواذب
لترووا سيوفاً من دماء الكتائب
وردوا عن الدين المعظم في الورى
وارضوا اله العرش رب المواهب
فمن كان منكم يبتغي عتق ربه
من النار يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم
ويرضى رسولاً في الورى غير كاذب

وأنشد شرحبيل بن حسنة حين حمل على الروم في فتح مصر قائلاً :[2]

ألا يا عصبة الاسلام صولوا
على الاعداء بالسيف الصقيل
اذ يقودهم حياض الموت جهراً
بلذع السمهري الرمح الطويل
وموتوا في الوغى قوماً كراما
شداداً في المعامع والنزول

وعندما عظم النزال واشتد اوار القتال بين المسلمين والروم في

(١) المصدر نفسه ١/٢٠٠
(٢) المصدر نفسه ٢/١٥٧

حروبهم لفتح الصعيد بمصر كان رفاعة بن زهير المحاربي يحرض الناس على القتال وهو ينشد ويقول :[1]

يا معشر الناس والسادات والهمم
ويا اهيل الصفايا معدن الكرم
فسددوا العزم لا تبغوا به فشلا
ومكنوا الضرب في الهامات والقمم
وخلفوا القوم في البيداء مطرحة
على الثرى خمشاً بالذل والنقم

(١) فتوح الشام ٢/١٧٤

دور الشعر في حروب الردة

الردة الرجوع عن الشيء، ومنه الردة عن الاسلام، اي الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه اذا كفر به.[1]

وورد ذكر الردة في القرآن الكريم بمعنى الرجوع عن الاسلام ايضاً في موضعين هما: (... ومن يرتدد منكم عن دينه فيمُت وهو كافرٌ فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)[2]. وقوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، اذلةٍ على المؤمنين، اعزةٍ على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم)[3].

ومن حديث الردة في التأريخ، انه لما بويع ابو بكر رضى الله عنه، وجمع الانصار في الامر الذي افترقوا فيه ارتدت القبائل العربية اما عامة واما خاصة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم، وكثرة عدوهم، وحين عزم الصديق على انفاذ جيش اسامة قال له الناس: ان هؤلاء جل المسلمين والعرب - على ما ترى - قد انتقضت

---

(١) انظر جمهرة اللغة ولسان العرب مادة (ردد).

(٢) سورة البقرة: آية ٢١٧،

(٣) سورة المائدة: آية ٥٤.

بك، فليس ينبغي ان تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال ابو بكر (رض): والذي نفسي بيده، لو ظننت ان السباع تخطفني لا نفذت جيش اسامة كما امر به رسول الله (ص) ولو لم يبق في القرى غيري لا نفذته.[1]

وارتدت سائر القبائل العربية، وقدمت رسل النبي (ص) من اليمن واليمامة وبلاد بني اسد ووفود من كان كاتبه النبي (ص)... فدفعوا كتبهم الى ابي بكر واخبروه الخبر فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل امرائكم وغيرهم بادهى مما وصفتم وأمر، وانتقاض الامور، فلم يلبثوا ان قدمت كتب امراء النبي (ص) من كل مكان بانتقاض العرب عامة او خاصة، ولم يثبت من المسلمين غير قريش وثقيف مع المدينة فلم يرتد منهم احد، اما قريش فثبتهم الله بسهيل بن عمرو العامري (رض) فانه خطب اهل مكة خطبة تشبه خطبة ابي بكر التي خطب بها يوم وفاة النبي (ص) وثبّت اهل المدينة بها، فلما جاء خبر وفاة النبي (ص) اهل مكة ارتجت، وكاد اهلها يرتدون، فقام سهيل ابن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه، ومما قاله في خطبته يا اهل مكة لا تكونوا آخر من اسلم واول من ارتد... فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه. فاجابوه ولم يرجع احد عن اسلامه.

واما ثقيف فثبّتهم الله بعثمان بن ابي العاص الثقفي فانه قام فيهم بمثل ما قام به سهيل في مكة فثبتوا... وكانت ردة العرب مختلفة فمنهم من قال: لو كان نبياً ما مات، ومنهم من قال انقضت النبوة بموت محمد (ص) فلا نطيع احداً، ومنهم من قال: نؤمن بالله ونشهد

---

(١) الطبري ٣/٢٢٥.

ان محمداً رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم اموالنا[1] ، فحارب ابو بكر المرتدين بما كان رسول الله (ص) حاربهم بالرسل ، وكان المرتدون قد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فانزلوهم ، ثم تحملوا بهم على ابي بكر ، على ان يقيموا الصلاة ، وعلى الا يؤتوا الزكاة فرفض ذلك الصديق ، ووقف موقفاً شجاعاً حازماً ، وقال قولته المشهورة : لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لقاتلتهم عليه ، - وكانت عقل الصدقة على اهل الصدقة مع الصدقة - ورد تلك الوفود ، فرجع هؤلاء الى من يلي المدينة من المرتدة ، واخبروا عشائرهم بقلة اهل المدينة ، واطمعوهم فيها ... واخذ اهل المدينة بالحضور الى المسجد . فقال لهم ابو بكر ان الارض كافرة[2] وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون أليلاً تؤتون ام نهاراً ، وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون ان نقبل منهم ونوادعهم ، وقد ابينا عليهم ونبذنا اليهم عهدهم ، فاستعدوا وأعدوا ، فما لبثوا الا ثلاثاً ، حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل ، فخرج اليهم الصديق بجيش كبير من المؤمنين من الصادقين ، وأبى الا ان يقود ذلك الجيش بنفسه ، وقد حاول المسلمون ان يثنوه عن الخروج بنفسه ، وقالوا له : ننشدك الله ياخليفة رسول الله أن تعرض نفسك ، فانك ان تُصَب لم يكن للناس نظام ، ومقامك اشد على العدو ، فابعث رجلاً فان اصيب أمرت آخر ، فابى ذلك وقال : لا والله لا افعل ولأواسينكم بنفسي ، فخرج اليهم وحاربهم حتى قضى على الجيوش

(١) دحلان : الفتوحات الاسلامية ص ٣ و ٤ .
(٢) كافرة : مظلمة .

الزاحفة نحو المدينة . ثم رجع الى المدينة فذل بها المشركون ، وحين سمعت بنو ذبيان بما حدث لأنصارهم ، وثبوا مع عبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل من وراءهم فعلهم ، وعز المسلمون بوقعة ابي بكر ، وحلف ابو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين .

ولم يكد يستجم من عاد من جيش اسامة حتى خرج الصديق ثانية الى ذي القصة[1] ، ثم عقد احد عشر لواء لمحاربة المرتدين ، وجعل لكل لواء اميراً ، ووزع الالوية توزيعاً يتناسب مع قوة القبائل المرتدة ، وامر امير كل جند باستنفار من يمرّ به من المسلمين من اهل القوة ، وكانت رغبة الصديق (رض) مرافقة الالوية الذاهبة لقتال المرتدين والاّ يعود الى المدينة ، فجعل عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما يكلمانه في الرجوع الى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه ، وقال عمر : ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة ودرأ ، فانك ان تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل على الحق . وأبو بكر يظهر المسير بنفسه ، فلما برز واستوى على الراحلة اخذ الامام علي (رض) بزمامها وقال : الى اين يا خليفة رسول الله ، أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شم سيفك ، ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع الى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام ، ولما ألحوا عليه في الرجوع ، رجع بعد أن بعث الامراء في كل ناحية لقتال اهل الردة[2] .

---

(١) موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد .

(٢) الفتوحات الاسلامية ص ٦

اما الالوية فانـــه عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ، فاذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان اقام له ، ولعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة ، وللمهاجرين أبي أميه وامره بجنود العنسي، ومعونة الابناء على قيس بن المكشوح ومن اعانه من اهل اليمـن عليهم ، ثم يمضي الى كندة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص وبعثه الى الحمقتين من مشارف الشام ، ولعمرو ابن العاص الى جماع قضاعة ووديعة والحارث ، ولحذيفة بن محصن الغلفاني وامره بأهـل دبا[1] ، ولعرفجة بن هرثمة وامره بمهـرة ، وامرهما ان يجتمعا ، وكل واحد منهما في عمـله على صاحبه ، وبعث شرحبيل بن حسنة في اثر عكرمة قال : اذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة وانت على خيلك تقاتل اهل الردة ، ولطريفة بن حاجز وأمره ببني سُليم ومن معهم من هوازن، ولسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين، ففصلت الامراء من ذي القصة ، ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده ، وقد عهد اليهم عهده ، وكتب الى من بعث اليـه من جميع المرتدة ... فنفذت الرسـل بالكتب امام الجنود ، وخرجت الامراء ومعهم العهود[2] ولم يعودوا حتى ركزوا الوية الحـق والاسلام فيما ارسلوا اليـه من ارضين واشرقت دنيا العرب والاسلام بالنور المحمدي ثانيـة ، وتوارت فلول الردة والكفر من ارض العرب الى الابد .

---

(١) دبا : قصبة عمان ، ارتد اهلها حين مات رسول الله (ص) وحين دعاهم امير الصدقات حذيفة بن محصن أبوا واسمعوه شتماً لرسول الله وأبي بكر ، فكتب حذيفـة بذلك الى ابي بكر .

(٢) الطبري ٣/٢٥١ .

وكانت لهذه الردة الرهيبة عواملها ويمكن اجمال هذه العوامل كما يأتي :

١ـ يأس القبائل من أن تكون الخلافة فيها :

برزت مشكلة الخلافة بعيد وفاة رسول الله (ص) ، فاجتمع زعماء المهاجرين والانصار في السقيفة ، وكان التنافس بين مكة والمدينة على اشده وقد كان لهؤلاء جميعاً اسباب وجيهة يتذرعون بها للوصول الى الخلافة فقد كانت للمهاجرين فضيلة القربى وسابقة الاسلام ، وللانصار فضيلة النصر والايواء ، أما القبائل الاخرى فلم يكن لها سبب من ذلك تتذرع به ، وحين بدأ التنازع بين الانصار والمهاجرين قال المهاجرون : منا الامراء ومنكم الوزراء ، وقال الانصار : بل منا أمير ومنكم أمير ، ومن هذا الحوار اتضح للقبائل العربية من غير المهاجرين والانصار ـ ان ليس لها امل في الوصول الى الخلافة .

وقد راودت فكرة السيادة بعض القبائل المرتدة فعلاً ، فحين دعا خالد بن الوليد بني حنيفة قال لهم : ما تقولون ؟ قالوا : نقول منا نبي ومنكم نبي[1] وحين فقدت تلك القبائل هذا الأمل كلياً ، وجدت لها المبرر لاعلان العصيان ، ورفض الخضوع لسلطان أبي بكر (رض) فارتدت عن الاسلام .

٢ـ ضعف الايمان :

فقد كان كثير من هؤلاء المرتدين مسلمين بالظاهر فقط ، ولم يتغلغل الايمان في اعماقهم ، وهؤلاء هم الاعراب الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً ، وأجدر أن لا يعلموا

---

(١) الطبري ١٩٧/٣

حدود ما انزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم ، ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء والله سميع عليم »[1] . وحين جيء بعيينة بن حصن ـ وهو اعرابي ـ مجموعةً يداه الى عنقه ... يقولون له : اي عدو الله أكفرت بعد ايمانك ؟ كان يقول : والله ما كنت آمنت بالله قط[2] .

٣ـ العصبية القبلية :

ليس غريباً أن تحمل العصبية القبلية بعض القبائل على النكوص عن الاسلام ، والارتداد الى الكفر ، واتباع من انتحل النبوة من قبائلهم ومشايعتهم ـ مع معرفتهم كذب هؤلاء ـ تعصباً لقبائلهم ، وكرهاً لسيادة قريش التي ظنوها قد سلبتهم حريتهم ، وسيطرت عليهم بحكم الدين ، ومن تلك العصبية ، ان رجلاً جاء الى المرتدين فقال : اين مسيلمة ؟ قالوا : مه ! رسول الله . فقال : لا ، حتى اراه ، فلما جاءه قال : انت مسيلمة ؟ قال : نعم . قال : من يأتيك ؟ قال : رحمن . قال : أفي نور أو في ظلمة؟ فقال : في ظلمة . فقال: اشهد انك كذاب ، وان محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر[3] .

وحين وصل نبأ وفاة رسول الله (ص) الى القبائل قام عيينة بن حصن من زعماء غطفان وقال فيهم : ... والله لأن نتبع نبياً من الحليفين ـ اي غطفان وأسد ـ احب الينا من ان نتبع نبياً من قريش[4] .

---

(١) التوبة : آية ٩٨ ـ ٩٩

(٢) الطبري ٢٦٠/٣

(٣) الطبري ٢٨٦/٣

(٤) المصدر نفسه ٢٥٧/٣

ولما اجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدت ، قالوا : نردّ الملك في آل المنذر ، فملّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر[1] .

٤ - العامل الاقتصادي :

ارتدّ قوم عن الاسلام ولم يخرجوا على عقيدة التوحيد فامتنعوا عن اداء الزكاة ، وفي زعمهم انها اتاوة كانوا يؤدونها لرسول الله (ص) ما دام حياً ، ولم يجدوا مبرراً للاستمرار في ادائها بعد وفاته ، وعارض عمر ابا بكر في حرب هؤلاء محتجاً بقول الرسول (ص) : أمرتُ أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله . ولكن ابا بكر رفض هذا الرأي ، وعزم على ان يأخذ هؤلاء المرتدين في غير هوادة حيث قال : والله لأُقاتلن مَنْ فرّق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لقاتلتهم على منعه .[2] فقال عمر : فوالله ما هو الا ان قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت انه الحق .[3]

ومما ورد في ردة اهل حضرموت انهم حين اسلموا امر رسول الله (ص) بما يوضع من الصدقات ان يوضع صدقة بعض حضرموت في كندة وتوضع صدقة كندة في بعض حضرموت ، وبعض حضرموت

---

(١) المصدر نفسه ٣٠٣/٣

(٢) قال ابن الاثير في النهاية ١١٨/٣ : وفي حديث ابي بكر : لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص) لقاتلتهم عليه . اراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة ، لان على صاحبها التسليم ، وانما يقع القبض بالرباط . وقيل : ارادها يساوي عقالا من حقوق الصدقة . وقيل اذا اخذ المصدق اعيان الابل . قيل : اخذ عقالا ... وقال الخطابي : انما يضرب المثل بالاقل لا بالاكثر .

(٣) صحيح البخاري ١٠٥/٢ .

في السكون ، والسكون في بعض حضرموت ، فقال نفر من بني وليعة : يا رسول الله ، السنا باصحاب ابل ، فان رأيت ان يبعثوا الينا بذلك على ظهر ، فقال : ان رأيتم . قالوا : فانا ننظر ، فان لم يكن لهم ظهر فعلنا ، فلما توفي الرسول (ص) وجاء ذلك الأبان ، دعا زياد الناس الى ذلك ، فحضروه ، فقالت بنو وليعة : ابلغونا كما وعدتم رسول الله (ص) فقالوا : ان لكم ظهراً ، فهلموا فاحتملوا ، ولاحوهم حتى لاحوا زياداً [1] وقالوا له : انت معهم علينا ، فابى الحضرميون ولج الكنديون ، فرجعوا الى دارهم مرتدين .[2]

وقد ساهم الشعر في معارك الردة ، وواكب احداثها منذ اندلاعها حتى حقق الله النصر على ايدي المسلمين في آخر معركة منها .

موضوعات شعر الردة :

لقد تطرق شعر الردة الى موضوعات عديدة يمكن اجمالها كالآتي :

الفخر :

وهو اكثر الموضوعات التي بين أيدينا تردداً واتساعاً ، ولم يقتصر هذا الفخر على لون واحد فقط ، فقد فخر الشعراء بثباتهم على الاسلام وعدم انسياقهم وراء المرتدين ، ومن أمثلة هذا اللون قول الزبرقان ابن بدر [3] يفخر باداء صدقات قومه الى الخليفة :[4]

---

(١) هو زياد بن لبيد البياضي عامل حضرموت .

(٢) الطبري ٣/٣٣١ .

(٣) هو الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس السعدي التيمي ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه ، وكان احد ساداتهم فاسلموا ، وذلك في سنة تسع فولاه الرسول (ص) صدقات قومه وأقره ابو بكر وعمر على ذلك .

(٤) الطبري ٣/٣٠٥ .

وَفيتُ بأذواد الرسول وقد أبتْ

سعاةٌ فلم يردد بعيراً مجيُرها[1]

معاً ومنعناها من الناس كلهم

ترامى الاعادي عندنا ما يضيرها

فأدّيتها كي لا أخون بذمتي

محانيق لم تدرس لركب ظهورها[2]

أردت بها التقوى ومجد حديثها

إذا عصبة سامى قبيلي فخورها

وقول عثعث بن عمرو الكندي يخاطب الاشعث الكندي :[3]

إن تمسِ كندة ناكثين عهودهم

فالله يعلم أنني لم أنكث

لا تبغ الا الدين ديناً واحداً

خذها ولا تردُد نصيحة عثعث

وهذا عمير بن ضابىء اليشكري ، كان سيداً من سادات اهل اليمامة ، وحين أرتدوا كتم اسلامه ، ثم قال شعراً يعنّفهم فيما فعلوه ، ويفخر بان دينه دين النبي محمد (ص) وان في قومه رجالاً على الهدى مثله قال :[4]

ما سعاد الفؤاد بنت أثال طال ليلي لفتنة الرجال

---

(١) اذواد : قطعان الابل ، مفردها ذود : وهو القطيع من الابل بين الثلاث الى العشر . مجيرها : الذي اعطى ذمة يكون بها جاره .

(٢) محانيق : وهي الجمال السمينة . يقال أحنق البعير يعني صمن فجاء بشحم كثير

(٣) الاصابة ٣/١٠٤

(٤) المصدر السابق ٣/١٢١

فتن القـوم بالشهادة والله عزيز ذو قـوة ومحـال
إن ديني دين النبي وفي القو م رجال على الهدى أمثالي
إن تكن منيتي على فطرة الله حنيفـاً فانـني لا أبالي

فطلبه قومه المرتدون ، فلحق بالمدينة ثم أقبل مع خالد فقاتلهم .

وثمة لون آخـر من الفخر يختلف عن هذا الفخر ، وهو التغني بالانتصارات التي حققها المسلمون ، والاعتزاز بالوقوف في وجـه المرتدين ومحاربتهم ، من ذلك قول زياد بن حنظلة التميمي[١] في ويوم الابرق :[٢]

ويـوم بالابارق قـد شهدنا على ذبيـان يلتهب التهابا
أتيناهـم بـداهية نسوف مع الصديق اذ ترك العتابا[٣]

وقول بشر بن قطبة الفقعسي[٤] في معركة اليمامة :[٥]

اروح واغدو في كتيبة خالد
على شطبة قد ضمها الغزو خيفق[٦]
اذا قال سيف الله كروا عليهم
كررنا ولم نجعل وصاة المعوق[٧]

---

(١) هو زياد بن حنظلة التميمي بعثه رسول الله (ص) الى قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر ليتعاونوا على مسيلمة ، وقد عمل لرسول الله (ص) وشهد جميع المشاهد معه .

(٢) الطبري ٣/٢٤٥

(٣) داهية نسوف : مصيبة شاقة .

(٤) هو بشر بن الحارث بن سنان الاسدي الفقعسي ، وقطبة اسم امه . شاعر مخضرم ، شهد حرب اليمامة مع المسلمين .

(٥) الاصابة ١/١٧٦

(٦) شطبة : الطويلة ، الحسنة الخلق ويعني بها هنا الفرس .

(٧) المعوق : المثبط .

اقول لنفسي بعد مارقّ بالها

رويـــدك لمّـــا تشـــقي

وكوني مع الراعي وصاة محمد

وان كذبت نفس المنافق فاصدقِ

وقد يشيد الشاعر ببلاء قومه، وقوة بأسهم في الحروب، وانهم ملاذ غيرهم في ساحات الوغى، قال يزيد بن الحارث الشيباني:[1] في حرب اليمامة:[2]

تدور رحانا حول راية عامر ... يرانا بالأبطـح المتلاحـق

يلوذُ بنا رُكنا معد ويتقي ... بنا غمراتِ الموت أهل المشارق

وقد يعمد الشاعر الى وصف بلائه ومصابه بفقد أعضائه في تلك المعارك ليخلص من ذلك الى الفخر بقوة عقيدته وثباته على دينه من ذلك قول سليك العقيلي[3] في اليمامة وقد قطعت كفه:[4]

كيف تراني وأخي عطاردا

نـذود من حنيفة المـذاودا

أنشد كفاً ذهبت وساعدا

انشدهـا ولا أراني واجـدا

وتغنى الشعراء بما حقق الله على ايديهم من نصر فقال عفيف بن

(١) هو يزيد بن الحارث الشيباني شهد النبي صلى الله عليه وسلم واشترك مع خالد في حرب اليمامة، وقضى بقية ايامه في البصرة وقد ذكره المرزباني في معجمه.

(٢) الاصابة ٣/٦٣٤ هكذا ورد.

(٣) هو سليك العقيلي الاقطع، ادرك النبي (ص) وشهد اليمامة فقطعت كفه في قتال اهل الردة فسمي الاقطع.

(٤) الاصابة ٢/١١٣.

المنذر يذكر نصر الله المسلمين في البحر على المرتدين من اهل البحرين وفي هذا الفخر اعتزاز بتأييد الله للمسلمين ، وتذليل مخلوقاته لهم :

ألم ترَ أن الله ذلّل بحره
وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا الذي شقّ البحار فجاءنا
بأعجب من خلق البحار الاوائل[1]

وقد يصور الشاعر ما لحق بالاعداء من الهزيمة وما حل بهم من عار الفرار ليؤكد شجاعة المسلمين وقوة بأسهم ، قال عثمان بن ربيعة[2] يفتخر بهرب من تجمع من الازد وبجيلة وخثعم في شنوءة من ارض اليمن :[3]

فضضنا جمعهم والنقعُ كابٍ
وقد تُعدى على الغدر الفتوق[4]
وأبرقَ بارقٌ لما التقينا
فعادت خُلّبا تلك البروق[5]

وقال المهاجر بن ابي أمية[6] في يوم محجر الزرقان الذي فرت فيه

---

(١) الطبري ٣/٣١١ .
(٢) هو عثمان بن ربيعة الثقفي بعثه عثمان بن ابي العاص عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى من تجمع من الازد فحاربهم فهزمهم
(٣) الطبري ٣/٣٢٠
(٤) النقع : الغبار وكاب : عال مرتفع .
(٥) خلب : البرق الخلب ، السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف ويتقشع .
(٦) المهاجر بن ابى امية بن المغيرة القرشي له فى قتال الردة باليمن اثر كبير ، وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت .

كندة وقتلت ، وخرجوا هراباً ملتجئين الى النجير وقد رمّوه وحصنوه :[1]

كنا بزرقان اذ يشردكم | بحر يزجي في موجه الحطبا
نحن قتلنا بمحجركم | حتى ركبتم من خوفنا السببا
الى حصارٍ يكون اهونه | سبيٌ الذراري وسوقها خببا

وقد يعمد الشاعر الى تعداد من قتل من المرتدين ، ويفخر بذكر رؤوسهم قال شن الجرشي[2] يفخر بقتل الاسود العنسي ويعتز بمشاركته في ذلك :[3]

الم تراني ووحشيّهم[4] | قتلنا مسيلمة المفتتن
فلست بصاحبه دونه | وليس بصاحبه دون شن

وهذا يزيد بن ذي الآخرة[5] . يفخر بقتل الاسود العنسي ويعتز بتنفيذ الامر في ذلك فيقول :[6]

لعمرك إنا يوم عبد ان عصبة | يمانية الأحساب غير لئام
غداة جدعنا في عنس بضربة | أبان بها المكشوح رأس همام

ومن هذا الفخر ايضا قول عفيف بن المنذر :[7]

---

(١) الطبري ٣/ ٣٣٥ .
(٢) هو شن الجرشي حليف الانصار .
(٣) الاصابة ٢/ ١٥٤ .
(٤) هو وحشي بن حرب الحبشي ، قاتل حمزة (رض) ، وهو القائل : قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام .
(٥) هو يزيد بن ذي الآخرة اليامي ، ممن قام بقتل الاسود العنسي بأمر النبي (ص)
(٦) الاصابة ٣/ ٦٣٤ .
(٧) الطبري ٣/ ٢٦٩ .

الم يأتيك والانباء تسري بما لاقت سراة بني تميم
تداعى من سـراتهم رجال وكانوا في الذوائب والعميم
وألجو هم وكان لهم جناب الى احياء خالية وخيم

ومن الموضوعات التي ألمّ بهـا شعر الردة انكار الشعراء على أقوامهم ردتهم ، وتحريضهم اياهـم على الثبات ، وكانت هذه الاشعار نصائح يزجيها المؤمنون الى اقوامهم ، وغالباً ما ترد في خلال خطبة يلقيها الشاعر في قومه من ذلك قول خويلد بن ربيعة[1] لقومه بني عامر يدعوهم الى الثبات على الاسلام :[2]

أراكم اناساً مجمعين على الكفر
وانتم غداً نهبٌ لخيل أبي بكر
بني عامر إن تأمنوا اليوم خالداً
يصبكم غداً منه بقارعة الدهر

ووقف هؤلاء الشعراء موقف الناصح الأمين لأقوامهم ، ووعظوهم مذكّرين اياهم بآيات الله وأحكامه، فقال الحارث بن مرة النفيلي[3] من موعظة وعظ بها بني عامر :[4]

بنو عامر إن تنصروا الله تُنصروا
وإن تنصبوا لله والدين تخذلوا

(١) هو خويلد بن ربيعة النفيلي ، كنيته ابو حرب وكان فارس بني عامر .

(٢) الاصابة ٤٥٧/١ .

(٣) الحارث بن مرة بن دودان النفيلي ، ادرك النبي (ص) وحين هم بنو عامر بالردة وعظهم ونصحهم .

(٤) الاصابة ٣٧٠/١ .

وإن تهزموا لا ينجكم عنه مهرب

وإن تثبتوا للقـوم والله تُقتلوا

وحين همّت همدان بالردة قام فيهم عبدالله بن مالك الارحبي - وكان صحابياً له هجرة وفضل في دينه - فاجتمعت اليه همدان فقال: يامعشر همدان انكم لم تعبدوا محمداً إنما عبدتم رب محمد، وهو الحـي الذي لا يموت، غير انكم أطعتم رسوله بطاعة الله واعلموا انه استنقذكم من النار، ولم يكن الله ليجمع أصحابه على ضلالة ثم أنشدهم قصيدة طويلة منها :

لعمري لئن مات النـبي محمـد

لما مات يا ابن القيل ربّ محمـد

دعـاه اليـه ربّـه فأجابـه

فيا خير غوريّ ويا خير منجد[1]

وقام عبدالحارث بن أنس الحارثي[2] في أهل نجران، إذ بلغهـم موت النبي (ص) وهمّوا بالردة، وكان سيداً فيهم، فقـال : يا أهل نجران، من أمركم بالثبات على هذا الدين فقد نصحكم، ومن امركم أن تزيغوا فقد غشكم، إلى ان قال : وانما كان نبي الله عارية بين أظهركم فاتى عليه أجله وبقي الكتاب الذي جاء به، فأمره أمر، ونهيه نهي إلى يوم القيامة وأنشدهم أبياتاً منها :

ونحن بحمد الله هامـة مذحج

بنو الحارث الخير الذين هم مدر

---

(١) المصدر السابق ٢/٣٥٧

(٢) هو عبدالحارث بن انس بن الديان، كان ممن ثبت اهل نجران على الاسلام في الردة وقيل ان الرسول (ص) غير اسمه فسماه عبدالرحمن .

ونحن على دين النبيّ نرى الذي
نهانا حراماً منه والأمر ما أمر

فأجابه أهل نجـران الى ما طلب، وقالوا له: كنت خيرَ وافدٍ أنت وقومك من بني الحارث[1].

وقام فيهم عُمير بن الحصين النجراني[2] خطيباً في قومه فقال[3]: انكم لان تزدادوا من هذا الامر أحوج إلى ان تنقصوه فان الافتكار الشك بعد اليقين ودينكم اليوم دينكم بالامس، فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضا الله ونوره ثم أنشدهم:

أهـل نجـران أمسكوا ... وكونوا يـداً على الكفّار
لا تكونوا بعد اليقين الى الشـك وبعد الرضا الى الإنكار
واستقيموا على الطريقة فيه ... وكونوا كهيئة الأنصـار

وهناك مجموعة مـن الشعراء برزوا من بين أقوامهم الذين همّوا بالردة معلنين تمسكهم بدينهم، وكانوا يشجّعون ولاتهم وقادتهم على الثبات والاستمرار في تولي امور القوم، حتى يحقق اللهُ بهم النصر، ويثبّت أقدام المؤمنين، فحين توفي الرسول (ص) إستأذن أمير الأزد عمرو بن العاص في الرجوع الى المدينة خشية ارتدادهم، فأجابه شاعر الازد مجفية بن النعمان العتكي.

يا عمرو إن كان النبيُّ محمـد قد
أتى الأمر الـذي لا يُدفع

(١) الاصابة ٢/٣٨٠

(٢) عمير بن الحصين من اهل نجران، كان ممن ثبت اهل نجران على الاسلام لما ارتدت العرب.

(٣) الاصابة ٣/١٢٠.

فقلوبنا قرحى وماء دموعنا

جارٍ وأعناق البريـة خُضَّع

يا عمرو إن حياته كوفاته

فينا وننظر ما يقول ونسمع

فأقم فانك لا تخاف رجوعنا

يا عمرو ذاك هو الأعز الأمنع[1]

وكان الشعراء المؤمنون يتألمون لما يرون من ردة اقوامهم، فيسجلون اسفهم لنكوص قبائلهم، ويعلنون سخطهم وحسرتهم لذلك، فهذا زفر بن يزيد الاسدي[2]، يتلهف ويتأسف على ضلال قومه فيقول :[3]

لهفي على أسد أضل سبيلهم

بعد النبي طليحة الكذّاب

وساءت ردة بني اسد ضرار بن الازور[4] فقال :[5]

بني أسد قد ساءني ما صنعتم

وليس لقوم حاربوا الله محرم

وأعلم علم الحق ان قد غويتم

بني اسد فاستأخروا او تقدموا

---

(١) الاصابة ٤/٣٤٥

(٢) هو زفر بن يزيد، وقيل ابن زيد بن حذيفة، كان سيد بني أسد في وقته وثبت على اسلامه حين ظهر طليحة وادعى النبوة .

(٣) الاصابة ١/٥٥٦

(٤) هو ضرار بن الازور واسم الازور مالك بن اوس، استشهد باليمامة وقيل باجنادين وقيل نزل حران ومات بها، ويقال شهد اليرموك، وقيل أنه الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد .

(٥) ابن عساكر ١٠٢/٧

وقد تبرأ بعض الشعراء ممن ارتدّ من اقوامهم ، ومن تنبأ منهم ، فكتب امرؤ القيس بن عابس الكندي[1] الى ابي بكر (رض) يتبرأ مما عمل قومه فقال :[2]

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً ... وبلّغها جميع المسلمينا
فليس مجاوراً بيتي بيوتاً ... بما قال النبي مُكذبينا

وكتب صهبان بن شمر الحنفي اليمامي اليه ايضا ، معتذراً ومتبرئاً مما انتحل مسيلمة فقال :[3]

اني بريء الى الصدّيق معتذرُ
مما مسيلمة الكذاب ينتحل

ففرح المسلمون بكتابه .

وحين ارتد بنو يشكر ثبت مرة بن صابر اليشكري[4] على اسلامه وخاطب مسيلمة بخطاب طويل ينكر عليه دعواه النبوة ، وخاطب اهل اليمامة بخطاب بليغ ، فردوه عليه ففارقهم وكتب الى خالد بن الوليد يتبرأ من هؤلاء المرتدين وزعيمهم مسيلمة قال :

يا ابن الوليد بن المغيرة انني
ابرأ اليك من الجحود الكافر

---

(١) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكندي ، ذكر المرزباني انه كان ممن حضر حصار حصن النجير ، فلما اخرج المرتدون ليقتلوا وثب على عمه ليقتله فقال عمه ويحك اتقتلني وانا عمك قال : انت عمي والله ربي فقتله .

(٢) الاصابة ١/٧٧

(٣) الاصابة ٢/١٨٨ .

(٤) هو مرة بن صابر ، وقيل ابن صابي ، كان ابوه سيد بني يشكر ، وعظ مسيلمة بكلام حسن فصيح وشعر جيد .

اعني مسيلمة الكذوب فانه
والله اشأم صحبة من ناشر

في ابيات ثم لحق بخالد فكان معه[1].

وقد أوضح الشعراء المسلمون ما جرّ المرتدون على أقوامهم من خزي وما ألحقوا بهم من عار ، فهذا الضحاك بن سفيان بن الحارث السلمي صاحب راية سُليم ورأسهم ، قال لهم حين تبعوا الفجاءة السلمي : يابني سليم بئس مافعلتم . وبالغ في وعظه فشتموه ، فارتحل عنهم فندموا وسألوه ان يقيم فأبى ، وقال : ليس بيني وبينكم هوادة وأنشدهم شعراً يوضح لهم ما جرّ عليهم زعيمهم من خزي وعار :

لقد جر الفجاءة على سُليم مخازي عارها في الدهر باق[2]

وهذا عبدالله بن خنيس العامري ، كان ممن ثبت على اسلامه عندما ارتد قومه يوضح ما حل بقومه حين اتبعوا قرة بن هبيرة اليشكري وكان زعيمهم في ايام الردة :[3]

لعمري لئن أجمعت عامر على كفرها بعد اسلامها
ومنّاهم قرة الترهات لقد رزئت عظم أحلامها
أضاع الصلاة بنو عامر وأهلكها منع أنعامها
وفي منعها الحق سفك الدماء ووصم النساء لايتامها

وأعلن الشعراء المسلمون سخريتهم ممن تنبأ ، وحاولوا ان يجعلوا منهم اضحوكة لينفضّ عنهم الاتباع ويبتعد الانصار ، ومن ذلك

(١) الاصابة ٣/٤٦٦
(٢) المصدر نفسه ٣/١٩٨
(٣) الاصابة ٣/٨٩

قول ثمامة بن أثال :[1]

دعانا الى ترك الديانة والهـدى
مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجع
فيا عجباً من معشـر قد تتابعوا
له في سبيل الغي والغي أشنع[2]

وكان زياد بن عبدالله الغطفاني[3] ممن فارق عيينة بن حصن لما بايع طليحة في الردة ، ولحق بخالد فقال :[4]

أبلغ عيينة ان عرضت لداره   قولا يشير به الشفيق الناصح
أعلمت ان طليحة بن خويلد   كلباً بأكناف البزاخة نابح[5]
كيف البقاء إذا أتاكم خالد   ومهاجرون مسوّمون سوابح[6]

وقال عطارد بن حاجب بن زرارة في سجاح :[7]

أضحت نبيتنا انثى نطيف بها
وأصبحت انبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله رب النـاس كلهم
على سجاح ومن بالكفر أغرانا

---

(١) هو ثمامة بن اثال بن النعمان الحنفي . ابو امامة اليمامي ، ثبت على اسلامه لما ارتد اهل اليمامة وارتحل هو ومن اطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه مرتدي البحرين .

(٢) الاستيعاب ٢٠٨/١

(٣) هو زياد بن عبدالله الغطفاني

(٤) الاصابة ٥٦٣/١

(٥) البزاخة : اسم موضع .

(٦) مسومون : معلمون . سوابح : خيل

(٧) الاصابة ٤٧٧/٢ .

وهذا شاعر آخر اسمه مكنف بن الشاعر زيد الخيل كان ممن ثبت على الاسلام وقاتل بني أسد لما ارتدوا مع طليحة يقول :[1]

ضلوا وغرّهم طليحة بالمنى كذباً وداعي ربنا لا يكذب

وكان شاعر آخر اسمه يزيد بن حذيفة الاسدي ممن ثبت على اسلامه حين ارتد قومه ، فالتحق بخالد وارسل الى قومه بني أسد بأبيات معلناً استهزاءه وسخريته من طليحة :[2]

بني أسد ما في طليحة خصلة
يطاع بها يا قوم في حي فقعس

وحين ارتدت بنو حنيفة خطب ثمامة بن اثال الحنفي فيهم ثم أنشدهم شعراً يسخر فيه من مسليمة قال :

مسيلمة ارجع ولا تمحك فانك في الامر لم تُشرك[3]
كذبت على الله في وحيه هواك هوى الاحمق الانوك[4]
ومنّاك قومك ان يمنعو ك وأن يأتهم خالد يدرك
فمالك من مصعد في السماء وما لك في الارض من مسلك

فلما قال هذا أطاعه منهم ثلاثة آلاف فانحازوا الى المسلمين ففت ذلك في اعضاد بني حنيفة[5] .

وقال أصم التيمي ساخراً من سجاح ايضاً :[6]

---

(١) المصدر السابق ٤٣٦/٣ .
(٢) الاصابة ٩٣٤/٣
(٣) لا تمحك : لا تلجج في المنازعة
(٤) الانوك : الاحمق ، والعاجز الجاهل
(٥) الف با ٢٥٥/٢
(٦) الطبري : ٢٧١/٣

أتتنا أخت تغلب فاستهدت جلائب من سراة بني أبينا
وأرست دعوة فينا سفاهاً وكانت من عمائر آخرينا
فما كنا لنرزيهم زِبالاً وما كانت لتُسلم اذ أتينا[1]
ألا سفهت حلومكم وضلت عشية تحشدون لها ثبينا[2]

وأنذر هؤلاء الشعراء اقوامهم بما سينزل بهم ان هم ارتدوا وحذروهم مما سيحل بدارهم من دمار وهلاك، فحين أجمع بنو نفيل على منع الزكاة، والمحاربة دون ذلك قام عبدالله بن عتبة - وكان شريفاً فيهم - فخطبهم وذكّرهم، ولكنهم سبّوه، وخالفوه، ومما قال محذراً :[3]

بني عامر لستم بأخوف شوكة
ولا جمرة في الناس من غطفان
وليس لكم بالبحرين حابس طاقة
وليس لكم بالمسلمين يدان

وكان عقيل بن مالك الحميري[4] جاراً لبني حنيفة فثبتهم على الاسلام أيام الردة فخالفوه، فقال منذراً اياهم :[5]

وقال رجال قد عدا القوم قدرهم
عقيل ولو انصفت لم اعد كم قدري

---

(١) زبالا : الزبال، ما تحمله النملة بفيها، ويقال ما اصاب منه زبالا اي شيئاً.
(٢) ثبينا : ما تثنيه من طرف ثوبك فتجعل فيه شيئاً تحمله.
(٣) الاصابة ٣/٩٢
(٤) هو عقيل بن مالك الحميرى من ابناء الملوك كان جاراً لبني حنيفة وكان مسلماً مجتهداً فاوصاهم بالاقامة على الاسلام حين ارادوا الردة فابوا عليه.
(٥) الاصابة ٣/١٠٩

فلا تأمنوا الصديق والله غالب

على أمره ان العتيق ابو بكر

وكان لمعاذ بن يزيد الصعق العامري[1] في قومه شأن، فجمعهم حين عزموا على الردة ومما خطبهم قوله محذراً ومنذراً:[2]

يا معشر هوازن انكم عثرتم في الاسلام خمس عثرات، والله لترجعن الى ما خرجتم منه، أو لتؤخذن اخذة اهل بدر ثم انشدهم:

بني عامر اين اين الفرار ... من الله والله لا يغلب؟
منعتم فرائض أموالكم ... وترك صلاتكم اعجب
وكذّبتم الحق فيما أتى ... وان المكذب للاكذب

ومن الالوان الشعرية التي عرفت في شعر الردة ما قاله الشعراء حين ثابوا الى رشدهم وعادوا الى الاسلام نادمين مستغفرين، فقداعلنوا ذلك في اشعارهم، فحين ندم وكيع على ردته، ورجع الى الاسلام قال في ذلك:[3]

فلا تحسبا اني رجعت وانني

منعتُ وقد تُحنى اليّ الأصابع

ولكنني حاميت عن جل مالك

ولاحظت حتى اكحلتني الأخادع

فلما اتانا خالد بلوائه

تخطت اليه بالبطاح الودائع[4]

---

(١) هو معاذ بن يزيد قام خطيباً في بني عامر يحثهم على التمسك بالاسلام في الردة.

(٢) الاصابة ٣/٤٧٣ (٣) الطبري ٣/٢٧٦

(٤) البطاح: ماء في ديار بني اسد، وهناك كانت الحرب بين المسلمين والمرتدين

وسجّل جندب بن سلمى[1] من بني مدلج ندمه في شعره بعد أن تزعّم قومه في الردة فقال :[2]

ندمت وأيقنت الغداة بأنـني
أتيت التي يبقى على المرء عارها
شهدت بأنّ الله لا شيء غيره
بني مدلج فالله ربي وجارهـا

وقد تعرض من ارتد لهجاء الشعراء المسلمين ، فنعتوهم بالخزي ووصموهم بالكفر ، قال طاهر بن ابي هالة التميمي[3] يهجو المرتدين :[4]

فلم ترعيني مثل يوم رأيتـه
بجنب المخازي في جموع الاخابث
فوالله لو لا الله لاربّ غيره
لما فُضّ بالاجزاع جمع العثاعث

وقال وهب وهو من بني ضبيعة بن عجل يعير من ارتد من بكر وائل :[5]

الم ترَ ان الله يسبك خلقـه
فيخبث أقوام ويصفو معشر

---

(١) هو جندب بن سلمى المدلجي أحد بني سوق ، كان ممن ارتد في زمـن ابي بكر فبعث اليه عتاب بن اسيد عامل مكة اخاه خالداً فالتقى به في الاابارق فهزمـه ثم ندم واسلم.

(٢) الطبري ٣/٣١٩

(٣) هو طاهر بن ابي هالة ، يكنى ابا موسى ، ربيب النبي (ص)

(٤) الطبري : ٣/٣٢٠

(٥) الطبري ٣/٣١٠

لحى الله أقواماً أصيبوا بخنعة

أصابهم زيـد الضلال ومعمر

ويُعد الرثاء من الاغراض التي تناولها شعراء حروب الردة ، فعندما استشهد عبدالله بن يزيد بن قيس الغاضري رثاه مرباع الكندي معدداً مناقبه قال :[1]

أعبدالله قـد أعذرت فينا ولكنّا هزئنـا بالنصيح
وقد اسمعتنا بدعاء داعٍ الى العلياء والامر الصحيح

اما شعر المرتدين فيظهر انه قد طمس أغلبه ، ولم يصل الينا منه الا أقله ، ومع ذلك فهذه القلة تعطينا فكرة عن هذا الشعر ، فقد تبدو فيها الاغراض التي تناولها اولئك الشعراء ، ومن هذه الاغراض محاولة اولئك الشعراء ايجاد المبررات المصطنعة لردة اقوامهم كما فعل عبدالله الليثي حين قال :[2]

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

فيا لعباد الله ما لابي بكر

أيورثها بكراً اذا مات بعده

وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلاّ رددتم وفدنا بزمانـه

وهلا خشيتم حس راغية البكر[3]

---

(١) الاصابة ٣/٩٦

(٢) الطبري ٣/٩٦

(٣) راغية البكر : الراغية : الناقة ، يقال كانت عليهم كراغية البكر اى شؤماً عليهم كرغاء سقب ناقة صالح

وان التي سألوكم فمنعتم

لكالتمر او أحلى الي من التمر

وارتد الجفشيش بن النعمان الكندي[1] فقال مسبباً ردته :[2]

أطعنا رسول الله اذ كان صادقاً

فيا عجباً ما بال ملك ابي بكر

وفخر هؤلاء المرتدون بتقتيل المسلمين ، وبالانتصارات التي حققوها ، من ذلك قول سليم بن عبدالعزيز السلمي[3] ، وهو من فتاك العرب :[4]

الا ايها المدلي بكثرة قومه

وحظك منهم ان تذل وتقهرا

سل الناس عنا كل يوم كريهة

اذا ما التقينا دارعين وحسرا

ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه

ونطعن في الهيجا اذا الموت اقفرا[5]

وعارضة شهباء تخطر بالقنا

ترى البُلق في حافاتها والسنورا[6]

---

(١) هو الجفشيش بن النعمان، واسمه جرير بن معدان الكندى ويقال الحضرمي وروي الجفشيش بالجيم وبالحاء وبالخاء

(٢) الاصابة ١/٢٤٢ وانشده المبرد فى الكامل للحطيئة

(٣) هو سليم بن عبدالعزيز بن عبيد السلمي ابو شجرة امه الخنساء الشاعر ، اسلم مع امه ثم ارتد في زمن ابى بكر وقاتل المسلمين

(٤) الطبرى ٣/٢٦٦

(٥) ذا الطماح : يقال للفرس اذا رفع يديه قد طمح ، وذا الطماح بهذا المعنى

(٦) البلق: جمع أبلق وهو الفرس فيه بياض واسود السنور : كل سلاح من حديد.

فروّيت رمحي من كتيبة خالد

اني لارجو بعدها أن اعمّرا

وقال طليحة الاسدي مفتخراً بقتل ثابت بن اقرم القضاعي :[1]

عشية غادرت ابن اقرم ثاويا

وعكاشة التيمي عند مجالي

اقمت لهم صدر الحمالة انها

معوّدة قول الكماة نزال

فيوماً تراها في الجلال مصونة

ويوماً تراها في ظلال عوالى

فان يك انياب اخذت فانكم

ولن تذهبوا فرغاً بقتل حبال

ورثى هؤلاء الشعراء من قُتل منهم ، واظهروا ألمهم وحزنهم عليهم فقال الاشعث بن مئناس السكوني يبكي اهل النجير[2] من المرتدين :[3]

لعمري وما عمري عليّ بهيّن

لقد كنت بالقتلى لحق ضنين

فلا غرو الا يوم اقرع بينهم

وما الدهر عندي بعدهم بأمين

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٠٥ .

(٢) النجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع لجأ اليه اهل الردة مع الاشعث ابن قيس في ايام ابي بكر فحاصره زياد بن لبيد البياضي حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الاشعث في سنة ١٢ .

(٣) الطبري ٢٤٦/٢ .

فليت جنوب الناس تحت جنوبهم

ولم تمشِ أنثى بعدهم لجنين

وكنت كذات البو ريعت فأقبلت

على بوّها إذ طرّبت بحنين[1]

ولعل قتيلاً - في حروب الردة - لم ينل من الشهرة والاهتمام ما نال مالك بن نويرة، فقد خلده اخوه متمم حين بكاه باشعار تفيض باللوعة والحزن، وتتفجر عاطفة وأسى، فاقترن اسم كل منهما بالآخر[2].

وأورد الكتّاب والرواة العديد من تلك المراثي في مصنفاتهم جاء في كتاب الاشباه والنظائر: ومراثي متمم في مالك كثيرة، وانما أتينا منها باليسير اجتناباً للتطويل[3].

وقال ابن سلام: وبكى متمم مالكاً فأكثر وأجاد، والمقدمة منهن قوله:[4]

لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ

ولا جزعٍ مما أصاب وأوجعا

ومن اروع مراثي متمم لاخيه مالك قوله:[5]

(١) البو: ولد الناقة. طربت: اهتزت من فرح أو حزن.

(٢) انظر تفصيل مقتله ورثاء متمم له في كتاب - مالك ومتمم إبنا نويرة - تأليف ابتسام الصفار.

(٣) الخالديان ٢/٣٤٦.

(٤) طبقات الشعراء ص ١٧٠.

(٥) شرح شواهد المغني ٢/٥٦٩.

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معا

وقيل في بيته المشهور :

لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك

أنه أرثى بيت قالته العرب، وانه ابلغ ماقيل في تعظيم ميّت[1] .
وقد اشرنا الى اعجاب عمر بن الخطاب (رض) بهذه المراثي في الرثا.

الخصائص الفنية :

اما الخصائص الفنية لاشعار معارك الردة فهي :

١ ـ البعد عن التكلف والتصنع :

يغلب على الشعر الذي بين ايدينا مما قيل في حروب الردة البعد عن الصقل والتهذيب والمراجعة ،ثم خلوه من التكلف، فهو بمجموعه استجابات نفسية لما كان يجيش في صدور الشعراء، ويجول في افكارهم، وهو ترجمة صادقة لفكرة وعقيدة صاحبه ، ولم يكن ذلك غريبا على شعراء الاسلام ، فقد تغلغلت السماحة التي نادى بها دينهم في كل جانب من جوانب حياتهم وتفكيرهم ، فابتعدوا عن التقعير والتشدق ، ومالوا الى بساطة القول وسلامة التركيب . ولم يتهيأ الوقت لهؤلاء الشعراء ليراجعوا شعرهم ويثقفوا قولهم .

(١) نهاية الارب ٥/١٧٧ .

٢ ـ الالتزام :

إن جميع ما نظم في معارك الردة من شعر كان ملتزماً بغايات ومبادىء متينة فهو اثر للفكر الاسلامي الذي تشبّعت به عقول المسلمين ، ولم يكن اداة لخدمة القبيلة ، او وسيلة للهو والطرب والتسرية عن النفس بل هو اداة اجتماعية تحفظ للامة وحدتها ، وتصون العقيدة من التصدع ، والفكرة من ان يشوبها ما ليس منها ، ويمكن ان نلحظ هذا الالتزام فيما مر بنا من اشعار فخر فيها اصحابها بثباتهم على عقيدة الاسلام ، وبالتزامهم مبادئه ، وتغنوا بجهادهم في نصرة الحق ، او دعوا قومهم الى الثبات عليه والوقوف في وجه النكوص عنه .

٣ ـ الطبيعة التأريخية :

يبرز الجانب التأريخي في شعر الردة بصورة ملحوظة ، ويمكن ان تعد مقطعاته وثائق تاريخية ، في غاية الاهمية ، فهي تكشف عن الادوار التي لعبها القادة والافراد في تلك الحركة ، وتعينّ القبائل التي ارتدت والقبائل التي ثبتت على الاسلام بكل دقة ، وربما أشارت هذه الاشعار الى عوامل ردة كل قبيلة ، وتحفظ لنا اسماء من استشهد من المسلمين ومن مات من المرتدين . وقد تتطرق هذه الاشعار الى وصف المعارك وتعينّ مواقعها . وهذه معلومات تاريخية لا يمكن توفرها في كتب التاريخ على هذه الصورة من الكمال والدقة ، أضف الى ذلك ما قيل في توثيق الاشعار وحفظها دون الاخبار التأريخية .

٤ ـ غلبة المقطعات :

يلاحظ على اشعار الردة غلبة المقطعات القصيرة ، وقلما نعثر على

قصيدة تزيد على عشرة أبيات ، فالقصيدة الوحيدة من هذا النوع متكونة من أحد عشر بيتاً وهي قصيدة الزبرقان بن بدر في صدقته حين أبلغها الى أبي بكر (رض)[1] . أما بقية الشعر والذي يربو على سبعين مقطوعة فأطول مقطوعاته لا تتجاوز الخمسة أبيات، وقد تهبط أحيانا الى البيت الواحد .

وربما ترجع هذه الظاهرة الى ظروف القتال ، وحياة المسلمين الحرجة في تلك الايام ، والتي حرمتهم من الاستقرار والطمأنينة ، فجعلوا يميلون الى الايجاز والاختصار ، إذ لم يكن همُّ أحدهم أكثر من الافضاء بمشاعره ازاء الاحداث التي ألمّت بالمسلمين وبأوجز عبارة .

٥ـ خلوه من شعر المرأة :

يتضح لمن يتبع ما وصل الينا من الشعر الذي قيل في أثناء حروب الردة خلوّه من الشعر النسائي ، فلم تسهم أية شاعرة في هذه المعركة الشعرية علماً بأن فيه كثيراً من الرثاء ، الذي برعت فيه المرأة العربية .

٦ـ انه شعر شعراء مغمورين :

والملاحظ ان أغلب ما قيل في تلك الحروب ، كان انطلاقاً على السنة شعراء مغمورين، لم يعرفوا من قبل بالشعر ، وانما أنطقتهم تلك الأحداث ، ولذلك لا نرى بينهم من عرفنا من شعراء الجاهلية والاسلام إلا القليل جداً .

---

(١) الطبري ٣/٣٠٥ .

عبدالله بن رواحة

سكن يثرب في الأزمان الغابرة من التاريخ قوم يقال لهم (العمالقة) ثم نزل عليهم اليهود بعد أن نزحوا من الشام وما جاورها لأسباب دينية وسياسية ، فغلبوا العمالقة على أمرهم وصاروا سادة يثرب ، الى أن حدث سيل العرم في اليمن وتفرقت قبائلها فنزل على اليهود قوم نازحون من القحطانيين هم الأوس والخزرج .

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن استطاعوا أن ينتزعوا المال والسلطان من أيدي اليهود ، ولكن اليهود لم ييأسوا من استرجاع سلطانهم ، فعملوا ما وسعهم على الوقيعة بين الأوس والخزرج ، فعاشت يثرب في حرب دائمة ، ونزاع مستمر ، وسميت هذه الحروب بأيام الأوس والخزرج . منها يوم « سمير » وكان هذا أول يوم وقع بين الأوس والخزرج ، ويوم ربيع وفارع ، وآخر هذه الايام هو يوم (بعاث) . وقد ساهم الشعراء في تلك الحروب بألسنتهم الى جانب سيوفهم ، فلمعت أسماء شعراء مع كل يوم من تلك الأيام .

شاعر الخزرج

وكان عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو الانصاري الخزرجي ممن اشتهر بشعره في تلك الحروب ، فقد كان اللسان المعبر مع حسان بن ثابت عن الخزرج ، وأسهم في الدفاع عن

قبيلته بما أوتي من بيان كأحسن ما يسهم شاعر . وهو القائل يوم بعاث مجيباً قيس بن الخطيم الأوسي .

نحامي على أحسابنا بتلادنا
لمفتقرٍ أو سائل الحق واجب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
مشينا له مشي الجمال المصاعب
برجل ترى الماذيَّ[1] فوق جلودهم
وبيضا نقياً مثل لون الكواكب
وهم حُسرٌ لا في الدروع تخالهم
أسوداً متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كريهة
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

اسلامه

وعندما وصلت أنوار الاسلام الى المدينة كان عبدالله بن رواحة في طليعة من تفتحت قلوبهم لنوره ، واستنارت عقولهم بهديه ، فاستجاب لنداء الاسلام ، وآمن بدعوته ، ثم توجه مع سبعين من قومه الى العقبة حيث واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة . وللمكانة التي كان يتمتع بها ابن رواحة في قومه اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون نقيباً على مَنْ معه من المؤمنين في تلك البيعة، آخى رسول الله (ص) بينه وبين المقداد بن الأسود بعد الهجرة[2] .

(١) الماذي : واحدته الماذية وهي : الدرع اللينة .
(٢) الاصابة ٢/٢٩٨ .

وحين بدأ الصراع المسلح بين الاسلام والكفر ، كان ابن رواحة من أوائل الذين سلوا سيوفهم للدفاع عن دينهم الذي آمنوا به ، فساهم في جميع معارك الاسلام الاولى ، وشهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها الا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا .

قال يحيى بن سعيد : كان عبدالله بن رواحة أول خارج الى الغزو وآخر قافل . وكان في جميع حروبه بطلاً مقداما ، لا يهاب الموت ، ولا يخشى السيوف المشرعة ، فحين دعا المشرك « عتبة » من يبارزه في بدر ، وتردد كثير من المسلمين ، برز له ابن رواحة من بين الصفوف. وعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشجاعة فانتدبه لقتل عدو الله اللعين « أسير بن رازم اليهودي » الذي أمد أهل خيبر بعد مقتل سيدهم « ابن أبي الحقيق » فقد دعا هذا اليهودي وجمّع غطفان ومن والاهم من المشركين لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليه ابن رواحة في ثلاثين راكباً وتمكن من قتله والقضاء عليه .

وفي غزوة مؤته أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين، فحمل اللواء وظل مدافعا عنه حتى استشهد دونه في السنة الثامنة في أرض الشام .

وقد خاطب نفسه يوم مؤتة بأبيات تنم عن ثبات جنانه ، ومغالبته لهوى نفسه عندما حاولت التردد في أول الأمر :

أقسمت يا نفس لتنزلنّه طائعة أو لتكرهنه
أن أجلب الناس وشدوا الرنّه ما لي أراك تكرهين الجنه[1]

(١) الرنة : الصيحة الشديدة .

وطالما قد كنت مطمئنه   هل أنت الا نطفة في شنه[1]

وقال أيضا :

هل أنت الا اصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت
يا نفس ألا تقتلي تموتي   هذا حِمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت   أن تفعلي فعلهما هُديت
وان تأخرت فقد شقيت

يريد صاحبيه اللذين قتلا مدافعين عن لواء المسلمين في مؤتة ، وهما : زيد وجعفر .

اما شاعريته فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت أبي يقول : ما سمعت أحداً أجرأ ، ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة .

وقد سبق الى تعريف الشعر حين سأله الرسول: ما الشعر؟ قال: شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً . قال : فهل تستطيع أن تقول شيئا الآن ؟ فنظر في وجه رسول الله فقال نعم :

اني توسّمت فيك الخير نافلةً
والله يعلم اني ثابت البصر
فثبّت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نُصروا
يا آل هاشم ان الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غيَر

---

(١) جاء فى المعجم الوسيط : والشن القربة الخلق الصغيرة .

ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فخبروني اثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر؟
نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا
حي من الناس ان عزوا وان كثروا

وحين قال : يثبت الله .. البيت . قال له النبي : واياك يا سيد الشعراء ، ولما قال : فخبروني أثمان العباء . عرف في وجه رسول الله الكراهة ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال عبدالله : نجالد الناس .. البيت .

وكان رسول الله يستمع الى شعره وهو ينشد، ويرتاح الى ذلك، فحين دخل الرسول مكة ليطوف بالبيت كان ابن رواحة بين يديه آخذا بزمام ناقته وهو ينشد :

خلوا بني الكفار عن سبيله   خلوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله   كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
يا ربّ اني مؤمن بقيله

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر ؟ فقال الرسول خلّ

عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

وكثيراً ما كان رسـول الله يردد شعره ، ويأنس بانشاده ، بـل يستعين به على العمل . روى عن البراء رضي الله عنه أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تالله لـولا الله ما اهتدينـا ولا تصدقنـا ولا صلينـا
فانزلـن سكينـة علينـا وثبّت الأقدام ان لاقينـا
ان الألى قـد بغوا علينـا وان أرادوا فتنـة أبينـا

وروي ان عبدالله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله : اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت . يعني : الشهادة والجنة . ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقول الرفث فقال : ان اخاً لكم لا يقـول الرفث يعني ابن رواحة لقوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
اذا انشقّ معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعـد العمى فقلوبنا
بـه موقنات أن ما قال واقـع
يبيت يجـافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
وأعلم علما ليس بالظـن أنـني
الى الله محشور هناك وراجع

وأجمع المؤرخون على أن ابن رواحة كان واحداً من ثلاثة شعراء

وقفوا الى جانب الاسلام في حربه مع قريش وهم : حسان بن ثابت، و كعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة . وكان عبدالله يعيّر قريشاً بالكفر وينسبهم اليـه ، في حين كان حسان و كعب يتحدثان في هجائهما عن الوقائع الحربية ، وهزيمة قريش فيها ، ويعيرانها الجبن والضعف ونحوهما من المثالب . فكانت قريش لاتهتم لقول ابن رواحة اهتمامها بقول حسان و كعب حتى أسلموا فصاروا يتألمون لقول ابن رواحة ، وهذا ما يعلل لنا قلة شعره و كثرة شعر صاحبيه في كتب التاريخ والآداب . فقد نهى رسول الله وخلفاؤه عن رواية الشعر الذي يذكر كفر قريش بعد أن أسلمت ، ابقاء على مودّتها ، وتأليفا لقلوب رجالها . وطبيعي أن يعمد من أسلم من المهجوين الى طمس معالم الشعر الذي يذكرهم بماضيهم غير المشرف .

وكان شاعرنا الى جانب بطولته في الحرب وبلائه في فن القول من أكبر زهّاد المسلمين وعبّادهم . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ . وروى أبو الدرداء : لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد ، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحرّ يده على رأسه ، وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة . وكان اذا لقى الرجل من اصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل . فغضب الرجل فجاء النبي فقال : يا رسول الله الا ترى ان ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة . فقال الرسول : يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة .

وكان حريصا على تنفيذ اوامر الله صادعا لقرآنه . فقد روي عن مجاهد ان قولة تعالى « لم تقولون ما لا تفعلون » الى قوله « صفا كأنهم بنيان مرصوص » نزل في نفر من الأنصار فيهم عبدالله بن رواحة قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به حتى نموت . فلما نزلت فيهم هذه الآية قال ابن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيدا .

وكان يتحرى ما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن ما يرضيه يرضي الله . جاء عن السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر يوم الجمعة فقال : اجلسوا . فسمع عبدالله ابن رواحة قول النبي فجلس في مكانه ، خارجا من المسجد ، حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ، فقال له : زادك الله حرصا على طواعية الله ، وطواعية رسوله . وعرف عن شاعرنا تشدده في الحق ، والتزامه بحدود الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يزحزحه عن العدل حب صديق أو كره عدو .

فحين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ثم ألجأهم الى حصنهم ، بعث ابن رواحة يخرص عليهم تمرهم فكان يأتيهم كل عام فيخرص عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال يا أعداء الله تطعموني السحت ، والله لقد جئتكم من أحب الناس اليّ وأنتم أبغض اليّ من عدتكم من القردة والخنازير ، لا يحملني بغضي أياكم وحبي أياه ألا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

وطالما سالت دموعه غزيرة من خشية الله ، والمشهد الذي يرويه المؤرخون حين سار الى مؤتة أصدق دليل على هذه الخشية وذلك الايمان فقدروى موسى بن عقبة أنه لما خرج الى مؤتة بكى ،فبكى أهله معه . فقال : والله ما أبكي جزعا من الموت ولا صبابة بكم ، ولكن بكيت من قول الله « وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فأيقنت اني واردها ولم أدر : أأنجو منها أو لا ؟.

وفي لفظ أنبأني ربي أني وارد النار ولم ينبئني انى صادر عنها ، فذلك الذي أبكاني .

وروت زوجته عنه أنه كان اذا اراد ان يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين ، لا يدع ذلك .

رحم الله ابن رواحة، فقد كان راهبا في الليل ، فارسا في النهار، حتى قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : نعم الرجل ابن رواحة[1] .

---

(١) الاصابة ٢/٢٩٨ .

بين شاعري رسول الله

ان أية موازنة ، لكي تكون أصيلة وتامة ينبغي أن تعقد بين طرفين يجمع بينهما أكثر من سبب ، وتربط بين حياتهما أو فنهما أكثر من آصرة .

والشاعران اللذان أريد أن أعقد بينهما هذه الموازنة هما كعب بن مالك الانصاري ، وحسان بن ثابت الانصاري .

فكلا الشاعرين خزرجي ، وكلاهما من الانصار ، وقد ساهما معاً في الذب عن رسول الله عليه السلام بشعرهما ، وفي مكافحة الكفر والضلال ، وكل منهما ينتسب الى اسرة عريقة في الشعر .

ان هذه الأمور مع وحدة البيئة والعصر والهدف قربت ولا شك بين الشاعرين ، ووحدت كثيراً من مواقفهما ازاء الأحداث في حياة الرسول وبعده .

اما من الناحية الفنية فقد اجمع النقاد على ان حسان اشعر من كعب[1] . ولذلك فقد بوأه رسول الله منزلة رفيعة ، وقدمه على جميع شعرائه في الأثر : أمرت عبدالله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى[2] .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ص ١٧٩ والاغاني ١٣٦/٤ .
(٢) الاغاني ١٧٩/٤ .

وروي عن عائشة أن النبي (ص) بـنى لحسان في المسجد منبراً ينشد عليه[1] .

ان ما وصل الينا من شعر حسان يفوق ما وصل الينا من شعر كعب اضعافاً مضاعفة ، ويرجع ذلك لعدة اسباب منها :

ان ما نظمه حسان اصلاً اكثر مما نظمه كعب ، فقد توفي الاول وعمره مائة وعشرون عاماً بينما عُمر كعب سبعة وسبعين عاماً .

وحُمل على حسان ما لم يحمل على احد ، وقد نبّه ابن سلام الى ذلك بقوله :[2] " وقد حُمل عليه ما لم يحمل على احد ، ولما تعاضهت[3] قريش واستبّت ، وضعوا عليه اشعاراً كثيرة لا تنقى .

ولم نجد من ذكر مثل هذا عن كعب ولا اقل منه ، ولعل سبب كثرة الحمل على حسان يرجع الى طبيعة شعره الذي تعرض فيه للانساب والقبائل بينما قل ذلك في شعر كعب ، فعندما اصبح لذكر الانساب والقبائل شأن في العصر الاموي وما تلاه بدأ الناس يحملون على حسان شعراً يؤيد وجهة نظرهم في ذلك .

واستُغل شعره سياسياً الى درجة كبيرة ، ومن هذا الباب استغلال الامويين لمراثيه في عثمان فزادوا عليه في رثائه اشعاراً مملوءة غيضاً على قتلة عثمان (رض) وقد نبّه الى ذلك ابن عبدالبر حين أورد تلك المراثي .

---

(١) العمدة ١/٧٣ .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٧٩ .

(٣) حمل عليه : نسب اليه وليس له . تعاضهوا تباهتوا ورمى بعضهم بعضاً بالعضيهة وهي الافك والبهتان والشتيمة .

ومثل ذلك اشعاره في مديح الزبير بن العوام .

واختلط شعر حسان بشعر ابنه عبدالرحمن ، فلم يميز الرواة بين اشعار الاب والابن ، فمن ذلك لاميته الطويلة التي مطلعها .

الست خير معدّ كلها نفـراً

ومعشراً ان هم عموا وان حصلوا

يذكر ابن هشام انها تروى لابنه عبدالرحمن .

ونحب ان نشير الى ان ابن هشام من اوائل من حاول نخل شعر حسان في السيرة، فكثيراً ما نجده يقول : واهل العلم ينكرون هذه القصيدة لحسان فقد عقب على عينية حسان التي رد بها على ضرار بن الخطاب والتي مطلعها :[1]

اشاقك من ام الوليد ربوع   بلاقع ما من اهلهـن جميع[2]

بقوله : وبعض اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان[3] واورد هذا القول في اعقاب مرثيته لخبيب[4] ولاميته التي فخر فيها بقتل عمرو ابن ود ولاميته في الموضوع نفسه[5]، وغير ذلك . وقال عن حائيته التي بكى فيها حمزة ومن اصيب من اصحاب رسول الله (ص) يوم احد : واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان[6] ، واورد هذا الحكم بعد قصائد اخرى ايضاً .

---

(١) الاستيعاب ١/ ٤٩٢ .
(٢) بلاقع : جمع بلقع ، وهو القفر الخالي . وجميع : مجتمع مؤتلف .
(٣) ابن هشام ٢/١٤٣
(٤) ابن هشام ٢/١٧٨
(٥) المصدر السابق ٢/٢٦٨ و ٢٦٩
(٦) المصدر نفسه ٢/١٥٥

وربما نسب ابن هشام بعض قصائده الى غيره كما حصل في يائيته التي قال عنها : وتروى هذه الابيات لربيعة بن امية الديلي[1] ومعروف ان ابنه عبدالرحمن كان يهاجي النجاشي الحارثي ، ويذم قومه ذماً قبيحاً[2] ولذلك شك فيما نسب لحسان من هجائهم ، ورجح انه من شعر ابنه عبدالرحمن[3] .

واختلط شعر حسان بكثير من شعر كعب ، فاضطربت الأقوال في نسبته ، للتشابه الكبير بين اسلوبيهما ، ولاشتراكهما معاً في كثير من المناسبات[4] .

وشعر حسان في غزوات الرسول عليه السلام يفوق شعر كعب من حيث الكثرة والجودة ، ونظرة واحدة الى شعر السيرة تؤكد ما ذهبنا اليه ، وربما يرجع ذلك الى ما توفر لحسان من الوقت ، وتهيأ له من الظروف ، لعدم مشاركته في أي من غزوات الرسول فعلياً ، واكتفائه بمصاحبة جيش المسلمين ، والذود عنهم بشعره ، بينما ساهم كعب في هذه الغزوات فعلياً بنفسه ، فلم تتهيأ له تلك الظروف الهادئة .

والذي يثير الاستغراب عدم مساهمة كعب بشعره في أعظم وأكبر نصر حققه المسلمون ، أعني به فتح مكة ، الذي استعد له

---

(١) ابن هشام ٢/٢٦٩

(٢) الزبير بن بكار : الموفقيات ورقة ١٤٦ـ١٥٤ وابن سلام ص ١٢٥ .

(٣) انظر ديوان حسان ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٨١ ، ٨٢ وانظر الحيوان ٣/١٠٨ حيث أبدى الجاحظ تشككه في مقطوعة تنسب الى حسان ورجح نسبتها الى عبدالرحمن.

(٤) انظر تخرج القصائد : ٧ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ في ديوان كعب بن مالك بتحقيقنا ، حيث اختلفت المصادر في نسبة هذه القصائد أو في بعض ابياتها الى حسان أو كعب .

شعراء الاسلام حتى لا تفوتهم فرصة المشاركة فيه ، ومنهم حسان الذي خلد ذلك في شعره مواكباً حركة الفتح منذ الاستعداد له حتى تم فتح الله ونصر المؤمنين[1] .

وربما يرجع ذلك الى ضياع شعر كعب في هذا الفتح المبين، فليس من الطبيعي ألاّ يسام بشعره فيه .

وأثر الاسلام واضح في شعر حسان، سواء كان ذلك من حيث اللفظ أو المعنى ، بصورة لا تقل عما هو في شعر كعب . ولكن مما يؤخذ على حسان عدم استطاعته أن يتغلب على بقايا عصبيته القبلية، وعنجهيته الجاهلية ، فشعره في الفخر زاخر بهذه المعاني ، من ذلك قوله :[2]

تجدنا سبقنا الناس مجداً وسؤدداً
تليداً وذكراً نامياً غير خامل
لنا جبل يعلو الجبال مشرّف
فنحن بأعلى فرعه المتطاول[3]

وقوله ايضاً :[4]

وكنا ملوك الناس قبل محمد
فلما أتى الاسلام كان لنا الفضل

ومن هذه المعاني الجاهلية التي نخر بها ما نراه في قصيدته بمناسبة

---

(١) الديوان ص ١٤١و١ .
(٢) الديوان ص ٣١٥ .
(٣) يستعار لفظ الجبل للمجد والشرف كما فعل حسان هنا .
(٤) الديوان ص ٣٢٨

يوم أحد . فقد فخر بحوادث من ماضيه الجاهلي ناسياً أنه إزاء يوم اسلامي ، قال :[1]

ان خالي خطيبُ جابيـة الجـو
لان عند النعمان حين يقـوم[2]

وأبي في سُميحـة القائـل الفـا
صل يوم التقت عليه الخصوم[3]

وأنا الصـقر عند باب ابن سلمى
يوم نعمان في الكبول مقيم[4]

وأبـيٌّ ، وواقـد أطلقـا لـي
ثم رحنا ، وقفلهـم محطـوم[5]

ويبالغ في ذلك حتى ينقلب فخره الى عتاب لرسول الله يوم فتح مكة حين جعل على مقدمة الجيش قبيلة سُليم بقيادة خالد بن الوليد وهذا خلاف ما يريد حسان فقد كان يرغب في أن يكون الأنصار أول الداخلين الى مكة ، امعاناً في اذلال قريش فيقول :[6]

---

(١) الديوان ص ٣٧٧

(٢) خاله هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية في الاصل الحوض الكبيرة ، والجولان : من اعمال دمشق ، وأراد بالنعمان بني جفنة الغساسنة .

(٣) سميحة : بئر بالمدينة تحاكمت عنده الأوس والخزرج في حروبهم الى ثابت بن المنذر والد حسان .

(٤) ابن سلمى : النعمان بن المنذر . وقوله يوم نعمان في الكبول مقيم ، فنعمان هذا هو نعمان بن مالك ، وكان حبسه النعمان بن المنذر فوفد فيه وفي غيره حسان فاطلقوا لأجله .

(٥) ابي : هو ابي بن كعب . وواقد : هو واقد بن عمرو . وقفلهم محطوم : مكسور ، يقول : ان هؤلاء جميعاً أطلقهم النعمان من اسارهم لاجلي .

(٦) الديوان ص ١٩٩ .

واتِ الرسول فقل يا خير مؤتمن
للمؤمنين إذا ما عدّل البشر
علامَ تدعى سُليم وهي نازحة
امام قوم هم اووا وهم نصروا ؟!
سمّاهم الله الأنصار لنصرهم
دين الهدى وعوان الحرب تستعر

ومثل هذه المعاني والصور كثيرة في شعر حسان ، ولكننا نفتقدها في شعر كعب ، واذا وجدت فهي قليلة نادرة وبطريقة اخف مما سبق بكثير .

وفي الهجاء صدر حسان وكعب عن اسلوب واحد ، وطريقة مشتركة فكانا يعيرانهم بالوقائع والألقاب ، فقد روي عن محمد بن سيرين قوله : فكان يهجوهم (المشركين) من الأنصار حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، قال : فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان وكعب واهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما اسلموا وفقهوا الاسلام كان اشد القول قول ابن رواحة[1] . ومع هذا الاتفاق في خط الهجاء والوحدة في الاسلوب ، فيلاحظ على هجاء حسان شدة اقذاعه ، وانحداره الى مستوى قد يبعد عن روح الاسلام ، لما فيه من عنف وسباب ، بحيث يصعب عليّ ان

---

(١) الاغاني ١٣٧/٤ .

اذكر شواهد من هذا الشعر ، ولعل اخف هذا الهجاء قوله لهند بنت عتبة بن ربيعة[1] :

لمن الصبي بجانب البطحاء في الترب ملقى غير ذي مهد

وقد نزه ابن هشام سيرته عن الأبيات التي اقذع فيها حسان بمثل قوله : تركنا منها بيتين اقذع فيهما وربما اكثر من بيتين[2] .

وقد استغل حسان الاخبار التي تشين الافراد في هجائهم الى ابعد حدود الاستغلال وخاض في الاعراض ، وكان بمقدور كعب ان يفعل ذلك ولكنه نزه شعره عما يشينه ، وترفع عما يعيبه ، فتميز هجاؤه بعفة الفاظه ، وبعد معانيه عن الفحش والفجور ، فلم نعثر في شعره على كلمة مشينة او معنى فاحش ، ويظهر ان لتدينه وتقواه اثر في اسلوبه الرفيع .

وقد بقي حسان محافظاً على الاسلوب الجاهلي القديم في كثير من قصائده ، بل في اشهر قصائده الاسلامية ، وهي الهمزية التي رد فيها على ابي سفيان هجاءه لرسول الله قبيل فتح مكة . فقد بدأها بذكر الاطلال والديار على اسلوب الجاهليين التقليدي فقال[3] :

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء[4]

---

(١) انظر بقية القصيدة في ديوانه ص ١٥٧ وهجاءه لها ص ١٥٨ وللحارث بن هشام ص ٥٩ ولابن الزبعرى ص ٢٠٣ .

(٢) ابن هشام ٢/٢٠ و ٨١ .

(٣) الديوان ص ١

(٤) ذات الاصابع والجواء : موضعان بالشام باكناف دمشق ، وعذراء : موضع على بريد من دمشق ، وبها قتل معاوية بن عدي ، وكانت بهذه المواضع منازل ملوك غسان بني جفنة الذين كان يلتجيهم حسان مسترفداً مادحاً في الجاهلية .

ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء[1]
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

واستطرد الى الغزل ووصف الأحبة فقال :

فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني اذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيّمته فليس لقلبه منها شفاء[2]

ثم ينتقل الى وصف الخمرة فيقول :

كأن خبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

الى أن يقول فيها :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

وبعد كل هذه المقدمات الجاهلية ينتقل الى مدح الرسول عليه السلام ، وظل اسلوب المقدمات الطللية والغزلية مسيطراً على كثير من قصائده الاسلامية، ولكن كعباً تحرر من هذا الاسلوب فلم نجد فيما بين أيدينا من شعره أثراً لهذه المقدمات .

والمقطوعات شائعة في شعريهما ، وقد يكون للسرعة التي كانت توجبها عليهما ملاحقة الأحداث ، وعدم توفر الوقت الكافي لديهما لنظم القصائد المطولة ، أثر في شيوع هذه المقطوعات التي قد تهبط أحيانا الى البيت الواحد ، وربما يكون مرد ذلك الى أن كثيراً من شعرهما قد ضاع ، ويرجح ذلك بالنسبة لأبيات الاستشهاد خاصة ، فلا يمكن

---

(١) الحسحاس : الرجل الجواد . قال ابن فارس : هو الذي يطرد الجوع بسخائه . يريد بني الجود وحلفائه .

(٢) قيل ان شعثاء هذه هي بنت سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل بل امرأة من خزاعة .

أن يكونا قد نظما هذه الابيات منفردة كما وردت في مواطن الاستشهاد ، فهي تبدو غير مستقلة بمعناها .

وقد كرس أكثر شعراء صدر الاسلام قدراً كبيراً من شعرهم لمدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، ولرسم صورة شعرية لذاته الكريمة ، وقد رسم حسان في مدحه هذه الصورة كما رسمها كعب ، أما صورة حسان فقد التقى عندها جمال الخلق والخلقة ، فهو لم يرَ أجمل منه على الاطلاق، ولم تلد النساء من يدانيه في جماله ، وهو مبرأ من كل عيب، كامل دونما نقص ، وكأنه عليه الصلاة والسلام خلق على الصورة التي ارتضاها لنفسه ، والكمال الذي شاءه لذاته ، فهو الكمال المجسم ، والخلق المصفّى .

وأحسن منك لم ترَ قطُّ عيني　　وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقتَ مبرّءاً من كل عيبٍ　　كأنكَ خُلقتَ كما تشاء[1]

وهو ناصع البياض في خلقه وصفاته وأفعاله ، وسمه الله بخاتم النبوّة وكرّمه بضمه اسمه الى اسمه تعالى في الشهادة ، وشق له من اسمه اسماً ليرفع شأنه فالله تعالى محمود وهو محمد .

اغرّ عليه للنبوّة خاتم　　من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسمّ النبي الى اسمه　　اذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقّ له من اسمه ليجله　　فذو العرش محمود وهذا محمد[2]

أما الجانب الآخر من هذه الصورة فهو أثر الرسول في الجزيرة العربية خاصة ، والعالم عامة . ونوره الذي عمّ الارجاء ، فهو كالهلال

(١) الديوان ص ١٠
(٢) الديوان ص ٧٨

في نوره ورحمته للعباد ، يلوح في دياجير الظلام الذي اكتنف العالم كسيف أبيض صقيل ، ولكنه لايضرب ولا يبطش وانما يدعو الى كل خير ، مبشراً بالجنة ، منذراً بالنار .

نبي أتانا بعد يأسٍ وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً منيراً وهادياً
يلوح كما لاح الصقيل المهند
فأنذرنا ناراً وبشّر جنةً
وعلّمنا الاسلام فالله نحمد

وقد نجح حسان ، وكان بارعا في تقريب صورة الرسول الأعظم من اذهان من لم يتشرف برؤية طلعته البهية ، ولم تكتحل عيناه بجماله المشرق ، حتى أن السيدة عائشة لم تشأ ان تضيف على تصوير حسان شيئاً حين سئلت : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان والله كما قال فيه حسان :[1]

متى يبدُ في الداجي البهيم جبينه
يلح مثل مصباح الدجى المتوقّد
فمن كان او من ذا يكون كأحمد
نظام لحق او نكال لملحد ؟

اما صورة كعب لرسول الله من خلال مدحه له ، فهي مقاربة لصورة حسان ، مع افتقارها لعنصر وصف خلقة الرسول وجماله

(١) المصدر السابق ص ١٠١ .

الذي كان بارزاً في صورة حسان ، فهو يعدد مناقبه ، ويصور مآثره من خلال مدحه له او فخره به ، فقد جمع الامة بعد تفرق واصلح امرها بعد خلل :

لمّ الاله بـه شعثاً ورمّ بـه
امـور أمته والامـر منتشر[1]

وهو الشهاب الساطع ،والنور المتألق ، إتباعه هداية ،وتصديقه سعادة ، في سيرته العدل ، وفي منطقه الحق . يمضـي حين يتردد ذوو العزائم ، ويقدم حين يحجم الابطال ، لا يعصي الله في امر ، ولم يجرِ على لسانه كذب .

فينا الرسول شهاب ثم يتبعـه
نور مضيء له فضل على الشهب[2]

الحـق منطقه والعدل سيرتـه
فمن يجبه اليـه ينـج من تبب[3]

نجدُ المقدم ماضـي الهم معتزم
حين القلوب على رجف من الرعب[4]

يمضي ويذمرنا عن غير معصية
كأنه البدر لم يطبع على الكذب[5]

---

(١) ديوان كعب ص ٢٠٨ . الشعث : بفتح العين او سكونها : إنتشار الامر وخلله رم : اصلح .

(٢) الديوان ص ١٧٤ .

(٣) تبب : خسران وهلاك .

(٤) نجد المقدم : شجاع . الرجف : التحرك والاضطراب . الرعب : الفزع .

(٥) يذمرنا : يحضنا ويدفعنا . لم يطبع : لم يخلق .

بدا لنا فاتبعناه نصدقه

وكذبوه فكنا أسعد العرب

واخيراً فقد نال حسان وشعره من الاهتمام والبحث والدراسة مالم ينل كعب. فطبع ديوان حسان في اوروبا ومصر وبيروت اكثر من مرة، وتصدى لشرحه اكثر من عالم واديب، ومخطوطاته منتشره في معظم مكتبات العالم المشهورة، وقد قامت حول شعره دراسات عديدة، وترجمت حياته في كتب كثيرة، بينما ظل ديوان كعب املا مطوياً في ضمير الغيب، يداعب احلام الباحثين في الادب الى ايام قريبة ولم ينهض أحدٌ لدراسة حياته او فنه، فبقيت اخباره مشتتة وخصائص فنه مبعثرة الى وقت قريب(١).

---

(١) نشر مؤخراً ديوان كعب فى بغداد جمع وتحقيق ودراسة المؤلف.

محتويات الكتاب

المصادر والمراجع

(١) المطبوعة

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري

١ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة - المطبعة الاسلامية بطهران سنة ١٣٤٢ .

الاسد آبادي : القاضي عبدالجبار

٢ ــ المغني في أبواب التوحيد والعدل ـ وزارة الثقافة والارشاد بالعربية المتحدة .

الاصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الاموي

٣ ــ الاغاني . (من الجزء الاول الى السادس عشر طبعة دار الكتب أما بقية الاجزاء فهي من طبعة ساسي)

امرؤ القيس بن حجر الكندي

٤ ــ ديوانه ـ طبعة بيروت .

الاندلسي : محمد بن يحيى بن أبي بكر الاشعري المالقي

٥ ــ التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ـ تحقيق الدكتور محمود يوسف زايد ـ بيروت سنة ١٩٦٤ .

الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب .

٦ ــ اعجاز القرآن . تحقيق السيد صقر ـ دار المعارف بمصر .

٧ ــ التمهيد . دار الفكر العربي بمصر سنة ١٣٦٦ .

الباهلي : أبو الحسن الاشبيلي .

٨ ـ الذخائر والاعلاق في آداب النفوس ومكارم الاخلاق .
المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٨
البخاري : أبو عبدالله محمد بن اسماعيل .
٩ ـ الصحيح . طبع محمد علي صبيح وأولاده بمصر .
البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر .
١٠ـ فتوح البلدان - ط مصر ، ١٩٠١ .
البلوي : أبو الحجاج يوسف بن محمد .
١١ـ ألف با ـ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٧ .
البيهقي : ابراهيم بن محمد .
١٢ـ المحاسن والمساوىء . دار صادر ببيروت سنة ١٩٦٠ .
الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر .
١٣ـ البيان والتبيين. تحقيق عبدالسلام هارون ـ مصر سنة ١٩٤٨
١٤ـ حجج النبوة ـ ضمن رسائل الجاحظ نشر السندوبي سنة ١٣٥٢
١٥ـ الحيوان ـ مصطفى الحلبي ١٣٦٤
الجرجاني - علي بن عبدالعزيز
١٦ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه . ط٣ تحقيق أبو الفضل ابراهيم
والبجاوي .
الجرجاني : أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن .
١٧ـ دلائل الاعجاز . مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٦٧ .
١٨ـ الرسالة الشافية . ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ـ تحقيق
محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر .

الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد .
١٩ــ شرح أدب الكاتب ـ مطبعة القدسي بمصر .
ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي .
٢٠ــ تاريخ عمر بن الخطاب . ط مصر .
ابن أبي الحديد : أبو حامد عز الدين بن عبدالحميد المدائني .
٢١ــ شرح نهج البلاغة ـ الحلبي بمصر .
ابن حزم : علي بن احمد بن سعيد الأندلسي .
٢٢ــ الفصل في الملل والاهواء والنحل ـ طبعة مصر ١٣٢١ .
حسان بن ثابت الانصاري
٢٣ــ ديوانه ـ باعتناء البرقوقي ـ مطبعة السعادة بمصر .
الحصري - أبو الحسن علي بن عبدالغني .
٢٤ــ زهر الاداب وثمر الاداب - طبعة الحلبي بمصر ١٩٥٣ .
الحطيئة ـ جرول بن أوس .
٢٥ــ ديوانه ـ طبعة بيروت .
الخالديان : محمد وسعيد ابنا هاشم .
٢٦ــ الأشباه والنظائر ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ـ ١٩٥٨ .
الخطابي - أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم .
٢٧ــ بيان اعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن تحقيق خلف الله وسلام - دار المعارف بمصر .
ابن خلدون : ولي الدين عبدالرحمن بن محمد التونسي

٢٨ـ المقدمة ـ مطبعة نهضة مصر .

الخفاجي ـ ابو عبدالله محمد بن سعيد بن سنان .

٢٩ـ سر الفصاحة . المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٥ .

الرازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان .

٣٠ـ الزينة في الكلمات الاسلامية العربيـة ـ تحقيق فيض الله الحرازي ـ القاهرة سنة ١٩٥٧ .

الرازي : فخر الدين محمد بن عمر .

٣١ـ نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ـ مطبعة الآداب والمؤيد .

الرافعي ـ مصطفى صادق .

٣٢ـ اعجاز القرآن ـ مطبعة الاستقامة بمصر .

٣٣ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ طبعة مصر .

الرماني : أبو الحسن علي بن عيسى .

٣٤ـ النكت في اعجاز القرآن ـ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن .

الزركشي : بو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله .

٣٥ـ الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة .
تحقيق سعيد الافغاني . مط الهاشمي بدمشق ٩٣٩

الزمخشري : جارالله محمود بن عمر .

٣٦ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الاقاويل في وجوه التأويل . ط مصر .

الزهيري ـ محمود غناوي .

٣٧ـ نقائض جرير والفرزدق ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد ١٩٥٤ .

السبكي : تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي .

٣٨ـ طبقات الشافعية ـ مطبعة الحسينية بمصر .
ابن سعد : أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري .
٣٩ـ الطبقات الكبيرة ـ الطبعة الاوربية سنة ١٣٢٢ .
السكري : أبو سعيد الحسن بن الحسين .
٤٠ـ شرح أشعار الهذليين ـ وزارة الثقافة في العربية المتحدة .
ابن سلام : محمد بن سلام الجمحي .
٤١ـ طبقات الشعراء ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر .
سيد قطب .
٤٢ـ في ظلال القرآن ـ دار الثقافة ـ بيروت .
السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن عبدالله .
٤٣ـ الاتقان في علوم القرآن ـ مصر .
٤٤ـ شرح شواهد المغني ـ الخانجي بمصر سنة ١٣٢٢ .
الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبدالكريم .
٤٥ـ الملل والنحل ـ طبعة ليبزج سنة ١٩٢٨ .
شوقي ضيف .
٤٦ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي ـ دار المعارف بمصر .
٤٧ـ الرثاء ـ دار المعارف بمصر .
شيخو : الأب لويس شيخو اليسوعي .
٤٨ـ مراثي شواعر العرب . بيروت .
الصفدي : صلاح الدين بن خليل بن أيبك .

٤٩ـ نكت الهميان في نكت العميان ـ مصر سنة ١٩١١ .

الضبي : المفضل بن محمد .

٥٠ـ المفضليات . تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون دار المعارف بمصر .

الطائي : أبو زبيد حرملة بن المنذر .

٥١ـ شعر أبي زبيد الطائي . تحقيق الدكتور نوري القيسي ـ بغداد

ابن عبدالبر : ابو عمر ، يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي .

٥٢ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ المطبعة الشرقية بمصر .

ابن عبد ربه : أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي .

٥٣ـ العقد الفريد ـ الطبعة الثانية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله .

٥٤ـ تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ نشر المجمع العلمي العربي بدمشق .

العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي بن حجر .

٥٥ـ الاصابة في تمييز الصحابة . المطبعة الشرقية بمصر .

القاضي عياض بن موسى اليحصبي .

٥٦ـ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ـ مصر .

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم .

٥٧ـ تأويل مشكل القرآن ـ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ .

قدامة بن جعفر البغدادي

٥٨ـ نقد الشعر - مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ .

القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب .

٥٩ـ جمهرة أشعار العرب - المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٨ .

القرطبي : أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري

٦٠ـ التذكار في أفضل الاذكار - طبعة مصر .

القيرواني : ابو علي الحسن بن رشيق

٦١ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده ط ٢ السعادة بمصر .

قيس بن الخطيم

٦٢ـ ديوانه - تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب بغداد .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر .

٦٣ـ البداية والنهاية - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٢ .

كعب بن مالك الانصاري

٦٤ـ ديوانه - تحقيق سامي مكي العاني - بغداد .

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الازدي .

٦٥ـ الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف - تحقيق زكي مبارك .

المرزباني : ابو عبدالله محمد بن عمران .

٦٦ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٣هـ .

المسعودي : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ مصر سنة ١٩٣٦ .

٦٧ـ مروج الذهب ـ ط الحلبي بمصر سنة ١٩٥٥ .

ابن منظور : محمد بن مكرم الانصاري .

٦٨ـ لسان العرب ـ طبعة دار صادر ودار بيروت . بيروت سنة ١٩٥٥ .

المقريزي : تقي الدين أبو محمد احمد بن علي .

٦٩ـ امتاع الاسماع ـ تصحيح احمد محمد شاكر ـ مصر سنة ١٩٤١

النابغة الجعدي

٧٠ـ ديوانه ـ المطبعة الاسلامية بدمشق .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب .

٧١ـ نهاية الارب في فنون الادب . ط ٢ دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩ .

الواقدي : ابو عبدالله محمد بن عمر .

٧٢ـ مغازي رسول الله ـ جماعة نشر الكتب القديمة بمصر سنة ١٩٤٨

ابن هشام : ابو محمد بن عبدالملك بن هشام .

٧٣ـ السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفى السقا وجماعته ـ الطبعة الثانية بمصر .

ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي .

٧٤ـ معجم البلدان ـ الطبعة الاوربية .

٧٥ـ معجم الادباء . طبعة الرفاعي دار المأمون ـ بمصر .

اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر .

٧٦ـ تاريخ اليعقوبي ـ مطبعة الغري ـ النجف سنة ١٣٥٨هـ .

اليمني : ابن حمزة العلوي .

٧٧ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز مطبعة المقتطف سنة ١٩١٤ .

(٢) المخطوطة

الباخرزي أبو الحسن علي بن الحسين بن أبي الطيب .

١ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر . نسخة المتحف العراقي

الزمخشري : جار الله محمد بن عمر .

٢ـ ربيع الابرار ـ مكتبة الاوقاف ـ بغداد رقم ٣٨٦ .

الصاغاني : رضي الدين حسن بن محمد بن حيدر

٣ـ درّ السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ـ دار الكتب المصرية ٣٨م تاريخ

ابن قدامة : ابو محمد موفق الدين عبدالله بن قدامة الجماعيلي .

٤ـ الاستبصار في أنساب الانصار ـ دار الكتب المصرية (٣٤٩) تاريخ .

استدراك

نستدرك في هذه الصفحة أغلاطاً وقعت في الكتاب أثناء الطبع وهي وان كانت لا تخفى الا أننا آثرنا أن ننبه عليها ليرجع اليها القارىء في محلها .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٢	خمس	خمسة
	١٢	الافترات	الافتراءات
٢١	١٨	الخمسة	الخمس
	٢٢	٥٢	٢٩
٢٢	٥	الخمسة	الخمس
٢٣	١	يخوضوق	يخوضون
٢٤	٢	الرحمن	الرحمن الرحيم
٣٧	١٢	ينظر	تنظر
	١٦	وقد	أوقد .
٤٠	٥	قأتوا	فأتوا
٤٥	١٤	العمر	العمى .
٥٧	٥	أتا	أتى
٦٧	٤	الشراح	السراح
	٢٤	المطاردة	المطارة
٧٠	٥	الطبينا	الظبينا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٤	٨	وأصلحته	وأصلحت أمرها
٩٨	١٦	ومعاني	ومعانٍ
١١٥	١٣	رسول	الرسولُ
١١٦	٨	قواليها	مواليها
١١٧	٢٢	اللأْواء :	اللأْواء : الشدة .
١٢٠	١٦	أي	أنى
١٢١	٣	أي	أنى
١٢١	٢٥	يضيء	يفيء
١٢٤	٢٥	ص	ص ٦٧
	٢٥	/٢	١٢٣/٢
١٢٦	١٢	ذواري	ذراري
	١٣	وسيتولى عنه	ويستولي عليه
	١٣	متحم	متمم
١٧٩	٩	كتت	كنت
٢٥٣	١٠	مسليمة	مسيلمة

١٩٦٨/١٠٠٠/٤٠